دراسات قومية
العـدد الرابع

مـائة نتيجـة

لحـرب السـادس من أكتوبر

بقلم
محمود المصرى

دراسـات قومية
العدد الرابع

مائة نتيجة
لحرب السادس من أكتوبر

بقلم
محمود محمد احمد المصرى

الطبعة الاولى
١٩٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

« وان جنـــدنا لهم الغالبـــون »

صـــدق الله العظيم

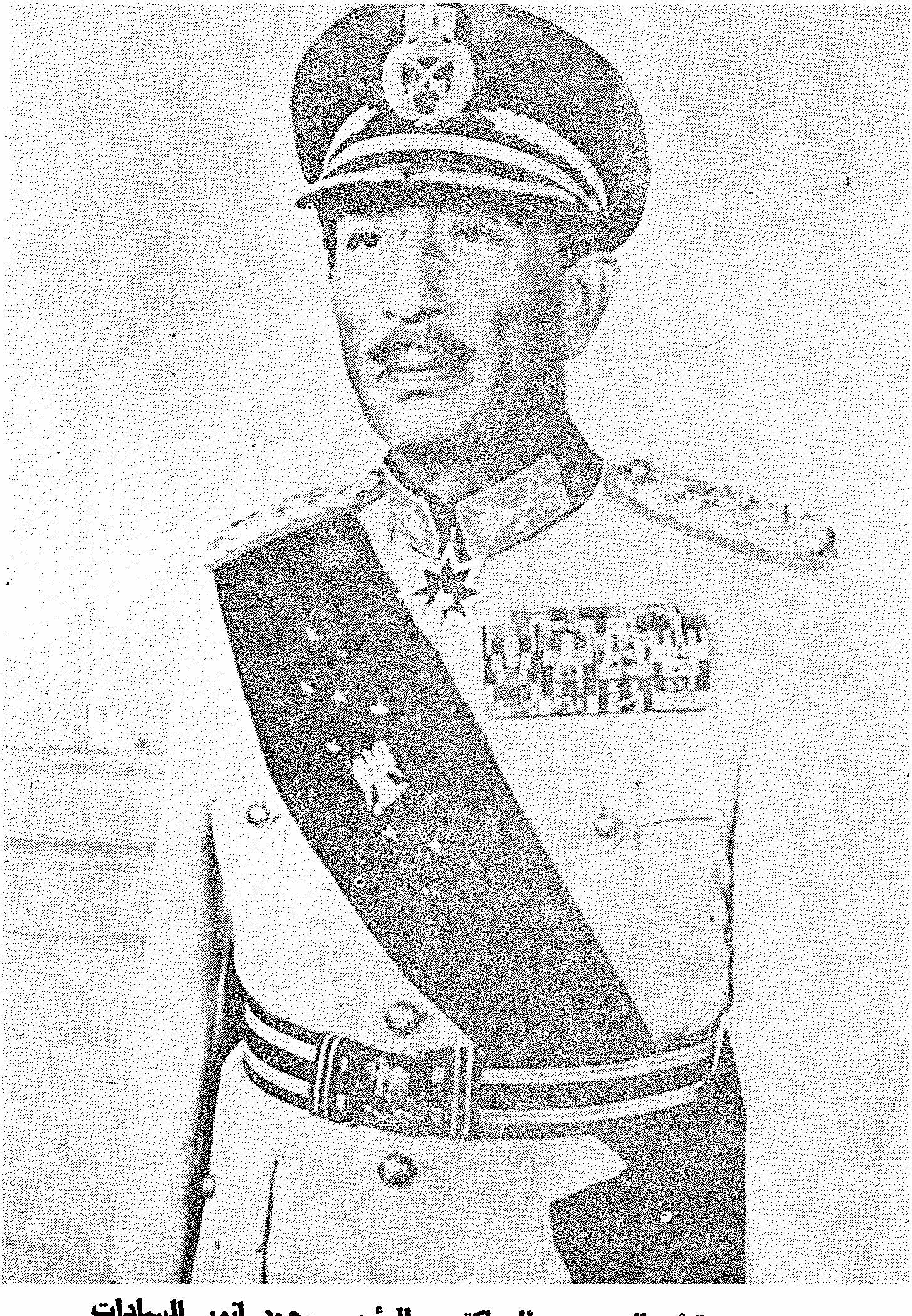

قائد العبور وبطل اكتوبر الرئيس محمد انور السادات

اهـــداء

الى اخوتى فى مصر ، وفى كل بلد عـربى ٠

الى رفقـاء السـلاح ، وزملاء الكفاح ٠٠ على طريق حطين وعين جالوت وسـيناء والجولان ٠

الى الذين يعرفون قـدر أكتوبر ، أو لا يعرفون ٠

الى الذين يعرفون وينكرون ، ويحقـدون ويزايدون ، وهم بذلك يحـاربون ثم يتحاربون ٠

الى شهدائنا وهم (أحيـاء عنـد ربهم يرزقون) ٠

الى جنـودنا الذين عبروا بمصر من الذلة الى الكرامة ، ومن اليـأس الى الأمل ٠

الى قائد العبـور ، الذى يكتب تاريخ المنطقة بحـروف من نار وحروف من نور ٠

الى بطل أكتـوبر ، الى بطل نوفمبـر ، الى بطل الحـرب ، الى بطل السـلام ٠

أهـدى هـذا الكتاب المتواضع : مائة نتيجة ـ لحـرب السادس من أكتوبر ٠

المؤلف

تمهيـــد

لا شـك أن حـرب ٦ أكتــوبر ١٩٧٣ هى عـلامة بارزة فى التاريخ العـربى المعاصر ، اذ أنها وضعت حـدا فاصـلا بين عهـدين فى تاريخ صراعنا الحضــارى مع اسرائيل ، وصـارت تمثـل نقطة تحول حاسـمة فى مســار هـذا الصراع ، وكانت بمثابة فاتحة لعهـد جـديد يختلف تماما فى أغلب سماته عن العهـد الذى سبقه ، وذلك بعـد أن نقلت الأمة العـربية من مرحلة تاريخيـة الى مرحلة تاريخية متقـدمة ، وأصبحت تاريخا يميز ما بعـده عما قبله ، وصـار عالم ما بعـد أكتــوبر يختلف كثيرا عن عالم ما قبل أكتــوبر •

لقـد أتمت قواتنا المسـلحة انجازا عسـكريا ناجحا ضـد اسرائيــل ، وانتــزعت نصرا عزيزا لم يتحقق للعـرب منـذ أيام صــلاح الدين ، وحققت نجاحا أكيـدا ما زال يفرض نتائجه على المواقف العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى اليوم ، وأفاق العــالم العـربى وأفاق العــالم الخارجى ، ومازالا يفيقان على (حقائق ما بعـد أكتوبر) •

ومع ذلك فان نتائج حـرب أكتــوبر لا تأخـذ حقهـا الاعلامى العادل ، فلم تبرز وسائل الاعلام أهميتها الاستراتيجية وتأثيرها الايجابى البناء على المجتمع العـربى فضلا عن تأثيرها السـلبى المدمر على المجتمـع الاسرائيلى ، رغم أن العـدو الصـهيونى هـو أكثــر النــاس فهما لنتائج هـذه الحـرب التى قوضت أمنه وحطمت كافة الاستراتيجيات التى آمن بهـا وعاش عليها ، كما أنه هو أكثر النــاس احساسا بخطورة هـذه المعركة التى شبهها موشى ديان بزلزال دمر (الهيكل الثالث) •

ولقد تكالبت الذئاب على نصر اكتوبر تريد أن تهون منه منذ اليوم الثانى للحرب ، ولم تكن الذئاب من العقارب والأعداء بقدر ما كانت من الأقارب والأصدقاء ، كانت الذئاب من بعض أناس ينتسبون الى العربية والاسلام فى فروعهم وأصولهم والى الشيوعية والالحاد فى مصالحهم وأيديولوجيتهم ، ومنهم من كانوا يمزقون بينهم قميصا متهرئا أهلكته الهزائم فأمسى أصحابه يكرهون النصر ٠

واذا كانت قوى هذه الحرب لا تزال تعمل عملها وتنتج آثارها وتؤتى ثمارها ، الشىء الذى جعل نتائجها أكبر من أن تقيم وأكثر من أن تحصى ، فنحن أحوج ما نكون الى الحفاظ على هذه القوى من أى تبديد يريده لها البعض من الحاقدين والمزايدين الذين لا يسرهم الا ابطال مفعولها ولا يسعدهم الا توقف نتائجها ، بل نحن احوج ما نكون الى دعم قوى هذه الحرب وتنميتها ٠

وليس أصدق من عبارة قالها الزعيم العربى التونسى الحبيب بورقيبه « ان نتائج حرب أكتوبر لم نقدر على استيعابها حتى الآن ، وسوف تظل هذه الحرب تعطينا الكثير » ٠

مائة نتيجـة

لحــرب السادس من أكتــوبر

لقـد كانت أولى نتائج معـركة ٦ أكتوبر ١٩٧٣ هى انقشاع الغمـة التى أعقبت هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وازاحة الكابوس الذى ظل يجثم على صـدورنا منـذ وقـوع هـذه النكسـة ، وعبور الشعور بالهزيمة والمـذلة والمهـانة ، وسقوط حائط الخـوف واليأس والتمزق ، وعـودة الروح والأمل والثقـة الى النفس المصرية والعربية بعـد أن كاد البعض يسـلم لاسرائيل ليس فقط بوجـودها ٠٠ ولكن بسطوتها أيضـا ٠

لقـد أدت هـذه الحـرب الى تأكيـد شجاعة الجنـدى المصرى التقليـدية ـ الذى لم تتح له فرصـة الاشتباك مع عـدوه فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ـ واثبـات قـدرته القتالية ومهارته فى استيعاب أجهـزة أول حـرب الكترونية ضخمة فى التاريخ الحـديث ، واستعادة سمعة قواتنا المسـلحة المصرية والعربيـة التى أبهـرت العـالم فى عين جالوت وحطين وسـيناء والجـولان ٠

لقـد عادت الثقة للجنـدى والضابط والقائد والمخـطط المصرى ، بعـد أن خـرج من قمقمه ، وبعـد أن دخـل مع عـدوه فى أول مواجهة فعليـة وعـادلة ، فكان الجنـدى المصرى فى بؤرة اهتمام العـــالم وهو يعـبر قناة السويس ويقتحم خـط بارليف ، ويثبت للدنيـا أن روحه أرخص ما لديه ، وأن أرضـه أغلى ما عنـده ، وأن العـــرب ليسـوا سـادة الكلمـات والخطب ، وانمـا هم سـادة الحـرب اذا

ما تعلق الأمر بالحرية والكرامة ؛ فى الوقت الذى يرفعون فيه شعار السلام القائم على الحق والعدل ، ويحملون لواء البناء والتعمير ، لا حراب القتل ومعاول التدمير ٠

لقد اعترف الاستراتيجيون فى العالم كله بوزن المقاتل المصرى وحتمية وضعه فى الاعتبار فى أية حسابات تتعلق بالمنطقة العربية ومصيرها ٠

وكم من خبير عسكرى لم يستطع أن يخفى دهشته بعد أن ظن أن الاقتحام المصرى لخط بارليف لم يكن ليتم الا بسلاح (نووى) ، ذلك الخط الذى وصفوه فى اسرائيل بأنه « مقبرة الجيش المصرى ، والصخرة التى سوف تتحطم عليها عظام المصريين » ، ثم وصفوه بعد ٦ أكتوبر بأنه « قطعة من الجبن الكثير الثقوب » ٠

وكما اعادت هذه المعركة لقواتنا المسلحة ثقتها بنفسها ، أعادت للشعب ثقته فى قواته المسلحة ٠

لقد أعادت هذه المعركة احساس الشعب المفتقد بتلاحمه مع الجيش ، كما أعادت له ايمانه بأن قواته المسلحة هى (جيش الشعب) وليس لأحد أو لمجموعة من (مراكز القوى) ٠

لقد أكدت هذه الحرب أهمية التلاحم بين الشعب وقواته المسلحة ، كما تأكد أنه عندما يصارح الشعب بالحقائق كلها تصبح المعركة معركة الشعب كله ٠

لقد تمنى كل فرد من الشعب ـ خلال المعركة ـ أن يشارك فى انتصاراتها مع الجيش ، أو أن يفتدى بنفسه فردا من قواته المسلحة ٠

لقد تأكد للشعب أن شرف الخدمة العسكرية لا يدانيه شرف ، كما تأكد للجيش أن الثقة التى وضعها الشعب فيه هى الوسام الذى لا يعلوه وسام •

ولقد أكدت هذه الحرب النظرية القديمة قدم التاريخ الانسانى وهى أن النصر أولا وأخيرا يحققه الانسان الحر ، المتمتع بروح معنوية عالية ، الممارس لحقه وواجبه ، المؤمن بوضوح هدفه وعدالة قضيته •

لقد أكدت هذه الحرب أهمية ثورة التصحيح وأهمية اجراءاتها التى تمثلت فى اطلاق الحريات وتصفية المعتقلات والحراسات واقامة دولة المؤسسات على أسس من احترام الدستور وسيادة القانون ، وتحويل الشرعية الثورية الى شرعية دستورية ، وتحرير ارادة الانسان من عقد الخوف والقهر والتسلط والسلبية والانهزامية لتنبعث فيه دوافع البناء والقوة الوطنية والعسكرية •

لقد أكدت أن النصر حليف المقاتل دفاعا عن قيم ومثل ، وليس دفاعا عن فرد أو طغمة •

لقد أكدت الفرق بين ارادة ترسف فى السلاسل والأغلال ، وارادة تنهض على العزة والكرامة •

لقد أبرزت أثر الحرية والديمقراطية على معنويات الشعوب واطلاق ملكاتها فى الحرب والسلم على حد سواء •

فلم ينتظر قائد العبور أن يحقق نصرا مؤكدا يسترجع به شرف للوطن فى ٦ أكتوبر قبل أن يحقق ثورة تصحيحية يسترجع بها شرف المواطن فى ١٥ مايو •

ان ثورة التصحيح يمكن أن تكون نتيجة لاتخاذ قرار الحرب قبلها ، وذلك لاعداد الأرض الصلبة التى ستنطلق منها شرارة هذه الحرب الظافرة ، ويؤيد هذا المعنى قول الرئيس السادات **« فى اللحظة التى توليت فيها مسئولية الحكم قررت أن أقوم بالهجوم وكان هذا قدرى »** •

ومع ذلك فان شهادة ميلاد نصر أكتوبر ، ستذكر أنه الابن الشرعى الطبيعى لثورة مايو ، التى قدمت الى ساحة الفداء جنودا يؤمنون بأن مصر مصرهم ، وأن الأرض أرضهم وعرضهم ، وأن شرف النصر سيعود عليهم ، وأن راية المجد ستؤول اليهم ، وأنهم يحاربون تحت راية مصر •• وتحت شعار (الله أكبر) •

ولقد أثبت نصر ٦ أكتوبر أن هزيمة ٥ يونيو ماكانت الا نصرا رخيصا لاسرائيل تحقق تحت مظلة تيارات دولية هيأت لها فرصة نجاح عابر ، وأنها لا تعدو أكثر من كونها ضربة غادرة قد نبهت أنظارنا وأنظار العالم كله الى خطور دور اسرائيل فى منطقتنا العربية ، كما أسقطت قناع الزيف الذى تخفى وراءه طبيعتها العدوانية والتوسعية •

لقد كانت حرب الأيام الستة جولة سياسية أخذت الشعب الاسرائيلى مع قادته فى رحلة بعيدة عن الواقع ، وظن القادة الاسرائيليون أنهم أصبحوا على عتبة (الامبراطورية الاسرائيلية) ، وليس أدل على ذلك من قول أريك شارون فى أعقاب هذه الحرب « اننا الآن نستطيع الاستيلاء على الدار البيضاء ، وكل ما سنحتاجه لذلك هو أن نعيد تزويد مدرعاتنا بالوقود من الجزائر » •

لقد أثبتت حرب أكتوبر لاسرائيل أن سياستها كانت قد انفصلت عن الواقع منذ انتصارها العابر فى حرب يونيو ، وأن واقعها فى المنطقة العربية ـ حقا ـ هو واقع غريب •

كما كشــف نصر ٦ أكتوبر كــذب المبالغة فى ابراز هوة سحيقة تفصل بين ضعف العــرب وقــوة اسرائيل عقب هزيمة ٥ يونيو ، وأوقف النصر هــذه الصــورة قبــل أن تتحول ـ بالاذكاء الذاتى العــربى وبالتــدعيم الاعلامى الاسرائيلى ـ الى تصور قومى متكامل ، فالانهيار الحقيقى للأمة يحــدث حين تفقــد ثقتها فى كل قــدراتها وامكانياتها ، وتتصور نفسها أمة من الأقزام فى عالم من العمالقة ٠

لقــد كاد يستقر فى نفوسنا بعــد هزيمة ٥ يونيو أن اسرائيل قوة حربية لا تقهر وعبقرية سياسية لا تبارى ، وبعد نصر ٦ أكتوبر وما تبعه من نجاحات سياسية متوالية ، سقط القناع عن جوهــر اسرائيل وانكشفت على حقيقة أنها ليست فى الحــرب ولا فى السياسة كما كنــا نظن ٠

لقــد أسهمت هــذه الحــرب ـ بما تضمنته من أداء عســكرى وسياسى بارز ـ فى تحطيم الأساطير التى صاغتها ببراعة شــديدة كتابات المستشرقين الصهاينة حول عجز الشخصية العربية وعقمهــا وتخلفهــا اذا ما قورنت بالشخصية الغربيــة عامة ، وبالشخصية الاسرائيلية على وجه الخصوص ٠

لقــد اعتبرت اسرائيل العالم العــربى (الرجل المريض) الذى أعــدت له العــدة لدفنه ووراثته ، وليس أدل على تصورات اسرائيل هــذه من (وثيقة جاليلى) التى تبناها حــزب العمل الاسرائيلى قبيل أسابيع من حــرب أكتوبر ، والتى كانت تدعو الى ضــم الأراضى العربية المحتلة الى اسرائيل ، أو مطالبة اسرائيل لمصر بتقاسم عوائد المرور من قناة السويس لو فتحها المصريون فى ظل مدافع الاسرائيليين ٠

لقــد أثبتت هــذه الحرب حقيقة حجم اسرائيل وطبيعتها وغرابة وضعها وخطأ زرعها فى الجسم العــربى ، وأن اسرائيل بموقعهــا

وبنائها وفلسفتها لا مستقبل لها فى هـذه المنطقة ، وأنهـا كيـان محكوم عليه تاريخيا خصوصا اذا استطاع العرب حولها أن يدفعوا حركة التاريخ ٠

وأنه اذا كان الاسرائيليون يمثلون تحـديا تكنولوجيا فان العرب حولهم يمثلون تحـديا أيديولوجيا لا قبل للاسرائيليين ولغيرهم به ٠

وانه أيا كانت الهزائم التى تكبـدها العـرب فلن يهـزموا هزيمة فاصلة ، ولن تملك اسرائيل أن تكون المنتصرة فى نهـاية المطـاف ٠

وأن التاريخ قـد يسمح لاسرائيل بتفوق لبعض الوقت على بعض العـرب ، ولكن التاريخ لا يمكن أن يسمح بتفـوق لاسرائيـل طول الوقت على كل العـرب ٠

ولقـد تستطيع اسرائيل ـ فرضا ـ أن تقلب ميزان اكتوبر ، ولكن ، بأى ثمن يمكن أن تحقق ذلك ؟ وكم من الوقت سوف يدوم لها أى وضع جـديد ؟ ٠

وليس أدل على صـدق هـذه الحقائق من قول شـوآين لاى « ان اسرائيل دولة لم تصنعها أحكام الطبيعة ولكنها دولة صـنعتها حماقة الانسـان » ٠

يقـول جويدو جولدمان المعلق السـياسى اليهـودى الأمريكى « ان خسـائر اسرائيل البشرية فى حرب يوم الغفران تزيد فى نسبتها المئوية الى سكانها اليهود عن نسبة خسـائر الولايات المتحـدة فى حـرب فيتنام ، كما أن التكاليف المروعة لجولة حربية أخرى ستكون

لقـد كانت أولى نتائج حرب أكتوبر هى ازاحـة الكابوس الذى ظـل يجثم على صـــدورنا ...

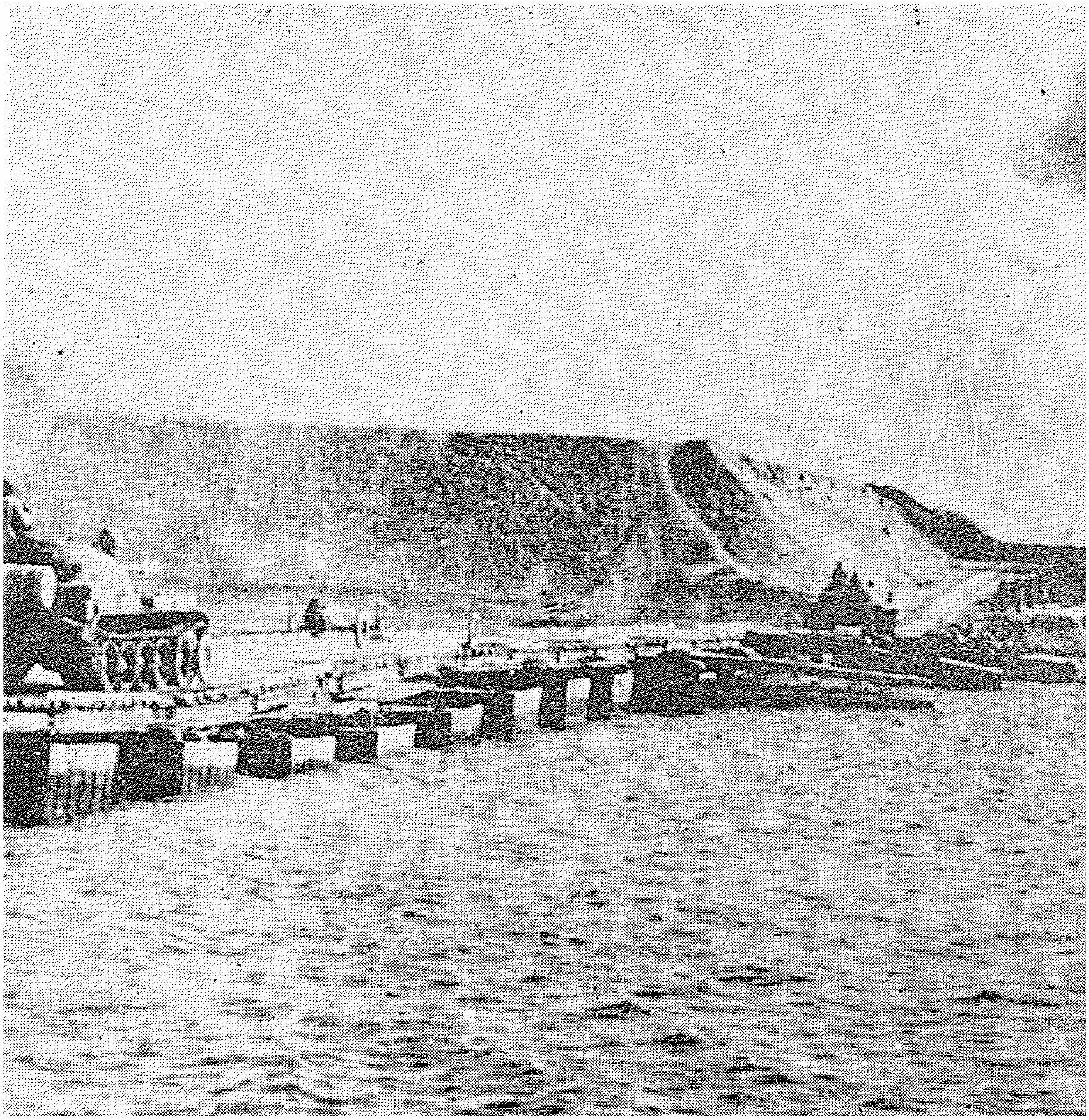

لقـد كان الجنـدى المصرى فى بؤرة اهتمام العالم وهـو يعبر قنـــاة السويس ويقتحم خط بارليف

ذات تأثير مدمر صاعق على اسرائيل حتى ولو انتصرت فى ميـدان القتـال » .

وتقول (وثيقة كرايسكى) التى وضعها وفـد من (الدوليـة الاشتراكية) برئاسة برونو كرايسكى مستشار النمسا لتقصى الحقائق فى المنطقة العربية بعـد نصر أكتوبر « **ان أية قوة عسكرية اسرائيلية مهما كانت قادرة على الضرب فلن تتمكن من تغيير الميزان بالكامل لصالح اسرائيل ، ولكنها ستزيد من احتمالات الخطر العام للحـرب ، وان الثمن الذى ستدفعه اسرائيل من دم ابنائها سـيكون فى ازدياد مستمر** » .

لقـد تحققت نبوءة الدبلوماسى البريطانى السير جيوفرى فيرلونج فى رسالة نشرتها صـحيفة التايمز عقب هزيمة يونيـو « **ان الاسرائيليين على الرغم من ذكائهم قـد حكمهم بصفة دائمـة لناس أغبياء بصورة غير عادية ، فقـد كان يجب على حكام اسرائيـل ان يدركوا أن ثلاثة ملايين اسرائيلى لا يمكن حتى لو ساندتهم مصادر يهود العالم أن يأملوا الى مالا نهاية فى مواجهة عسكرية مع أكثـر من مائة مليون عربى ، وأن استمرار بقاء دولتهم لابد أن يعتمـد فى النهاية على ضمان حـد أدنى من نوايا العـرب الطيبة** » .

بل تحققت نبوءة الباحث الاسرائيلى البروفيسور شاؤول لاندر فى كتابه ـ تأملات حول مستقبل اسرائيل ـ الذى أصـدره عقب هزيمة يونيو « **اننى اشـك فى أن يكون القصور العربى متأصـلا فى تكوين العـرب ، ويبـدو لى أن من شان تغيير المجتمع جـذريا القضاء على هـذا القصور ، ولا شك ان مثـل هـذا التغيير لا يقـع بين يوم وليلة ، ولكن اذا أمكن لاسرائيل ان تعتمـد على الأجل القصير**

والمتوسط ـ اى فى السنوات المقبلة ـ على نقاط الضعف العربية ، فانه من الخطر أن تعتمد على ذلك لفترة أطول » •

فلقد أدت حرب أكتوبر العظيم ـ تحقيقا لهذه النبوءة وغيرها ـ الى سقوط خرافة الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر ، وهى الأسطورة التى نسجتها الدعاية الصهيونية الخبيثة ، والتى وقع فى شراكها الكثير فى الخارج فضلا عن البعض فى الداخل •

لقد كانت وكالات الأنباء العالمية تنقل أخبار المعركة منذ يومها الأول عن اذاعة اسرائيل ، ثم اكتشفت بعد أيام قلائل أن اسرائيل تكذب على العالم وتضلله ، فاتجهت الى مصر تنقل عن اذاعتها أخبار المعركة ، وكنا قد التزمنا الدقة والموضوعية ، فكسبنا فى حرب أكتوبر مجالا كنا قد فقدناه فى حرب يونيو : وهو احترام العالم لكلمتنا •

لقد انكشفت أكذوبة اسرائيل الأخطبوط الذى تمتد أذرعه الطويلة الى أى مكان فى الوطن العربى ، وأكذوبة اسرائيل حاملة الطائرات الضخمة التى ترسو فى قلبه وتسيطر على أجوائه ، والتى يقع أحد طرفيها على البحر المتوسط والطرف الآخر على خليج العقبة ، فضلا عن أكذوبة (النزهة العسكرية) التى يمكن لوشى ديان أن يقوم بها بدباباته ما بين المحيط الأطلنطى غربا ، والمحيط الهندى جنوبا ، أو تلك الرحلة التى تحدث عنها اريك شارون والتى تستطيع أن تصل الى الدار البيضاء فى المغرب بعد أن يزود مدرعاته بالوقود من الجزائر •

لقد جعلت هذه الحرب اسرائيل تحس بان عضلاتها قد انكمشت ، وان ما كانت تسميه (سياسة اليد الطولى) قد تحول الى (سياسة النظرة القصيرة) •

ان منظر الجنود الاسرائيليين وهم يفرون من ميـدان المعركة ، أو يقعون فى الأسر هو الصورة المعكوسة لما تعود عليه الاسرائيليون فى الحـروب السابقة •

ويكفى للـدلالة على ما حـدث فى لليوم الثالث للمعركة أن نتذكر ما قاله موشى ديان لرؤساء تحرير الصحف الذين فاجأهم بقـوله **« الآن فقط لم تعـد لدينا أية قوة لكى نلقى بالمصريين فى قنـاة السويس دون أن يكون فى ذلك انقضاء التام على قواتنا ، واذا فعلنا ذلك فسوف نفقـد جيشنا كله وتصـبح اسرائيـل بلا جيش ، أما فى جنـوب سيناء فالطريق كله مفتـوح تماما فى اتجاه أبو رديس وأشك كثيرا فى قـدرة قواتنا على سـد هـذه الهوة الواسعة ، ويمكننى أن أقول الآن اننا لم نعـد فى مثل قوة المصريين » ••**

لقـد اختلفت نغمة موشى ديان الذى قال فى أعقاب حـرب يونيو « انها الحـرب التى أنهت كل الحـروب » والذى تنـدر ساخرا « اننى أجلس بجانب التليفون أنتظر مكالمة من القاهرة » •

ولم يبق أمام موشى ديان بعـد حـرب اكتوبر الا أن يحـاول تشويه وقائعها واخفاء أبعادها وتعليق أخطائه على شماعة غيره من جنرالات اسرائيل وأولهم الجنرال دافيـد اليعازر رئيس الأركـان وقت الحـرب ، والجنرال شلومو جونين الذى كان يتولى قيادة الجبهة الجنوبية ، والذى لتهم (لجنة اجرانات) التى شكلت فى اسرائيل لبحث أسباب هزيمة جيشها باخفاء الحقائق وتشويه الوقائع بايعاز من موشى ديان ، والذى ألقى عليه مسئولية وفاة الجنرال دافيـد اليعازر وأوضح أنه كان قـد وعـد خمسة جنرالات بمنصب رئيس الأركان اذا شهدوا خلال تحقيقات لجنة اجرانات ضـد دافيـد اليعازر •

كما اختلفت نغمة ليجال آلون الذى قال فى كتابه : ستار من الرمال « **سوف يبقى الجيش الاسرائيلى ونظرية الأمن العنصرين الأساسين لتحقيق الشخصية الوطنية الجماعية ، وعندما نحاول أن ندرس ميزان القوى بين اسرائيل والعرب ، فان الشىء غير القابل للقياس هو نوعية المحارب الاسرائيلى ، الذى ينظر الى الحياة الوطنية والشخصية والموت والحرب نظرة واحدة ، ونوعية القائد الاسرائيلى ، الذى هو زعيم قتال بالغ الفطنة والذكاء ، وأن فى ذلك وحده ضمانا لكل قيم المستقبل ، ذلك فاننا نفضل السياسة التى تكفل لنا الحفاظ على هذا التفوق الاستراتيجى حتى ولو ترتب على ذلك ضمور فى تعاطف الرأى العام العالمى** » •

ويؤكد كتاب أعده حانوخ بارتوف عن قصة حياة الجنرال دافيد اليعازر رئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلى خلال حرب اكتوبر أن رئيسة الوزراء جولدا مائير قد فكرت فى الانتحار بعد أن وصلتها تقارير سير المعارك فى اليوم الثانى للحرب عن طريق وزير دفاعها موشى ديان الذى اعترف بعد توقف المعارك بمسئوليته عن فشل اسرائيل واستقال من منصبه متحملا أخطاءه •

لقد تحققت النكسة لاسرائيل لأول مرة منذ خمسة وعشرين عاما وثلاث حروب أو (أشباه الحروب) ، وكادت هزيمتها تكون ساحقة لولا التدخل الايجابى من جانب الولايات المتحدة لانقاذ اسرائيل بجسر جوى لا مثيل له حتى فى الحرب العالمية الثانية ، ولولا التدخل السلبى من جانب الاتحاد السوفييتى بتخفيض السلاح (كما وكيفا) ثم قطعه عن مصر •

لقد اعترف ريتشارد نيكسون فى مذكراته بأن جسرهم الجوى كان يحمل لاسرائيل ألف طن من الأسلحة والمعدات يوميا أى أكثر مما كان يحمله لبرلين عام ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ •

كما صرح ريتشارد نيكسون للتليفزيون الفرنسى مؤخـرا بانه لولا تدخل الولايات المتحـدة فى حرب أكتوبر لاحتلت القوات المصرية اسرائيـل ٠

لقـد ثبت أن التفوق العسـكرى للاسرائيليين كان ممنوحا لهم وليس نابعا منهم ، وأن ما قاله موشى ديان من أن الولايات المتحـدة تعطيهم السـلاح نهارا ليحاربوا به ليلا كان حقيقة مؤكـدة لا تقبل الجـدل ٠

ولقـد كانت خسائر اسرائيل فى الأرواح فادحة اذا ما قورن عـدد قتلاها بعـدد سكانها الذى يعتمـد على تشـجيع الهجـرة اليهـا والذى يسبب لهـا حساسية خاصة ، ولقـد شعرت كل البيوت الاسرائيلية بفـداحة هـذه الخسائر التى تحـولت الى شبح يثير رعب الاسرائيليين من أى حـرب قادمة ٠

لقـد اعترف الجنرال دافيـد اليعـازر رئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلى خـلال الحـرب بأنهم كانوا يخفون العـدد الحقيقى لقتلاهم وذلك بدفنهم ليـلا وبدون طقوس دينية ٠

ولقـد أحدثت حرب أكتوبر العظيم تغيرا كبيرا فى استراتيجية اسرائيـل التى كانت تعتمـد منـذ نشأتهـا على الموقف الهجومى أكثر من الموقف الدفاعى ، والتى كانت تتجاهل نظـرية الدفـاع كنظرية واجبـة الاتبـاع ، فلم تكن المؤسسة العسـكرية الاسرائيليـة لتعبـأ كثيرا بالتفكير فى الوضـع الدفاعى ، اذ لم تكـن الاستراتيجية الدفاعية الثابتة لتستطيع أن تخـدم أحـلام الصهيونية التوسعية ، عـلاوة على سـيطرة الوهم الكبير بالجيش الاسرائيـلى الذى لا يقهر ، والجنـدى الاسرائيـلى الذى لا يتقهقـر ٠

كما أدت حرب أكتوبر العظيم الى سقوط نظرية الأمن الاسرائيلى أو نظرية (الحدود الآمنة) التى تعتمد على الدفاع عن الكيان الاسرائيلى فى العمق العربى ، والتى تتأسس على الردع والأرض : الردع الاسرائيلى الخاطف للعرب فى كل فرصة مواتية ، والتوسع فى المزيد من أرضهم وبناء الاستحكامات والتحصينات عليها ، بل وبناء المستعمرات والمستوطنات لاستيعابها ، ولقد سقطت هذه النظرية بعد اقتحامنا لقناة السويس واجتياحنا لخط بارليف فى ست ساعات فقط ؛ وسط ذهول العالم ودهشته ٠

ان مأساة الاسرائيليين هى أن الصفوة المؤثرة فى اتخاذ القرار الاسرائيلى قد أقنعت نفسها وأقنعت الرأى العام الاسرائيلى معها بعدة مسلمات لا تقبل الجدل ، وبعض هذه المسلمات كانت من عمق تغلغلها أو (عشعشتها) فى العقل الاسرائيلى بمثابة البوصلة التى يسيرون فى اتجاه مؤشرها الى كل شىء ٠٠ والى أى شىء ٠

ان مسلمة الأمن عند الاسرائيليين كانت قد ارتكزت على عضيدة أو (عقدة) أن العالم من حولهم يحاصرهم ويستعد دائما للانقضاض عليهم وتدميرهم ، وبالتالى فان هذا الأمن كان يتحقق (فقط) بالاتساع الأفقى فى أراضى (الأغيار = العرب) وتحصين كل ما يصلون اليه فى هذا الاتساع ، ثم التمسك به وعدم التراجع عنه ، كما كان يتحقق كذلك الاتساع الرأسى فى تكديس السلاح استعدادا لصراع دائم يفرضه عليهم أعداؤهم ٠

ونحن لم نستهدف من وراء حرب أكتوبر فى المقام الأول – وهى حرب محدودة فى المفهوم الاستراتيجى بهدف محدود – الا هدم نظرية الأمن الاسرائيلية ودحض حجة الاسرائيليين

التوسعيين التى تؤسس أمنهم على احتــلال المزيد من الأراضى العربية من حولهـم حتى أصبح الأمن الاسرائيـلى مرادفا للأرض العربية ٠

ولقـد ثبت أن اسرائيـل لم تهـزم هزيمة عسكرية حقيقيـة الا عنـدما كانت تتمسك بأكبر مسـاحة من الأرض العربية قبل ٦ أكتـوبر ٠

ولم تستطع ذروة انتصـارات جيش اسرائيـل فى ٥ يونيـو أن تمنـح الشعب الاسرائيلى الأمان او تشـعره بطعم الاستقرار ، فلم تمض أكثر من ست سنوات حتى كان الجيش المصرى الـذى ظن الاسرائيليون أنه قـد قضى عليـه قضـاء لن تقـوم بعده قائمة ، قد طـرد الجيش الاسرائيلى من أقـوى الحصـون التى استحكم بها وظن أنهـا ستحقق لـه استقرارا مؤبدا ٠

لقـد حاربت اسرائيل فى (يونيو) من حـدود كانت ولا زالت تعتبرها غير آمنـة ، ومـع ذلك فقـد كسبت الحرب ، ثم حاربت فى (أكتوبر) من حـدود كانت تعتبرها غـاية فى الأمن والأمان ، ومـع ذلك فقـد خسرت الحـرب ٠

لقـد أسقطت حـرب أكتوبر ادعـاء مناحم بيجين أن حـــرب يونيو كانت حـربا دفاعية ، وأن أى شعب كان فى حـرب دفاعيـة له الحـق فى السعى لتغيير حـدود وطنـه كى يعيش آمنـا ، لقـد كان للجيش الاسرائيلى عشية حـرب أكتوبر يحتـل الضفة الشرقية لقنـاة السويس ، ومع ذلك فقـد هـزم هـذا الجيش هزيمة منكرة ٠

ان نظـرية الحـدود الآمنة التى يمكـن الدفاع عنها لم تعـد تتناسب مـع تطـور للسلاح الذى أصبح قادرا على تعـرية للـدول

تماما من كل أسوارها ، وعلى الوصول راسا الى عمق أعماقها ، وحيث لم يعد هناك ما يمكن الدفاع عنه بالمعنى العسكرى ٠

لقد كانت نظرية الحدود الآمنة التى يمكن الدفاع عنها فى واقع الأمر صياغة تغلف نزعة التوسع الاسرائيلى الكامنة فى صميم المشروع الصهيونى وأهدافه على أرض فلسطين وما حولها ، كما كانت بنفس القدر مصدرا للتوتر والصراع الذى يريده مخططوا الصهيونية فى المنطقة العربية ٠

ولم تكن نظرية الحدود الآمنة هدفا فى حد ذاتها بقدر ما كانت ذريعة أو وسيلة متجددة تتسم بديناميكية الحركة لتوفير أسباب التمدد والنمو لجسم الدولة الصهيونية حتى تصير (دولة لكل يهود العالم) ٠

لقد سقطت هذه النظرية العسكرية العدوانية التى صاغتها اسرائيل كستار لحجب أهدافها التوسعية ، ووسيلة لتضليل الراى العام العالمى ، وطريقة لخلق اقتناع لدى الاسرائيليين لتقبل المغامرات العسكرية المتتالية ، وثبت لاسرائيل أن أمنها لن يتحقق الا بالتعاقد على السلام القائم على العدل والحق وأنه لا مناص لها من الالتزام بالشرعية الدولية وبقرارات المجتمع الدولى ٠

لقد شبه احد الكتاب الاسرائيليين نظرية الأمن الاسرائيلى بأنها كانت تمثل (العجل الذهبى) الجديد الذى رقص حوله بنو اسرائيل على سبيل تقديسه حتى صرفوا النظر عن عبادة الحق ، وحتى حل عليهم غضب الرب (يهوه) الذى تمثل فى هزيمتهم فى يوم الغفران ٠

ولقد ثبت خطأ اصرار اسرائيل على البقاء فى شرم الشيخ كحد من هذه الحدود الآمنة التى تحمى سفنها فى خليج العقبة ، اذ ثبت أن تمسكها بهذه الأرض المصرية ليس له أساس استراتيجي ، بعد استطاعة العرب اغلاق باب المندب فى وجه الملاحة الاسرائيلية ، وفى وجه التطلعات الاسرائيلية نحو أفريقيا ، وهى التطلعات التى تحطمت منذ أكتوبر ١٩٧٣ ، والتى تهاوت فى ظل التضامن العربى الافريقى .

وقد أدت هذه الحرب الى اجبار اسرائيل على الانسحاب من الحدود التى زعمت أنها أصبحت آمنة ، والارتداد ثلاث مرات عن أراض احتلتها فى يونيو ١٩٦٧ ، فانسحبت منها تحت ضغط القوة العسكرية فى أكتوبر ١٩٧٣ ثم انسحبت مرتين أخريين تحت ضغط القوة السياسية فى ينساير ١٩٧٤ ثم فى سبتمبر ١٩٧٥ استثمارا لنتائج هذه الحرب التى هيأت للقوة السياسية أن تلعب دورها بمهارة لاستثمار نتائجها لتحرير الأراضى العربية المحتلة ، والتى أثبتت لاسرائيل أن احتفاظها بالأرض سوف يظل خطرا متجددا على أمنها لا حماية له ، وأكدت لها أنه لا يمكنها أن تحتفظ بالسلام والأرض معا .

وبنفس المنطق أدركت اسرائيل أن تجاهل الحق الفلسطينى سوف يظل دوما - اذا لم يسترد - خطرا دائما على تواجدها فى كل جيل صاعد يدفعه الى ارتكاب المخاطر والأهوال من أجل حقه المغتصب .

لقد كان انحسار اسرائيل ثلاث مرات عن الأراضى العربية المحتلة ممزقا لشعار بن جوريون نبى اسرائيل المسلح « ان الأراضى الاسرائيلية هى كل أرض يقف عليها جندى اسرائيلى » ، كما كان

متبطا لغلوائه فى دعوته التوسعية « ان كل ماتقع عليه عينك يجب أن يكون لك » ، كما كان محطما لصنم ديان الذى قال يتعبـد « الأرض هى ربى الحقيقى » ٠

وقـد لا تفوتنا قسـوة ما شكله هـذا الانحسـار المتـوالى من انتكاسات لاتجاه تمـدد اسرائيل دون ما توقف على شرائح أوسع من الأراضى العربية لاقامة أمنها على التوسع نتيجة استحالة اطمئنانها على اقامة أمنها على الثقـة ٠

لقـد أدت هـذه الحـرب الى توتر الجهاز العصبى فى جسم القوات المسلحة الاسرائيلية فضلا عن جسم المجتمع الاسرائيـلى من هـول الصـدمة ، وما أدى اليه من (حرب الجنرالات) واجـراء التحقيقات والمحاكمات وكثرة الاقالات والاستقالات وتوزيع الاتهامات والانتقادات وانتشار الكتب والمقالات والأحاديث والرسوم والروايات التى تحمل طابع السخرية والتنـدر من القيـادات الاسرائيلية ، العسكرية والسياسية ، وقيـام المظاهرات التى تهتف بسقوط القـادة الاسرائيليين ومعايرة المتظـاهرين للقـوات الاسرائيلية بالفـرار أمام العـرب ٠

لقـد ظهر بعض هـذا التوتر فى تلك الأقوال الملتهبة والمحمومة والمجنـونة لبعض جنرالاتهـم الآملين فى الثأر « يجب أن نحطم رؤوسهم ، يجب أن نسحق عظامهم ، يجب أن نبيـدهم حتى لا يرتفع لهم رأس ولا تتحرك لهم ذراع ولا تقوم لهم قومية ولا وطنية ٠٠٠ » ٠

ولم تكن المغامرة العسكرية (التليفزيونية) الاسرائيلية ، أو الجيب الاسرائيلى الذى فتحه الاسرائيليـون فى الخطوط المصرية والذى عرف باسم (الثغرة) الا محاولة مسرحية لرفع الروح المعنوية

للاسرائيليين أمام أنفسهم وأمام غيرهم ، ولم تشكل لهم هذه التمثيلية الا ما سموه بأنفسهم (وادى الموت) الذى أنقذتهم منه (ديبلوماسية المكوك الأمريكية) .

ان الاندفاع داخل خطوط الخصم والغوص فيها لا يشكل انتصارا ولا يشكل تهديدا للخصم بقدر ما يشكل انتحارا للقوات المندفعة فى باطنه والتى يمكن أن تبتلع بأكملها ، بل ويمكن أن تفتح لها الثغرات عن عمد كشراك لابتلاعها ، ولعل التاريخ يذكرنا بكيفية ونتيجة وصول نابليون الى أسوار موسكو أو وصول هتلر الى مشارف لينينجراد .

لقد طلب الأمريكيون من اسرائيل ـ حسب رواية هنرى كيسنجر للرئيس السادات ـ الاسراع بتحسين موقفهم السياسى باى عملية عسكرية على الضفة الغربية للقناة ، الشىء الذى دفع جولدا مائير بعد أن تسلمت هذا التحذير ـ حسب ما ورد فى مذكرات رئيس الأركان الاسرائيلى ـ الى أن تجمع القادة العسكريين الاسرائيليين لتقول لهم « لابد أن تفعلوا شيئا ، والا نحن فى طريقنا الى الحضيض » .

ثم دفع الاسرائيليون الى هذه الثغرة اربعمائة دبابة وعشرة آلاف جندى كانوا لقمة سائغة فى متناول المصريين الذين أحكموا الحصار حولها لولا تحذير الولايات المتحدة بالتدخل الى جانب اسرائيل لو أقدمت مصر على تصفية هذه الثغرة .

لقد حاول القادة الاسرائيليون وبمنطق العصابات أن يعيدوا الثقة المفقودة الى جيشهم وشعبهم بأعمال مسرحية أخرى على مسرح جنوب لبنان وفى مياه خليج السويس ، بل وبعمليات (خارقة)

مثل (غارة عنتيبى) معتقـدين أن مثل هـذه (الأفلام السينمائية) ستنهى هـذا التوتر الذى أصاب الجيش والشعب من هول الصدمة ٠

لقـد كانت غارة عنتيبى ـ على حـد قول آرى لوفا الياف رئيس حزب شيللى الاسرائيلى ـ جرعة من الهيروين المخـدر بعـد صـدمة يوم للغفـران ٠

ولقـد أثبتت هـذه الحـرب امكانية تحقيق المفاجأة الكاملة للعـدو وللعالم ، واهتزاز الثقة فى المخابرات الاسرائيلية والأمريكيـة بالرغم مما تملكه الأخيرة من وسائل الاستطلاع الالكترونية الحديثة ، من الأقمار الصناعية الى أجهزة الاستشعار والتصنت والانذار المبكر ، وكشف زيف مسلمة كانت تتبناها العقلية الأمريكية مؤداها أن فى قـدرة الولايات المتحـدة أن تهيمن على حركة التاريخ من خـلال الاعتماد على تكنولوجيتها العسكرية والعلمية المتطورة ، الشىء الذى جعل هـذه العقلية فى بداية هـذه الحرب تعتقـد أن العـرب قـد قاموا بعمل لا عقلانى حينما شنوا حرب أكتـوبر ضـد اسرائيل ، بينما لم تدرك هـذه العقلية مدى الادارة القومية عنـد العرب ٠

يقول ريتشارد نيكسون فى مذكراته « **لقـد كان نبا الهجـوم على اسرائيل مفاجأة تامة لنا ، فحتى يوم امس كانت تقارير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تقول أن الحرب فى الشرق الأوسـط احتمال غير وارد ، وتصف تحركات القوات الواسعة النطاق وغير العادية التى كانت تجرى فى مصر بأنهـا مناورات سنوية ، كذلك فان هـذه التقارير وصفت الازدياد الدرامى فى النشاط العسكرى السورى بأنه اجراء وقائى نتيجة للحادث الذى وقع اخيرا واسـقطت فيـه الطائرات الاسرائيلية ثلاث طائرات سورية ، وقـد شـعرت بخيبة الأمل نتيجة لقصـور مخابراتنا ، لكنى احسست بالذهــول**

لفشل المخابرات الاسرائيلية ، فقد كانت من بين افضل أجهزة المخابرات فى العالم ، ووقعت بدورها فى الفخ قبل أن تستعد ، كان ذلك يوم كيبور ـ يوم عيد الغفران ـ وهو اقدس يوم فى السنة اليهودية ، حيث يقضى معظم الاسرائيليين ، بما فيهم الكثيرون من رجال القوات المسلحة ، يومهم مع أسرهم أو فى المعابد للصلاة ، انه اليوم الوحيد فى السنة الذى تكون فيه اسرائيل فى أقل درجات استعدادها للدفاع عن نفسها » •

ولقد أثبتت هذه الحرب فشل فكرة (الاسترخاء العسكرى) وفرض حالة (اللاسلم واللاحرب) على منطقة الشرق الأوسط ، والتحول الى الاعتقاد ـ وخاصة عند خبراء السياسة الخارجية الأمريكية فيما يختص بلعبة الوفاق ـ فى قدرة أطراف النزاعات المحلية فى بعض مناطق العالم مثل منطقة الشرق الأوسط على شل قدرة الكبار تماما فى تشكيل الأحداث فى قوالب لا تتغير الا بارادتها ، بعد أن كانت هذه الحرب تحديا سافرا من جانب الارادة العربية لما أفرزه الوفاق الدولى من اتفاق على الاسترخاء العسكرى لخلق نوع من (التوتر المحكوم) فى المنطقة العربية •

لقد أدت هذه الحرب بسلاحيها العسكرى والبترولى الى الاحتفاظ بمشكلة الشرق الأوسط ساخنة بل وملتهبة بعد محاولة تبريدها وتجميدها فى (ثلاجة) الوفاق الدولى بين القوتين العظميين •

ولقد أدى هذا الانجاز العظيم الى تناول الدلالة التاريخية والأبعاد العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية لحرب السادس من أكتوبر بالدرس والتحليل لدى أشهر معاهد ومراكز الدراسات والبحوث السياسية والاستراتيجية فى العالم الغربى

بطريقة جديدة مجردة من المسلمات القديمة الزائفة عن عجز العرب الكامل وتفوق الاسرائيليين الشامل ٠

لقد قلبت هذه الحرب بعض الموازين والنظريات العسكرية الاستراتيجية ، وغيرت من مقاييس الفن العسكرى وحساباته ، وتحدت عقائد عسكرية طال الايمان بالعمل بها ، الشيء الذى أدى الى اعتكاف الأكاديميات العسكرية ومعاهد الأبحاث الاستراتيجية فى الدول الكبرى على دراسة وتحليل معركتنا ، والتفكير فى ايقاف انتاج بعض الأسلحة التى ثبت عدم جدوى الاستمرار فى انتاجها ، والتفكير فى التقليل من التكاليف الباهظة والخسائر الجسيمة للحروب المستقبلة ٠

ان كلية أركان الحرب البريطانية ـ على حد قول الفريق أول الجمسى ـ ما زالت تدرس اقتحام قناة السويس بالصورة التى تمت بها من جانب القوات المصرية وفى مواجهة الاستحكامات الاسرائيلية على أنها (أنجح معركة) يمكن أن تتم بالأسلوب الذى تمت به ٠

ان الحسابات الالكترونية التى جعلت الاسرائيليين يقولون أن القناة سوف تكون مقبرة للجيش المصرى قد أغفلت من تقديراتها طبيعة المقاتل المصرى الانسان ٠

لقد كانت حسابات الأمريكيين تقوم على ان دولة أقل تسليحا لا تحارب خصما أكثر تسليحا وبالتالى فمصر لن تحارب اسرائيل ، ثم اكتشفوا أن قرار الحرب فى الأغلب هو قرار سياسى ، وليس بالقرار العسكرى الذى يتأسس على احصاء كم دبابة وكم طائرة هنا وهناك ٠

ان خبراء الحرب فى العالم ما زالوا يدرسون حرب اكتوبر كنموذج للحرب الحديثة ذات (للتعاون رفيع المستوى بين أفرع القوات المسلحة) ، ذلك أن حرب أكتوبر لم تكن فقط أول حرب الكترونية أو أعظم حرب صاروخية أو أكبر معركة دبابات فى التاريخ ، ولكنها كانت (حرب الأسلحة المشتركة النموذجية) وأول عمل عسكرى متكامل ٠

ولقد صدق قائد العبور حينما قال « ان التاريخ العسكرى سوف يتوقف طويلا بالفحص والدرس امام عملية السادس من أكتوبر » ٠

ولقد أدت هذه الحرب الى بروز أهمية تنويع مصادر السلاح ، وضرورة اقامة قاعدة للصناعات الحربية العربية لتجنيب القوات المسلحة التعرض للاحتكارات والاختناقات والضغوط التى تفرضها الدول المصدرة للسلاح من نواحى النوع والكم والتوقيت ، ولتجنب التكاليف الباهظة لنوعيات وكميات الأسلحة المستوردة التى تستهلكها الحروب المحلية فى العصر الحديث ، وللاحتفاظ بالقدرة على استمرار القتال حتى يتحقق الهدف من أى معركة مقبلة ، وللافلات من استخدام تصدير السلاح من جانب الدول الكبرى أداة لتصدير الأيديولوجية معه فى صفقة واحدة ٠

ولقد أثبتت هذه الحرب اهمية التخطيط العلمى وأهمية الحرب الألكترونية الحديثة والمتطورة فى أى معركة قادمة وأهمية عنصرى المبادأة والمفاجأة وأهمية الانذار المبكر والتمويه والمخابرات وأهمية التنسيق والتعاون بين مختلف الأسلحة وأهمية التدريب الجاد والاعداد الجيد للأفراد ولمسرح العمليات وأهمية الاعتماد على الفرد قبل السلاح لأنه سيد العدة وركيزة النصر ٠

لقد كان للسلاح السوفييتى فى أيدينا أقل تطورا من السلاح الأمريكى فى أيدى أعدائنا ، ومع ذلك فقد عوضنا هذا التخلف فى سلاحنا بالتركيز على الفرد قبل السلاح .

بل لقد كان السلاح الذى حشدناه لحرب ٦٧ أكثر كثيرا من السلاح الذى أعددناه لحرب ٧٣ ، ومع ذلك فقد عوضنا هذا النقص فى السلاح بالتركيز على حملة السلاح .

لقد تأكد للعالم أن المصريين ـ كعادتهم ـ يحملون شيئا آخر غير السلاح يحاربون به ، هذا الشىء هو الايمان بالله والثقة بالنفس والثأر للكرامة .

كما أعلنت هذه الحرب نهاية الدور السياسى للقوات المسلحة المصرية فى بداية الاعداد لهذه المعركة على لسان المرحوم المشير احمد اسماعيل حينما أعلن « ان دور القوات المسلحة أن تؤمر فتقاتل » .

ويقول الفريق أول الجمسى : « اننا نملك جيشا محترفا يؤمن بأن السياسة للسياسيين ، وهو جيش متحضر وليس جيشا عقائديا » .

ثم هناك الدلالات الاجتماعية العميقة لهذه المعارك الجبارة وهذه الانتصارات الضخمة من حيث ربط قطاعات الشعب المختلفة بالقضية الوطنية والقومية ومساهمتها الفعالة فى طريق التعمير والبناء والقوة والرخاء بعد أن صار العبور والاقتحام رمزا للبعث والانطلاق .

الخط الذى وصفوه فى اسرائيل بأنه مقبرة الجيش المصرى ،
والصخرة التى سوف تتحطم عليها عظام المصريين ...

ان منظر الجنـود الاسرائيليين وهم يقعـون فى الأسر هـو الصـورة المقلوبة لما تعـود عليه الاسرائيليون فى الحروب السابقة ...

ان اعظم تقـدير لأيام أكتوبر المجيـدة ليس التغنى بهـــا ، ولكـن لستلهـام معانيها لكى نحـرز فى مجـالات العمـل للوطنى وللقـومى ما أحرزناه من نجاحات فى للعمل العسكرى ، ولكى نحقق فى معـركة للبناء ما حققته قواتنا المسـلحة فى معـركة للبقـاء ، ولكى نصـل بمصر للى « للعبـور للثانى » للعظيم ٠٠ وهـو للعبـور للى للسـلام وللرخـاء ٠

وفى هـذا المعنى يقول قائد العبور للرئيس المؤمن محمد أنـور للسادات « **اننا ما دمنا قـد استطعنا فى ساحة القتال ، فانه يجب أن نستطيع بنفس المستوى فى كل مجـال** » ٠

لقـد أصبح قـرار حـرب أكتوبر نموذجا أمام المصريين والعرب لمـا ينبغى أن يقوموا به قبـل اتخـاذ أى قـرار ، أو أثناء صـناعة هـذا القرار ، فى مجال تقليب كل وجهات النظر المتخصصة ، والحصول على كافة المعلومات والبيانات عن كل المتاح من القـدرات والامكانيات ، والمفاضلة بين المطروح من البـدائل والاختيارات ، والدراسـة الواقعية والفعلية والعملية والموضوعية والميدانية ، والتخطيط العلمى المحسوب ، وتقـدير المفاجآت والاحتمالات والتوقعات ، كما أصبح أداؤها الرائع نموذجا لمـا يجب عليه الأداء الأمثـل فى جميـع مجالات حياتنـا السياسية والاقتصادية والاجتماعية من حيث وضوح الرؤية والوعى والشجاعة والتفانى والاخلاص والصبر والاصرار والنظام والتعاون والتنفيذ للجماعى لخطط المجتمع فى شكل فريق عمل متكامل وبما عرف عن (روح أكتوبر) ٠

ولقـد ادت هـذه الحرب الى تعزيز الوحـدة الوطنية المصرية التى تجلت فى الالتفاف حول القيادة السياسية بالحب والوفاء ،

والتى تسابقت فى الايثار والتضحية بالجهد والعرق والدم ، والمال والكساء والغذاء ، والتى لم تتأثر بضغوط الحرب ، بل وقفت خلف قواتها المسلحة فى مباراة بذل وسباق عطاء ؛ لهؤلاء الذين عبروا بمصر من اليأس الى الأمل ، ومن المذلة الى الكرامة ٠

ولقد أكدت هذه المعركة حقيقة جوهر المصريين وأخلاقياتهم ، وارادة الحياة الكامنة فى روحهم ، كما أكدت حقيقة الرؤية التاريخية القديمة القائلة بأن (مصر مقبرة الغزاة) ٠

كذلك أكدت هذه المعركة حقيقة جوهر شعارات (العلم والايمان) و (الاشتراكية الديمقراطية) و (الوحدة الوطنية) و (السلام الاجتماعى) و (القيم الروحية) و (العائلة المصرية) و (أخلاق القرية) ٠

لقد استرد الانسان المصرى نتيجة للنصر ثقته فى نفسه وفى جيشه وفى قيادته وفيمن حوله ، كما استرد ثقته فى قيمه وفى قيمته وفى قدراته وفى مستقبله ، وتلاشت رغبته فى التقوقع وميله للانطواء ليعود احساسه بالجماعة وشعوره بالانتماء ٠

وانتقل المجتمع العربى من مرحلة اتهام الذات والشعور بالنقص والاحساس بالدونية فى المواجهة الحضارية مع العدو الى مرحلة احترام النفس والشعور بالثقة والاحساس بالمسئولية لمعالجة قضايا الانسان العربى بعمق وجدية وموضوعية ٠

ولقد أكدت هذه الحرب ضرورة تحول صراعنا مع اسرائيل الى صراع حضارى متنوع الوسائل ، مختلف الأسلحة ، متعدد الجبهات ٠

ان من أخطر ما يمكن أن يعترض قدرتنا هو أن تنغلق على أزمتنا دون أن نقوم بحوار مستمر وشامل مع العالم يؤدى بنا الى الانفتاح على شتى التجارب مع مختلف الأزمات ، كما يؤدى بنا الى تحديد حركة القوى واتجاهاتها وتحديد العوامل المؤثرة التى تدفعها الى الحركة نحو هذه الاتجاهات ، ان الدراسة الميدانية للمواقع التى يجرى فيها هذا التحرك ، والمناقشة المباشرة مع صانعى ملامحه من شأنها أن تؤدى الى تكثيف خبرتنا وتغذية قدرتنا وتقويم تصوراتنا وترشيد خططنا ، كما تؤدى الى تقييم مستنير الظروف المتاحة أمامنا للتحرك واستثمار حقائق العصر لصالحنا بدلا من أن تستبد بنا بيئة الأزمة المباشرة وحدها .

لقد آن الأوان على العرب بعد طول تجربتهم ومعاناتهم أن يضعوا المتغيرات الدولية دائما فى حسابهم عند رسم سياستهم ، وأن يراقبوا تغير ميزان القوى العالمية قبل المضى فى خططهم ، فان الرابح فى هذا العالم هو من يضع المتغيرات الدولية فى حسابه ، والخاسر هو من يغمض عينيه جهلا أو تجاهلا ، واستكبارا وتعاليا وعنادا عن المتغيرات التى تحيط به ، وكما تفعل الآن اسرائيل .

ولقد أدت هذه الحرب الى نجاح الاعلام العربى فى تخليص نفسه من عقدة الشعور بالنقص بعد كسر حاجز التفوق الاسرائيلى ، لقد ترك العرب الصراخ لأن الأقوياء لا يصرخون ، واستطاعوا أن يتحدثوا بهدوء هادىء مقتنع عن السلام من موقع القوة ، كما استطاعوا أن يتحركوا دبلوماسيا بين عواصم العالم باقتدار نال اعجاب الأعداء قبل الأصدقاء فيما عرف بجملة السلام العربية ، وأن يدفعوا سماسنة العالم الى الحركة نحو عواصمهم ، وأن يستردوا زمام المبادرة فى أيديهم .. ومن أيدى

من كانوا ينوبون عنهم أو يتكلمون باسمهم ، وذلك بعد أن انفتح طريقهم ٠٠ ووضح هدفهم ٠

لقد صدق الفريد أثرتون مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط حينئذ عندما قال « لقد أسست هذه الحرب بصورة مختلفة مرحلة جديدة فى ديبلوماسية الشرق الأوسط ، وذلك باحداث تغيير جوهرى فى ديناميكيات المشكلة » ٠

لقد تغيرت الأفكار النمطية والمفاهيم البالية التى بدت لنا كبديهيات أساسية غير قابلة للنقاش والتى كانت تتعلق بالشكل أكثر من تعلقها بالمضمون ، لقد سقطت اللاءات الثلاثة المشهورة (لا صلح ولا اعتراف ولا مفاوضة مع اسرائيل) ، لقد تحطمت قيود الفكر الجاهلى وصار لنا عقل عربى جديد ٠٠ أكثر علمانية وأكثر جسارة وأكثر تحضرا بعد أن أدركنا حجم اسرائيل الحقيقى على وهج أكتوبر العظيم ٠

وفى المقابل أدت هذه الحرب الى انتكاس قواعد الاعلام الاسرائيلى وانهيار أسس الدعاية وتناقض وتنافر موادها وانتشار البلبلة وانتفاء الاحساس بالأمن وسط عوامل التعرية ورياح التغيير التى أطلقتها هذه المعركة ٠

كما أدت هذه الحرب الى اعادة تصدير أزمة الثقة والشك والتمزق والضياع من المجتمع العربى الى المجتمع الاسرائيلى ، وخلق فجوة تصديق بينه وبين زعمائه التقليديين ـ بقايا الحرس القديم ـ الذين شاركوا فى خلق هذا المسخ الصهيونى المسمى باسرائيل ، والذين صوروا له قدرته على الوقوف أمام الحق والواقع والتاريخ ٠

ولعل من أبرز ما أفرزه نصر اكتوبر ما كان من هزة عنيفة خلخلت أعماق الضمير الاسرائيلى حين أدرك وهم الأمن الذى كان يعيش فيه ، والذى ادعاه على افتراض خاطئ من ضعف العرب وتفوق لسرائيل فضلا عن العمق الاستراتيجى الذى كفله احتلالها للأراضى العربية ٠

لقد أدت هذه الحرب الى اختلال التوازن فى الشخصية الاسرائيلية التى اجتاحها وهزها وباء (الشيزوفرينيا) فتأرجحت بين مركب النقص ومركب الزيادة ، واكتسبت أبعادا جديدة مفاجئة ؛ كالخوف من المستقبل ، وبداية النهاية ، والموت البطئ ، وهبطت الى الاحساس بالذبول والتقلص والانكماش ، وسيطرت عليها العقلية الدفاعية ففقدت زمام المبادرة واكتسبت ضمور الأعصاب ، واستسلمت لرياح التغيير بأقل قدر من المواجهة ، وسلمت بالواقع بأقصر نفس فى الهروب منه ، بعد أن كانت صاحبة نظرية (الأمر الواقع) ٠

ولعل اختيار (كتلة ليكود) اليمينية المتطرفة وزعيمها الارهابى القديم مناحم بيجين (بطل) مذبحة دير ياسين لرأس الحكومة الاسرائيلية خلفا لحزب العمل الذى كانت الهزيمة على يديه ، كان أحد مظاهر هذا التمزق والتخبط واختلال الشخصية والاستسلام لردود الفعل العصبية وسوء التقدير والتدبير ٠

لقد اختار الاسرائيليون حزب ليكود ليس حبا فيه ولكن كرها فى حزب العمل ، وليس أدل على ذلك من خروج الاسرائيليين فى مظاهرات تطالب بتنحية مناحم بيجين بعد انتخابه بشهور قلائل ٠

كما أدت هذه الحرب الى تفجير كل متناقضات المجتمع الاسرائيلي وسقوط الأقنعة عن كل سلبياته ، واكتساح النزعات الاستهلاكية والفردية والمادية للنزعة الروحية ، وتعدد جرائم الهروب من التجنيد الاجباري ، وانتشار الأسلحة بين أيدي المدنيين ومهاجمة رجال الشرطة وازدياد جرائم القتل والخطف والاغتصاب والدعارة وتجارة المخدرات وتعاطيها وظهور (المافيا) الاسرائيلية وانتشار (الجريمة المنظمة) التي يسيطر عليها بعض الجنرالات ورجال الأعمال والشبان المتمكنين في عالم الجريمة (العالم السفلي) ، وتزايد معدل الجرائم بين اليهود الشرقيين عنه بين اليهود الغربيين .

كذلك أدت هذه الحرب الى تزايد تأثير الاتجاهات الراديكالية في جيل الشباب اليهودي ، وتزايد ضعف شعورهم بالارتباط باسرائيل كدولة ليهود العالم ، وقوة استنكارهم لاصرارها على الاحتفاظ بالأراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧ ، وبنائها مستعمرات جديدة عليها ، وتطبيقها للقوانين الاسرائيلية على سكانها العرب ، واستخفافها بالقرارات المعبرة عن ارادة المجتمع الدولي .

هذا فضلا عن تزايد نشاط الحركات اليسارية ، التي تضم اليهود والعرب داخل اسرائيل ، والتي تخون الأساس الأيديولوجي التي قامت عليه الدولة اليهودية ، وذلك رغم ظهور حركات يمينية جديدة عبرت عن متناقضات المجتمع الاسرائيلي ، مثل حركة (اسرائيلنا) التي قامت كتعبير عن الاحتجاج على تهاون الحزب الحاكم في الاستعداد للحرب .

ولقد برزت مشكلة جديدة لاسرائيل بسبب وضع النصف مليون عربي الذين يعيشون داخل اسرائيل كمواطنين من الدرجة

الثانية أو الثالثة بعد تزايد احساس هؤلاء العرب بعروبتهم ، وتزايد تضامنهم وانضوائهم تحت لواء منظمة التحرير الفلسطينية ، التى كانوا يتعاطفون معها منذ اندلاع الثورة الفلسطينية داخل الأراضى العربية المحتلة فى الضفة الغربية وقطاع غزة ٠

ولقد أدت حرب أكتوبر الى أفول الدعاوى الاسرائيلية فى تفوق المجتمع الاسرائيلى أو انتمائه الى الحضارة الغربية ، وتكشف خداع المقارنة الظالمة التى ظلت اسرائيل تزعمها بين الكم العربى والكيف الاسرائيلى ، والتى ظل البعض يصدقها ويروجها لها ٠

لقد كانت اسرائيل تقدم نفسها للعالم طوال السنوات التى سبقت حرب أكتوبر على أنها جزء من حضارة الرجل الأوربى الأبيض ، وأنها أنموذج الغرب و (واحة الحضارة) فى صحراء المنطقة ، وأن العرب شعوب متخلفة تحتاج لوصايتها الحضارية ، وأنهم سوف يظلون أسرى من يوجههم ، وكانت قد نجحت الى حد كبير فى ربط الرأى العام العالمى بها عن طريق هذا الادعاء ٠

لقد كانت اسرائيل توهم نفسها بعد انتصارها الزائف فى حرب الايام الستة بأنها (دولة اسرائيل العظمى) ، وراحت صحفها تعلن (أن على الدول العظمى نفسها أن تدخل ذلك فى اعتبارها) ٠

لقد اعترف مؤخرا ، ناحوم جولدمان ، رئيس المؤتمر اليهودى العالمى السابق ، بأن قادة اسرائيل لم يكونوا مؤهلين لأن يعرفوا شيئا عن العرب سوى أنهم فقط مجموعة من البدو المتفرقين فى صحارى الشرق الأوسط وسهوله ، وكانوا يتصورون أنهم سيجلبون للعرب بقيام الدولة الاسرائيلية التكنولوجيا الحديثة ، وسيزرعون فى المنطقة كيانا أوربيا عصريا وسط ركام متخلف ، وسيحيلون هذه

السهول والصحارى الى جنان وارفة ، لقد أجهدوا أنفسهم فى اقناع العالم بهذه القضايا ولكنهم لم يجهدوا أنفسهم بالقدر الكافى لكى يتعرفوا على حقيقة الشخصية العربية ، ليدركوا أن العرب أمة لها وجدانها التاريخى الطويل ، يكمن فى داخلهم احساس قوى بالمصير المشترك ، ويستقر فى أعماقهم ادراك عظيم لدورهم فى حضارة الانسان ٠

لقد أدت حرب أكتوبر الى اهتزاز عقدة الاستعلاء والسيطرة والتفوق ، والتراجع عن مزاعم التشهير ومطالب التحقير مثل مطلب المفاوضات الثنائية المباشرة مع العرب وأرضهم محتلة بهدف الوصول الى السلام الاسرائيلى أو بالأحرى الى الاستسلام العربى ، وتهاوى سياسة الأمر الواقع وسقوط شعار بن جوريون أسد صهيون ونبيها المسلح « لا يهم ما تقوله الأمم ، المهم ما يفعله اليهود » ٠

واذا كان الصلف الاسرائيلى المعهود لا يزال يتصاعد فى شكل أقوال أو أفعال ترمى الى تعقيد الجهود المبذولة فى طريق السلام الدائم والعادل ، وتسعى الى تخريب الفرص المواتية لاحلاله فى المنطقة ، فان هذه علامات فى السلوك الاسرائيلى بعد الهزيمة تكشف عن الاضطراب أكثر مما تنبىء بالثقة ، وتبرهن على الاهتزاز والتخبط أكثر مما تدل على الثبات والتعقل ، وهى العلامات التى دعت جورج بول مساعد وزير الخارجية الأمريكية السابق الى أن يسأل فى احدى مقالاته « كيف يمكن أن ننقذ اسرائيل رغم أنفها ؟ » ٠

ان هذا الصلف الاسرائيلى لن يثمر أكثر من الاعلان عن افلاس الفهم الاسرائيلى لمعنى السلام ومقتضياته ، وأمام هذا الصلف الاسرائيلى لن يكون لهؤلاء الذين أنفقوا وما زالوا ينفقون مليارات الدولارات وعشرات الأعوام دفاعا عن حق اسرائيل فى الوجود عذر

أخلاقى أو انسانى يسمح بمداومة الانفاق على اسرائيل ومواصلة دعم صلفها .

لقد وصل الصلف الاسرائيلى الى حد اعلان أحد جنرالات الجيش الاسرائيلى أن هدف اسرائيل فى الحرب القادمة هو (حقول البترول العربية) ، ولأن البترول كما قال جنرال اسرائيلى آخر هو أحد مشكلات اسرائيل الكبرى .

كما وصل الصلف الاسرائيلى ، على الوجه المقابل ، الى حد تحذير ناحرم جولدمان من « المخاطر التى تنتظر الشعب اليهودى بسبب تغيير نظرة العالم اليه » .

لقد أدت هزيمة اسرائيل الى نمو احساسها باحتقار العالم لها وبتزايد احكام العزلة حولها وبأن الزمن يجرى فى غير صالحها ، وتفكك العلاقات بينها وبين المجتمعات الأوربية والجاليات اليهودية فيها ، وتزايد ادراكها بأن الولايات المتحدة سوف تبيعها ان عاجلا أو آجلا كما حدث فى فرموزا وكمبوديا وفيتنام وغيرها ، وأنها سوف تتخلى عنها بعد أن أصبحت عبئا عليها ، خصوصا بعد أثبتت هذه الحرب أن اسرائيل هى أسوأ استثمار للغرب فى المنطقة وأن (المشروع الصهيونى) هو مشروع استثمارى خاسر ، ولعل هذا المعنى يتضح فى قول جورج بول مساعد وزير الخارجية الأمريكية السابق « ان المساعدات الأمريكية لاسرائيل هى مسألة اختيارية لا تفرضها أى معاهدة بين البلدين ، وانه لا يمكن لاسرائيل أن تستمر كقلعة مسلحة اعتمادا على هذه المساعدات ، وأن الشعب الأمريكى لن يستمر فى الانفاق على وضع يتسم بعدم الاستقرار ، وقد يؤدى استمراره الى كارثة على الولايات المتحدة وعلى العالم الحر وعلى اسرائيل نفسها فى المدى البعيد » .

لقـد ارتفعت احتجاجات (دافع الضرائب) الأمريكى الذى تذهب أمواله ـ على حـد قول مارك بروزنسكى الكاتب الأمريكى اليهودى المعتـدل ـ لمساعدة اسرائيل على الاحتفـاظ بأراض عربية بدون وجه حق ، والذى يتوقع أن يحمل السلاح يوما ما للدفاع عن أطماع اسرائيل التوسعية ، والذى تلعب اسرائيل والمنظمات الصهيونية بزعمائه وتضحك عليهم ، والذى تطالبه اسرائيل دوما بأن يدفـع فاتورة ما جـرى لليهود على يد هتلر ، والذى يرى نيويورك مفلسة بينما يقوم عمـدتها بجمع تبرعات لاسرائيل بدلا من جمعها لنيويورك ، والذى تعب من رؤية اسرائيل تضع يدها طول الوقت فى محفظته ٠

ويقول آرى لوفا اليـاف رئيس حزب شـيللى الاسرائيـلى « ان احـدى نتائج الموقف الاسرائيلى المتشـدد هو أن اليهود الأمريكيين يواجهون لأول مرة منـذ مائة عام خطر حـدوث صـدام بينهم وبين الضمير الوطنى الأمريكى ، حيث قـد يكتشف الأمريكيون أن الحكومة الاسرائيلية وكـذلك اليهود الأمريكيين يأخـذون منهم لكى يخـدموا أهـدافا غير طيبة » ٠

لقـد انقسم اليهود الأمريكيون بالفعل على أنفسهم ، وتنكـر بعضهم للدولة اليهودية بعـد أن اهتزت صورة (اسرائيـل الفاضلة المثالية) فى ذهنهم ، ولعل هـذا المعنى يتضح فى قول رئيس المؤتمر اليهودى الأمريكى « ان الوضـع قـد تغـير تماما بعـد حرب يوم الغفران ، ولم يعـد فى مقـدور يهود الولايات المتحـدة ويهـود بلاد (الدياسبورا) بأسرها أن تتكفل بسـد العجز الاقتصادى لاسرائيـل وتقـديم الدعم السياسى المطلوب لها ، فليس هنـاك ما يبرر القول بوجود قوة سياسية ومالية غير محـدودة ليهود الولايات المتحـدة » ٠

ويقول جويدو جولدمان المعلق السياسى اليهودى الأمريكى وابن ناحوم جولدمان أن اسرائيل هى أكبر متلقية للمعونات الأمريكية فى

العالم بالنسبة لعدد سكانها ، ولكن هل ستقدم الولايات المتحدة كل ما يطلب منها ؟ ان الكثير فى الاجابة على هذا السؤال يعتمد على ما اذا كانت دعاوى اسرائيل مقنعة أم لا ، وهناك فارق بين ضمان أمن اسرائيل ضد تهديدات خارجية واضحة مدمرة وبين أن تضمن الولايات المتحدة لاسرائيل التفوق فى السلاح والقروض لتكون السياسة الاسرائيلية عقبة فى طريق السلام ومؤذية للمصالح الأمريكية ٠

ولقد أدت هذه الحرب الى قلب أسرة الأحلام الامبراطورية فى دولة (من النيل الى الفرات) ، ونمو الاتجاه الى الكفر بالعقيدة الصهيونية التى أصبحت ـ وبصوت عال لكثير من القطاعات ـ موضع تساؤل ومراجعة ، خصوصا بعد قرار الأمم المتحدة اعتبار الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية ، وهو القرار الذى انطلق موجها بالدرجة الأولى ضد الدولة العنصرية اليهودية ، والذى يدين السياسة التى أقيمت على أساسها اسرائيل ، والذى أسهم بنفس الدرجة فى تعرية اسرائيل وتجريدها من معنى وجودها الحضارى المزعوم ، ناهيك عن أسطورة (شعب الله المختار) أو أكذوبة (شعب بلا أرض على أرض بلا شعب) ٠

لقد صدق أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل السابق حينما قال مؤخرا « ان فكرة اسرائيل كظاهرة عصرية فى التاريخ أصبحت الآن أضحوكة » ٠

لقد عبر ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى السابق عن هذا المعنى فى خطاب الوداع الأخير الذى ألقاه على مسامع المؤتمر قبل اعتزاله عندما قال « لم يعد لنا من أصدقاء فى العالم ، لم نعد ذلك المثل الرائد ؛ الذى كان يخلب لب للشباب اليهودى عبر

العالم كله فى الأربعينات والخمسينات ، لم يعد يربطنا بالمستقبل والحرية أية وشائج ، فقط أصبحنا مع جنوب افريقيا العنصرية سجناء العزلة والكراهية » .

ويقول ناحوم جولدمان فى موضع آخر « اننى أعتقد أن يهود العالم يتباعدون تدريجيا عن الصهيونية ، لأن اسرائيل لم تتمكن خلال ثلاثين عاما من الشروع فى بناء وطن يهودى مأمون يصبح المركز الروحى لليهود » .

ولقد تحول الأدب الاسرائيلى ـ الذى أطلق عليه (أدب ما بعد أكتوبر) ـ الى (أدب المناحات) على الأمل الضائع فى أرض أمست تميد بشعب الله المختار الموغل فى السرمدية والعدمية والقلق المترقب للزلزال الآتى لا محالة ، وظهرت الأعمال الأدبية التى تغلفها سحب اليأس والمرارة والتى تخيم عليها غيوم العزلة وعتمة الضياع ، والتى تجسد مخاوف الهزيمة وتجسم ذلة الانكسار .

ولقد أدت حرب أكتوبر الى تناقص هجرة اليهود الى اسرائيل ، وتزايد معدل نزوحهم منها ، وتزايد تساقط المهاجرين قبل الوصول اليها ، وتزايد معدل للنزوح بعد الوصول بفترة ، بل وتزايد نزوح يهود (الصابرا) المولودين فى اسرائيل بعد أن أصبحت بيئة حياتية طاردة .

لقد شكل العمود الفقرى فى عملية نزوح الاسرائيليين جيل المسرحين من الخدمة العسكرية الذين ذاقوا نار الحرب وعرفوا ويلاتها ورأوا تشوهاتها .

ولقـد صـدق جـون جرنيج الذى كتب فى الأوبزرفر البريطانية ينـدب حظ اسرائيل « من سخريات القـدر أن اسرائيل هى أخطـر مكان يمكن أن يلوذ به اليهودى الآن » .

ان انخفاض معـدل الهجرة الى اسرائيل مع ارتفاع معـدل الهجرة المضادة لليهود ورؤوس الأموال من اسرائيل ، صار يهـدد كيان الدولة اليهودية على أساس أنها حاضر باهت بلا مستقبل .

ان عودة نسبة كبيرة من اليهـود الغربيـين من الأوربيـين والأمريكيين الى بلادهم ، بل واصطحاب هـؤلاء العـائدين لعشرات الألوف من الاسرائيليين انفسهم ممن ولدوا فى اسرائيل جعل الصحف الاسرائيلية تتحـدث عما أسمته (الجالية الاسرائيلية فى الولايات المتحـدة) .

ان عشرات الألوف غيرهم يقيمون الآن بصفة غير رسـمية فى الولايات المتحدة بعد أن دخلوا البلاد بتأشيرات دخول سياحية ذات فترة محددة ، ثم اختفوا عن أنظار السلطات الأمريكية داخل البلاد .

ثم ان قرارات الدول العربية المتتالية بعـد حرب أكتوبر باعطاء اليهود العرب الذين غادروا البلاد العربية الى اسرائيل بعـد قيامها حق العودة اليها حسب رغبتهم ، وضمانها تمتعهم بجميع الحقوق الدستورية الكاملة للمواطنين العـرب بما فى ذلك المسـاواة والعيش الآمن دون تمييز ؛ لدليـل ينهض على ما وصـل اليـه حال لليهـود فى اسرائيل فضـلا على دلالة عنصرية الدولة الصهيونية وعلمانية القومية العربية .

ويعترف ناحوم جولدمان فى كتابه الأخير ـ المـازق الصهيونى ـ بأن الفكرة الصهيونية لم تستطع ان تجعل من اسرائيل المثل الأعلى

ونقطة الجذب لكل يهود العالم ، وبأن القيم التي تعيشها اسرائيل الآن لا تكفي لاشباع حاجات أجيالها الحديثة التي ولدت في اسرائيل ، ومع ذلك تنفر منها الآن الى الخارج ، لتؤكد ليهود أوربا وأمريكا ضرورة اندماجهم في المجتمعات التي يعيشون فيها ٠

وهذا افرايم سيفيلا اليهودي السوفييتي الذي هاجر الى اسرائيل قبل حرب أكتوبر ، ثم نزح منها بعد أن شارك في هذه الحرب الى الولايات المتحدة ، يصف اسرائيل في كتابه - وداعا يا اسرائيل - بأنها دولة فاسدة من القاع الى القمة ، وبأنها دولة متسولة تعيش على الهبات ، وبأنها دولة منهكة تمزقها الخلافات العنصرية ، ويتنبأ لاسرائيل بالانهيار من انفجار داخلي ، ويصف الاسرائيليين من أصل سوفييتي بأنهم (زنوج اسرائيل) ٠

ولقد أدت حرب أكتوبر ١٩٧٣ الى اجهاض مسيرة التنمية الاقتصادية التي سلكتها اسرائيل في أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ والايذان بنهاية السنوات السبع السمان وبداية السنوات العجاف بتزايد نفقات الحرب وميزانيات الدفاع وتزايد العجز في ميزان المدفوعات والتجارة وزيادة الضرائب وفرض أنواع جديدة منها - حتى أصبح المواطن الاسرائيلي أكثر دافع للضرائب في العالم - وصرامة اجراءات التقشف وضغط جميع أوجه الانفاق وتوالي ارتفاع الأسعار وقطع الدعم عن السلع الغذائية الرئيسية وتوالي تخفيضات قيمة العملة وخفض مستوى المعيشة وحدة التضخم وانتشار البطالة وظاهرة فصل العمال والموظفين واضرابهم وتوالي تهديدات اتحاد النقابات العمالية (الهستدروت) بوقف تعاونه مع الحكومة بشأن التحكم في الأجور ومقاطعة العمال العرب للعمل وزيادة الديون وتزايد الحاجة الى الاعتماد على المساعدات الخارجية وانتشار الهوس الاستهلاكي وانخفاض معدل النمو الاقتصادي في اسرائيل التي

تولت هـذه الحـرب تنبيهها الى حجمها الاقتصادى فضلا عن حجمها العسكرى ، ولفت نظرها الى أن أى حرب قادمة سوف تكون باهظـة التكاليف ٠

وفى المقـابل أدت هـذه الحـرب الى ارتفاع معـدل النمـو الاقتصادى فى مصر بعـد دعم شقيقاتها العربيات لها أثناء المعـركة وبعـدها واضافة موارد قناة السويس بعـد فتحها عقب فك الاشتباك الأول ، وعوائد حقول بترول سيناء بعـد اخلائها عقب فك الاشتباك الثانى ، ودخول مصر فى عصر الانفتاح الاقتصادى والتعامل مع العالم الخارجى من خلال اطلاق الحوافز الاقتصادية الطبيعية وتحرير الاقتصاد الوطنى من القيود العـديدة وتوفير الفرص للقطاع الخاص وتشجيعه على الانطلاق ليأخـذ دوره الكامل الى جانب القطاع العام فى تحقيق أهـداف التنميـة ٠

ولقـد تم ظهور البترول فى الجزء الشرقى من خليج السويس الذى تم تحـريره ، علاوة على توقيع اتفاقيات البحث عنـه فى المناطق التى تم تحريرها فى صحراء سيناء ٠

لقـد استطعنا تصحيح مسار اقتصادنا الذى كان قـد اقترب من (نقطة الصفر) عشية الحرب ، وخرجنا به من (عنق الزجاجة) وتجاوزنا معه دائرة الاختناق الكامل الى دائرة الانفتاح الشامل ، وعبرت المنظمات الاقتصادية العالمية والخبراء الاقتصاديون العالميون عن ثقتهم فى سلامة مسار الاقتصاد المصرى واضطراد نموه ٠

لقـد وقف العالم مع مصر بالمـال والخبرات وبكل ما تحتاجه من عون لمشروعات التنمية والانطلاق الى مجتمع الرخاء ، وليسـت

المجموعة الاستشارية الدولية وهيئة الخليج لتنمية مصر الا أمثلة لهذا التعاون الدولى والعربى مع مصر بعد انتصارها فى أكتوبر العظيم •

ولقد برهنت هذه الحرب على نجاح تجربة (تسييس البترول) الذى أصبح سلاحا سياسيا حاسما لعب دوره المنشود فى الحرب الى جانب سلاح القتال بعد أن كان ذلك من المستبعد بل الميئوس منه تماما وذلك بعد أن شهرت السعودية ومن ورائها العرب جميعا سيف البترول لموازنة الضغوط الصهيونية على القرارات الغربية ؛ وبذلك اتحد البترول والدم فى المعركة •

لقد ثبتت فعالية سلاح البترول فى المعركة كسلاح متصل التأثير لتحريك الأزمة ، متعاظم الفعالية لتوفير عنصر الضغط على العدو والزامه بقبول السلام القائم على العدل •

لقد انتهى زبيجنيو بريجنسكى مستشار الرئيس الأمريكى كارتر لشئون الأمن القومى فى احدى دراساته ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ الى أنه بدون الاسراع لايجاد مخرج لمشكلة الشرق الأوسط فان استقرار العالم لن يتحقق أبدا ، والى أن حل هذه المشكلة (ضرورة تاريخية محتمة) •

كما أعلن سيروس فانس وزير الخارجية الأمريكى فى احد تصريحاته أن سلام الشرق الأوسط له الأولوية رقم « ١ » فى السياسة الخارجية الأمريكية ، وأنه من الجوهرى للولايات المتحدة كمستهلك اساسى للبترول أن تهتم بهذه المنطقة من العالم •

لقد أدت هذه الحرب الى بداية سيطرة العرب على بترولهم بقرارات ـ زيادة سعره وخفض انتاجه وحظر شحنه ـ كانت من جانبهم وحدهم لأول مرة فى التاريخ ·

ولم يكن (رد الفعل) ازاء هذه القرارات الشجاعة اكثر من انشاء (وكالة الطاقة الدولية) لوضع السياسات العامة للدول الصناعية ازاء مشكلة الطاقة ورسم الخطط الخاصة باقتسام مصادرها فى حالات الطوارىء ·

لقد أدت هذه الحرب الى ارتفاع دخل البترول ارتفاعا كبيرا ومستمرا أدى بدوره الى التفكير فى تنظيم انتاجه للتقليل من استنزاف مخزونه وللموازنة بين عرضه وطلبه وللمحافظة على تصاعد سعره وللحفاظ على قوة الدفع للجهود اللازمة لتحقيق تسوية الصراع العربى الاسرائيلى ، وتوجيه بعض هذا الدخل لاستثماره داخل المنطقة العربية والقارة الافريقية ، ونقل بعض الأرصدة العربية تدريجيا من بعض البنوك الأجنبية ·

ثم هناك الآثار بعيدة المدى فى سوق البترول التى لم تقف عند حد رفع معدلات سعره وتحديد كميات انتاجه بل وتحديد وجهات شحنه ، بل شملت كذلك (مبدأ المشاركة) الذى بمقتضاه رفعت دول البترول العربى أنصبتها فى ملكية الشركات اتجاها لامتلاكها الكامل واختصارا لعمر الامتيازات الأجنبية للشركات العملاقة صاحبة السيطرة الكاملة على صناعة البترول (من البئر الى المستهلك) ، وليصير التعامل علنا وفى النور بين دول الانتاج ودول الاستهلاك ·

ثم هناك كذلك اتجاه الدول النامية ـ الذى تبلور بعد حرب أكتوبر ـ الى تكوين اتحادات مشابهة لمنظمة الدول المصدرة للبترول

(الأوبك) لترشـيد استثمار خاماتها الأخرى فى اتجاه تحسـين أسعارها وتنظيم انتاجها وتسويقها وفى مواجهة استنزافها من جانب الدول الصناعية الكبرى ، ودفع هـذه الدول الى الحوار معها بدلا من المواجهة ، لحل مشـكلات العالم فى مجالات الطاقة والخامات والنقـد والتمويل والتنمية فيما عرف بمؤتمر التعاون الاقتصـادى الدولى للحوار بين شمال العالم وجنوبه ٠

لقـد صـدقت نبوءة بيير مسمير رئيس وزراء فرنسـا غـداة الحـرب عنـدما قال أن العالم ـ نتيجة لحرب أكتوبر ـ قـد دخل مرحلة اقتصادية جـديدة ، ولن تعود أحوال العالم الى سابق عهـدها قبـل هـذه الحـرب ٠

لقـد كان تطبيق الأسعار الجديدة للبترول نقطة تحول تاريخية ، كما كان بمثابة هـزة عنيفة للاقتصاد الغربى فى مجموعه ، فلأول مرة فى التاريخ الحـديث يصـدر قـرار يؤثر فى الاقتصاد العالمى تأثيرا كبيرا من خارج الدول المتقـدمة ، وقـد نقل القـرار المبـادرة الاقتصادية الى أيدى الدول الناميـة وهو ما يعنى أن هـذه الدول المنتجة للمواد الأولية ـ ولا سيما الاستراتيجية منها ـ ليس ثمـة ما يحول بينها وبين محاكاة هـذا المثل الناجح مجردة من عقـدة الخوف أو الاخفاق ٠

لقـد خرقت الدول النامية المصـدرة للبترول بقـرارات رفع الأسعار نواميس العلاقات التقليدية ، وهى النواميس التى أضـفى عليها كهنة الدول المتقـدمة طابعا مقدسـا ، ولم تكن حـرب أكتوبر الا بداية للنهاية لهـذه العلاقات الجائرة ومن ثم لم يكن مسـتغربا أن يلقى موقف الدول النامية المصـدرة للبترول تأييـدا ومسـاندة من الدول النامية غير المنتجة للبترول تجاوزت حـدود المجاملة التقليدية

الى اتخاذ مواقف التضامن الفعلى بين شركاء المصير الواحد ، فبينما تبنت الدول المتقدمة الدعوة الى تكتل الدول المستهلكة للبترول فى وكالة الطاقة الدولية ، رفضت جميع الدول النامية المستوردة للبترول الانضمام الى هذه الوكالة وكان رد فعل الدول المصدرة للبترول هو رفض المواجهة بين المنتجين والمستهلكين والدعوة الى مناقشة أعم تشمل أسعار المواد الأولية وقضايا التنمية •

ولقد تجاوز الأمر قضية الأسعار الى قضية الانتاج وضرورة تحويل الثروة البترولية الى ثروة انتاجية فعلية بتنويع الهيكل الاقتصادى والدخول فى سوق صناعة البتروكيماويات وخلق مصادر جديدة للدخل غير معرضة للنضوب والحد من الاستثمار عن طريق للودائع المصرفية التى تفقد قيمتها •

ولقد ترجمت الدول النامية المصدرة للبترول هذا الاتجاه الأخير الى واقع ملموس فى توجيه جانب من فوائضها البترولية نحو مساعدة الدول النامية غير المنتجة للبترول سواء فى شكل قروض ميسرة أو فى شكل استثمارات مباشرة أو معونات غير مباشرة •

ان البترول العربى والمال العربى الذى تضاعف بعد حرب أكتوبر المجيدة ، هما مفتاح خريطة جديدة تتحدد ملامحها فى المنطقة العربية ، وتفرض نفسها على العالم الخارجى بقوة ضغط اقتصادى وسياسى فى مواجهة الدول الأقوى والأكبر ، ولصالح الدول النامية والمتخلفة •

ثم ان البترول العربى لم يفقد بعد امكانية اعادة استخدامه كسلاح فى أى معركة قادمة لأنه لم يفقد دوره التقليدى فى بناء

اقتصاد العالم ، فلم تنقص حاجة العالم للبترول ، ولم يستطع البحث العلمى حتى الآن ولسنوات قادمة أن يضع يده على بديل له ، ونصيب البترول العربى فى حجم التجارة العالمية لا يزال هو نفس الحجم المؤثر الذى كان يملكه رغم محاولة المستهلكين خفض استهلاك البترول لتقليل قيمة ما يدفعونه ثمنا له بعد الزيادة الكبيرة فى سعره ، وقبضة البترول العربى على الحاجة الأمريكية له تزداد قوة ، والدول المصدرة قد انتهت من فرض سيطرتها الكاملة على بترولها ، واستطاعت أن تقاوم كل عواصف الفرقة بينها ، وأصبحت فى وضع مادى أفضل كثيرا مما كانت عليه بعد انتهاء هذه المعركة ٠

ان أرقام الواردات البترولية الأمريكية فى احصائيات وكالة الطاقة الفيدرالية بعد حرب أكتوبر ، مقدر لها أن تصل الى رقم له تأثيره على الميزان التجارى الأمريكى وبالتالى على الدولار وضعف مركزه العالمى ٠

ولأول مرة فى تاريخ الولايات المتحدة ـ كما قال اقتصادى أمريكى كبير ـ يصبح أحد أهم عناصر تحديد الأسعار فى الولايات المتحدة موجودا خارجها : فى البلاد المنتجة للبترول ، ولعل هذا يعنى فيما يعنى أن حياة المواطن الأمريكى تزداد التصاقا بكل نقطة بترول تخرج من جوف الأرض العربية ٠

بل لقد أعلن هارولد براون وزير الدفاع الأمريكى أن النفقات الهائلة التى تنفقها الولايات المتحدة على قواتها المسلحة لا قيمة لها أمام خطر وقف امدادات البترول القادمة من الخارج ، وأن كل سبل الدفاع التى تبنيها الولايات المتحدة لن تتجاوز أكثر من بناء (خط ماجينو أمريكى جديد عديم الفائدة) ٠

لقـد دفـع التخوف من تزايد الاعتماد على البترول العربى حكومة الولايات المتحدة الى تخصيص الأموال الطائلة لبحوث الطاقـة البديلة (الذرية والشمسية وغيرها) بهـدف خفض اعتماد الولايات المتحدة على استيراد البترول ، وفى كلمة ألقـاها الرئيس كارتر أثناء الاحتفال (بيـوم الشمس) فى معهد بحـوث الطاقـة قال للشعب الأمريكى مشجعا « انه باستخدام الطاقـة الشمسية سنحقق استقلال البـلاد اقتصاديا ، ذلك لأنه لا أحـد يستطيع اجراء حظر على ضـوء الشمس » ٠

وكما ثبت أنه يمكن (تسييس) البترول العـربى ، واستخدامه كسلاح سياسى ، يجب أن يدخـل المـال العربى ـ الذى يستثمره العرب فى الخارج ، والذى لا يمكن أن نستوعبه الآن فى الداخـل ـ كسلاح سياسى آخر من أجـل الدفاع عن قضايانا ومصالحنا القومية ، ففى الوقت الذى يمر فيه العالم المتقـدم بأزمات مالية ونقـدية يجب أن تسارع (جماعات الضغط العربية) الى استخدام المـال العـربى المستثمر فى الخارج ، بمهارة وحكمة ، استخداما اقتصاديا وسياسيا معـا ٠

وقـد لا ننسى أن عـودة الملاحـة فى قنـاة السويس فى ٥ يونيو ١٩٧٥ بعـد أن ظلت أسيرة ما يدور على ضفتيها ، وازدهار التجارة العالمية وبعث الحياة كاملة فى موانى البحرين المتوسط والأحمر بمـا فيها الموانى العربية والمصرية علاوة على منطقة القنـاة ، كانت ثمرة حيـة لقرار العبـور التاريخى فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، كما كانت مؤشرا على رغبة مصر فى سلام العـالم ورفاهيته ، ممـا أعطى له صورة عن الجانب الحضارى للعقلية المصرية ٠

ولقـد كان ٥ يونيو من الأيام التى عبست فى حيـاة الشعب المصرى وتركت له ما يفكر فيه ويتأمله ٠

لقـد تحول ٥ يونيو ـ بغـودة الملاحـة ـ من يوم كانت العيون تهرب منه الى عيد صارت مصر تحتفل فيه ٠

ان اعادة فتح قنـاة السويس فى ٥ يونيو قـد حول هـذا اليوم الحزين الى عيد مصرى وعربى وعالمى زاد من تعميق انتصارات حرب ٦ أكتـوبر ٠

ولقـد دخلت المقاطعة العربية لاسرائيل مرحلة جـديدة من مراحل العمل العربى المشترك ، فبعـد أن كانت بمفهومها القـديم عملية ادراج الشركات الأجنبية التى تتعامل مـع اسرائيل فى (القائمة السوداء) الى أن تثوب الى رشـدها ، أصبحت بمفهومها الجـديد عملية جـذب اقتصادى لدول العـالم نحو المنطقة العربية ، وأداة من أدوات المعركة السياسية التى يخـوضها العرب ، وعملا ذا هـدف سياسى ومسلك اقتصادى يساند كل منهما الآخر ٠

ولقـد نجحت حرب أكتوبر فى احـداث صـدمة كهربائية فى وعى وادراك المثقفين الغربيين ـ ومنهم اليهود ـ ازاء الأمة العربية ، وذلك بمـا تضمنته هـذه الحرب من أداء عسكرى واقتصادى وسياسى بارز ، وبعـد أن استطاعت اسرائيل ـ خصوصا عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧ ـ تقـديم صورة ايجابية لهـا فى مقابل تشويه الشخصية العربية معتمدة فى ذلك على سـوء الأداء العربى على كافة المستويات بالاضافة الى التحيز الكامن فى الدوائر الثقافية الغربية ضـد العرب ، الشىء الذى جعل هذه الدوائر تشتغل بعملية (اعادة اكتشاف العرب) ، فتكتشف أن الحس التاريخى المرهف لديهم بالاضافة الى كبريائهم القومى المتوارث لا يمكن أن يؤدى بهم الى الاستكانة أمام الاحتـلال الأجنبى أيا كان مصدره ، وتقتنع بالحقائق التى دأبت اسرائيل على اخفائها السنين الطوال ، ومنها دعـوة منظمة التحرير الفلسطينية الى

دولة علمانية فى الوقت الذى تبرز فيه علامات استفهام كبيرة حول مدى مثالية كيان اسرائيل ، ومنها دعوة مصر الصادقة الى السلام العادل فى الوقت الذى تعانى فيه اسرائيل من مأزق العجز عن قبول السلام نظرا لعوامل متعددة تتعلق بأوضاعها الداخلية وسياستها الخارجية التى تمليها عليها عقيدتها الصهيونية العنصرية ٠

لقد دعا جورج بول مساعد وزير الخارجية الأمريكية السابق ـ على سبيل المثال ـ الرئيس الأمريكى كارتر الى (اعادة تثقيف) أعضاء الكونجرس والشعب الأمريكى أيضا ، لانقاذ المصالح الأمريكية فى أكثر مناطق العالم خطورة على هذه المصالح ، والى اتخاذ قرار عاجل فيما هو (عادل) ٠

لقد غيرت هذه الحرب صورة العرب التى كانت قد ارتسمت فى ذهن صناع السياسة الدولية ثم فوجئوا بأن الصورة لم تكن حقيقية ، ومن هنا بدأت المواقف تأخذ الوضع الذى يرى الحقائق التى غابت لسنوات طوال ٠

لقد أدت هذه الحرب الى تحريك أزمة الشرق الأوسط من جمودها الذى كانت تقبع فيه فى حالة يائسة وبائسة من اللاسلم واللاحرب ، ووضع دول العالم ومنظماته الدولية أمام مسئولياتها ، حتى أصبح الرأى العام العالمى شرقا وغربا يتساءل لأول مرة عن حقوق شعب فلسطين ٠

لقد توالت موجات قرارات الادانة من المنظمات الدولية المختلفة ضد الدولة الاسرائيلية والحركة الصهيونية خصوصاً فيما عرف بعام التأييد الدولى للقضية العربية والشعب الفلسطينى (١٩٧٥) ٠

ان قرار الأمم المتحدة بادانه الصهيونية بصفتها شكلا من أشكال العنصرية ؛ هـو أول قرار فى تاريخ المنظمة الدولية يدين السياسة التى أقيمت على أساسها اسرائيل ، كما أنه يعـد نصرا للقضـية الفلسطينية وتأييدا للشعب الفلسطينى فى كفاحه المسلح •

لقـد كان نصر أكتوبر بداية حقيقية لمطاردة الحركة الصهيونية فى معاقلها لفضح أسـاليبها ومخططاتها ، ولتمـزيق ارتباطاتهـا وتحالفاتهـا •

لقـد أدان (مؤتمر الأمم المتحدة لمكافحة التمييز والعزل العنصريين ـ الذى عقـد بمقر الأمم المتحدة فى جنيف) عنصرية الدولة الصهيونية فى اسرائيل ، كما أدان علاقاتهـا المتزايدة فى المجـالين العسكرى والاقتصادى ـ بوجـه خاص ـ مـع النظام العنصرى فى جنـوب أفريقيا ، واعتبر التعاون بينهما عملا عـدائيا موجها ضـد الشعوب المقهورة فى فلسطين وجنوب القـارة الأفريقية ، وأكد تأييد الشـعب الفلسطينى وشعوب أفريقيا الخاضعة للتمييز العنصرى فى نضالها ضـد النظم العنصرية •

ثم ان قرار الأمم المتحدة ببطلان الاجراءات الاسرائيلية التى تستهدف تغيير الوضـع القـانونى والطبيعـة الجغرافية والتركيب السكانى للأراضى العربية المحتلة بمـا فيها مدينة القـدس ، وهـو القرار الذى لم تعترض عليه الا اسرائيل وحـدها ، لهـو استنكار دولى شامل لسياسة اسرائيل العـدوانية والتوسعية •

لقـد نجحت هـذه الحرب فى تغيير النظرة الدولية حيال المواجهة العربية الاسرائيلية والحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، والأخـذ بالبعد الفلسطينى وحركة المقـاومة فى الاعتبار ، والتسليم بأن المشـكلة الفلسطينية هى قلب وجـوهر ولب الصراع العربى الاسرائيلى حيث

لا سلام بدون فلسطين ، وبضرورة الاستماع الى الصوت الفلسطينى ممثلا فى منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى والوحيد لشعب فلسطين ، والتى أشارت (وثيقة سوندرز) الى أنها منظمة سياسية جادة ، وبضرورة دعوتها للاشتراك فى جميع الجهود والمناقشات والمؤتمرات الخاصة بالشرق الأوسط ، التى تعقد فى اطار المنظمة الدولية ، وعلى قدم المساواة مع الأطراف الأخرى ، مما يعتبر اعترافا دوليا صريحا بها ، الشىء الذى أدى الى تمتعها بأوضاع قانونية وسياسية فى الأمم المتحدة بكافة مجالسها ومنظماتها ووكالاتها ، والى قبول فتح مكاتب لها فى عواصم العالم شرقه وغربه ، والى تصحيح وتطوير وضعها فى جامعة الدول العربية الى عضو كامل العضوية وعلى قدم المساواة مع باقى الدول الأعضاء فيها بكل ما يترتب عليه من حقوق ومسئوليات •

لقد نجحت هذه الحرب فى بلورة الهوية الفلسطينية وتوالى الاعترافات الدولية بوجود شعب فلسطين وبطبيعة قضيته السياسية قبل الانسانية وبحقه فى تقرير مصيره وتحديد مستقبله واسترجاع حقه فى اقامة وطن قومى يجسد طموحه فى العودة ، ويضع نهاية لشتاته ، كما يضع بدايه لاستئنافه المشاركة فى صنع الحضارة •

لقد نجحت هذه الحرب فى تحول هدف (عودة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى) الى مسئولية أخلاقية لا تستطيع أى دولة أن تتهرب من تحمل المشاركة فى تحقيقها ، وذلك بعد أن كان أغلب المجتمع الدولى متواطئا مع المشروع الصهيونى ؛ من خلال وعد بلفور ، والاحتلال البريطانى لفلسطين ، والانتداب البريطانى على فلسطين ، ومشروع التقسيم ، والاعتراف الدولى باسرائيل ، وقبول اسرائيل فى الأمم المتحدة •

وازاء هـذه المسئولية الأخلاقيـة الدولية يؤكد المتحـدث باسم السوق الأوروبية المشتركة « ان قضية الشرق الأوسط والشعب الفلسطينى لم تعـد قضية العرب وحـدهم ، وانما هى قضية عالمية يتوقف على نتائجها مصير السلام العالمى » •

كما يؤكد « ان حـل هـذه القضية حتمى ، وان عـودة الشـعب الفلسطينى الى أرضـه وحقـه فى تقرير مصيره لا يحتاجان الى نقـاش » •

كما يشير فى تصريح قريب له « انه من المؤسف أن يصبح سلام العـالم مرهـونا بأيدى حفنة فى اسرائيل تحاول نثر بذور الحرب فى العـالم وتتعمد عرقلة جهود السلام » •

لقـد وضع نصر أكتوبر ، وحملة السلام العربية التى تلته ، الاستراتيجية الاسرائيلية فى مأزق تاريخى أمام العـالم أجمـع بصورة بدا معها أن (عنصر الزمن) الذى كانت اسرائيل تلعب عليه قـد فقدته الى الأبد ، فقـد ازداد الحـق العربى وضوحا ، وضم الى جانبـه الرأى العام العالمى فى الشرق والغرب ، وتنامى حجم الشعب الفلسطينى ، وتأكدت حقـوقه الوطنية المشروعة والثابتة فى كل ساحة ومحفل ، وتأكد للعـالم كله أن أعظم جنرالات اسرائيل قـد قتل بعـد ست ساعات فقط من بداية هـذه الحرب ، وهـو على حـد قول قادة اسرائيل أنفسهم (جنرال اسمه الزمن) •

يقول ناحـوم جـولدمان « لقـد ذهبت جـولدا مائير شـوطا بعيدا حينما أنكرت وجـود الشعب الفلسطينى ، ولم يكن هناك فى الحقيقة أى مدلول أو معنى لكلماتها ، ان انكار الوجـود الفلسطينى تزوير للتاريخ غير قابل للتصـديق من أحـد ، هناك مشكلة فلسطينية

ولا حل للصراع العربي الاسرائيلي بدون حلها ، وهناك شعب فلسطيني ، شعب له هويته الخاصة وهو من أكثر الشعوب العربية قدرة وذكاء بل وربما تفوق نسبة المثقفين والمتعلمين داخله نسبتهم داخل أى شعب عربى آخر ، ومن حق الفلسطينيين أن يقرروا لأنفسهم ما يريدون ، اذا كانوا يريدون أن تكون منظمة التحرير هى الممثل الشرعى لهم فان على اسرائيل أن تقبل الحوار مع المنظمة ، واذا كانوا يريدون دولة فلسطينية فلا ينبغى أن يكون هناك ما يحول دون قيام الدولة ، ويمكن لهذه الدولة أن تكون على ارتباط سياسى مع الاردن ويمكن أن تكون مستقلة تماما ويمكن فى ظل السلام والعلاقات الجديدة أن تكون لها علاقاتها الاقتصادية مع اسرائيل ، تلك أمور يقررها الفلسطينيون لأنفسهم » •

ولقد أدت هذه الحرب الى احداث تغييرات هامة فى سياسات بعض الدول العربية مثل قرار موريتانيا والصومال تأكيد واقعهما العربى بانضمامهما الى جامعة الدول العربية ، وتفجر الصراع الاجتماعى فى لبنان منذرا بتغييرات فى الصيغة السياسية للحكم ، وبتأكيدات لوجه لبنان العربى •

ان الدور الذى لعبته الديبلوماسية الموريتانية والصومالية خلال حرب أكتوبر وقبلها ؛ كان دورا رائعا حيث تملك الدولتان علاقات متينة راسخة مع دول القارة الأفريقية •

ولقد كانت الحرب الأهلية اللبنانية ــ على بشاعتها ــ بمثابة فرصة ذهبية لاصلاح الخطأ فى الصيغة اللبنانية ؛ وذلك بالغاء الطائفية السياسية ووضع لبنان على الطريق العلمانى ، وافراز ميثاق وطنى جديد يحقق ولادة لبنان جديد من تحت أنقاض هذه الحرب •

ان الميثاق الوطنى اللبنانى كان مبنيا على التعاقد المشبع بروح التنازل ، الشىء الذى تمخض عن تركيبة طائفية لابد وأن تضطرب مع تطور المجتمع الوطنى والقومى على الساحة العربية كما حدث بعد نصر أكتوبر العظيم ، لقد كان هذا الميثاق يشكل تعايش نخبة حاكمة مع قاعدة محكومة ، كما كان يشكل كبتا لمثل هذا التطور الذى يولد معه المزيد من عوامل الانفجار ٠

ولقد أصبح واجبا على كل اللبنانيين أن يعترفوا بخطأ نظرية التوازن الطائفى بعد فشل تجربتها ومعاناة سلبياتها ، ولما ترمز اليه من التخلف واللاعصرية فى عالم اليوم ، وألا يقفزوا مِنْ فوق الحقائق التى أبرزتها الأزمة اللبنانية الى المجهول بظلامه الدامس دون اقتحام حقيقى لجوهر المشكلة ، وأن يقفوا وقفة شجاعة يعيدون فيها النظر فى نظام المؤسسات اللبنانية ، وأن يتبنوا خطا وطنيا تقدميا وموضوعيا للاصلاح الديمقراطى للنظام النيابى ، وأن يقدموا على الغاء مبدأ الطائفية فى الميثاق الوطنى وفى النصوص الدستورية والقوانين والتنظيمات وعلى مستوى الحقيقة الاجتماعية والسياسية من أجل التوصل الى علمانية كاملة للنظام السياسى ومن أجل خلق مجتمع الحرية والديمقراطية والعدل والسلام الاجتماعى فى لبنان الشقيق ٠

ثم هناك التغييرات الهامة فى سياسات بعض الدول الاسلامية مثل تسوية النزاع على الحدود بين ايران والعراق مما أدى الى انتهاء الحرب العراقية الكردية ٠

ان انهاء النزاع على الحدود بين العراق وايران ـ أكبر دولتين فى منطقة الخليج ـ قد وضع حدا للتوتر الذى طال بينهما والذى عرقل خطط التنمية فيهما ، كما أرسى قاعدة للتعاون العربى الفارسى

فى هـذه المنطقة التى تسبح فـوق أكبر مخزن للبترول فى العـالم ، ودعم جبهة الدول المصدرة له ، كما وضع حـدا لعلاقات الاستقطاب والتنافس على كسب مناطق النفـوذ بين القطبين الكبيرين السوفييتى والأمريكى بدعـوى مساندة أطراف النزاع ٠

ان انهاء النزاع أعطى العراق فرصة تسوية المشكلة الكردية التى استنزفت الكثير من طاقاته البشرية والمـادية وعرضته لاحتمالات الصـدام مـع ايران أثناء العمليات العسكرية فى الشمال ، وسمح له بمشاركة أكبر فى واجباته القومية علاوة على كسب ايران نفسها الى صف القضية العربية بشكل أكثر فاعلية ٠

ثم هناك التغييرات الهـامة فى سياسات بعض الدول الأوروبية مثـل تسليم أسبانيا بحـق المغـرب وموريتانيا فيمـا كانت تسميه بالصحراء الأسبانية ، وتسليم فرنسا بمبدأ استقلال ما كانت تسميه بالصومال الفرنسى (جيبوتى) ، وذلك تأكيدا لرغبة الدولتين الأوربيتين الصـديقتين فى تصفية صـــورتهما الاستعمارية القـــديمة استجابة لمبادىء الأمم المتحدة ومنظمة الوحـدة الأفريقية وجامعة الدول العربية ٠

ان قيـام دولة عربية جـديدة فى جيبوتى التى تطـل على الشاطىء الأفريقى الاستراتيجى الحاكم لمضيق باب المندب هـو ضمان اضافى لحمـاية الأمن العربى عند المدخـل الجنوبى للبحر الأحمر ٠

ان البحر الأحمر يجب أن يصبح أداة تكامل وترابط بين الدول العربية المطلة على شواطئه ، كما يجب أن يصبح برنامجا لعمل سياسى واقتصادى وعسكرى مشترك ، وذلك بعـد أن افتتحت حرب أكتوبر تحـولا جـديدا ومتزايدا الى الاهتمام بهـذا الممر الحيوى ٠

ان اسرائيل تسعى الى اثارة العـالم حـول باب المندب بسبب ما وقـع لهـا هناك فى أكتوبر ، تحاول اثارة مخاوف الجميع من وجود المضيق وجزره فى اطار السيطرة العربية ، أملها البعيد أن تروج لفكرة بريطانية قـديمة لتدويل المضيق ، وسعيها القريب أن تثير مخاوف اثيوبيا لتصل معها الى نوع من التواطؤ لتحصل فيها أو فى بعض جزرها على موطىء قـدم كنقطة وثوب استراتيجية تقابل تحكم العرب فى سواحل هـذا البحر وفى مدخله ٠

ان تنمية القـدرة العربية فى البحر الأحمر يزيد من أهميتهـا امتداد السواحل العربية على معظم شاطئيه ، ثم تزايد أهمية هـذا الشريان الحيوى فى نقـل البترول العربى ، علاوة على احتـدام الصراع بين القـوتين العظميين على شواطىء المحيط الهندى وفى جزره الأفريقية والآسيوية تنافسا على مناطق الارتكاز والنفـوذ والتسهيلات ، خاصة وأن قناة السويس بعـد اعادة فتحها تخفض الآن من نفقات التواجـد فى المحيط الهندى عبر البحر الأحمر ، فضلا عن موقف اثيوبيا التى لا تجـد اسرائيل غيرها متنفسا على البحر ، مستغلة خلافاتها مـع الصومال والسودان ، لتحاول معها التواطـؤ ضـد العرب ٠

ان كل الشواهـد تؤيد أن اثيوبيا ما زالت حريصة على طموحها التقليدى فى الوصول الى البحر الأحمر على حساب أراضى الآخرين كما كانت فى عصرها الامبراطـورى ، وهى ما زالت فى عهدها الجـديد تحتل جزءا كبيرا من أراضى الصومال الغربية فى اقليم أوجادين الذى نشط أهله العرب الأفارقة بعـد حرب أكتوبر فى مقاومة الاحتلال الاثيوبى ، لولا تدخـل الاتحاد السوفييتى وعملائه من الدول التى تدور فى فلكه وتقوم لحسابه مقام (حصان طروادة) ٠

وكانت اثيوبيا قـد احتلت ، بمعاونة ايطاليا ، مدينة هـــرر عاصمة الاقليم الغربى للصومال ، واتخـذت منها راس جسر لتوسع

أكبر داخل الصومال الغربى الذى لم يحدث عبر التاريخ أن كان خاضعا لاثيوبيا بل كان احدى المقاطعات الخمس التى تشكل الصومال الكبير •

ان النظرة الأمهرية العنصرية لحكام اثيوبيا الجدد ، لا تكاد تختلف عن نظرة الامبراطور للثورة الاريترية العربية التى نشطت هى الأخرى بعد نصر أكتوبر العظيم ولما طرحته من قضايا الأمن فى البحر الأحمر ، كان الامبراطور يحاول أن يحبس ثورة اريتريا عن سمع العالم ويصورها مجرد نوع من (الشفتا) أو قطاع الطرق ، وحكام اثيوبيا الجدد يصورونها مجرد عنف مصدر من بعض الدول العربية المجاورة للقضاء على الدولة الاثيوبية ، ولتحقيق حلم وردى يصبح البحر الأحمر بعده بحيرة عربية •

ان مغزى استقلال اريتريا ، المطلة على مضيق باب المندب والمتحكمة فى أرخبيل جزر دهلك فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، يكمن فى زوال الوجود الاسرائيلى فى هذه المنطقة الاستراتيجية ، ويعنى احكام حزام الأمن العربى فى البحر الأحمر ، وبدون استقلال اريتريا ستظل ثغرة الموت مفتوحة فى هذا الحزام ، وعليه فنظرة العرب الى مسألة اريتريا ليست نظرة نرجسية تحلم بمجرد تحويل البحر الأحمر الى بحيرة عربية بكل شطآنها كما يدعون •

ان مساندة العرب لثورة تحرير اريتريا يحتمها الواجب القومى ازاء شعبها العربى ، كما يحتمها الحرص على أن يظل البحر الأحمر كما كان فى واقعه التاريخى ـ بحيرة عربية كاملة ، كما يحتمها ضمان الأمن العربى بتعقب الجيوب الاسرائيلية التى زرعت فى شرق أفريقيا ، كما يحتمها الحرص على عدم وقوع الثورة الاريترية فى شراك الحرب الباردة بين القوتين العظميين ، خصوصا بعد أن غير الاتحاد

السوفييتى موقفه ازاء هـذه الثورة العربية من النقيض الى النقيض ؛ فتحول من مساندتها بشكل مستتر الى معاداتها بشكل سافر فى زحمة مساندته لحكام اثيوبيا الجـدد فى نزاعهم مـع الصومال على اقليم أوجـادين ٠

وليس من المستساغ أن تحشر الثورة الاريترية العربية على الاستعمار الاثيوبى الأمهرى ضمن الحركات الانفصالية الأفريقية كتلك التى وقعت فى جنوب زائير لاقامة دولة كاتنجا وقبلها فى جنوب نيجيريا لاقامة دولة بيـــافرا ، لأن اريتريا لم تكن قبـل غـــزوها من جانب الامبراطـورية الاثيوبية الا جزءا من الوطن العربى ، وقـد ظلت كذلك حتى فترة السيطرة العثمانية ومن بعـدها الاستعمار الايطالى ، فضلا عن أن ثورة اريتريا العربية ستضع حـدا للتسلل الاسرائيلى الى موقعها الاستراتيجى من خـلال التحالف غير المقـدس الذى كان يجمع بين (أســد يهـوذا) وبين اسرائيل ، والذى استمر يجمع بينها وبين حكام اثيوبيا الجـدد ؛ الذين رفعوا نفس شعار الامبراطـور (اريتريا ولو بدون الاريتريين) ٠

ان الايمان بالفكر الوحـدوى لا يجب أن يدفعنا كعرب الى الابقاء على اريتريا أسيرة لدى اثيوبيا ، والى التضحية بالشعب الاريترى وبعروبته وبأرضــه التى تكمل عروبة البحر الأحمر ، والتى يمكن أن تستغل ضـد الأمة العربية فى ظـل التحالف الاثيوبى الاسرائيلى ٠

لقـد حـذر الأدميرال ابراهام بوتزر القـائد العام السابق للقوات البحرية الاسرائيلية بلاده قائلا « اذا نالت اريتريا استقلالها فان كل البحر الأحمر سيصبح بحيرة عربية ، ولن تستطيع السفن الاسرائيلية المتجهة الى ايلات أن ترســو فى أى ميناء على طول الممر البحرى ، لأنه سيكون ميناء معاديا » ٠

ان قضية اريتريا هى قضية عربية ، وان شعب اريتريا هو شعب عربى منذ تزاوجت على أرضها العروبة والأفريقية فى القرن الأول الهجرى تماما كما حدث فى الصومال ، وهو شعب تشده الى أمته العربية روابط تاريخية وجغرافية واستراتيجية وثقافية وروحية ٠

ولقد ارتبط الصراع العربى الاسرائيلى دائما بقضايا البحر المتوسط ، وصراع القوى العظمى فيه ، الا أن حرب أكتوبر دشنت تحولا جديدا الى اهتمام دول منطقتنا بقضايا المحيط الهندى ، وصراع القوى العظمى فيه ، وخاصة بعد بروز قضايا الطاقة وقضايا تأمين طرق الملاحة الدولية ومنها أمن للبحر الأحمر وأمن الخليج ٠

لقد صار واجبا على العرب أن يشتركوا بايجابية أكثر فى الجهود المبذولة مع بعض الدول الأفريقية والآسيوية لجعل المحيط الهندى منطقة أمن وسلام ، وفى دعوة الدول الكبرى الى الامتناع عن اقامة القواعد العسكرية على شواطئه أو فى جزره ، وفى العمل على أن يتحول الى منطقة منزوعة السلاح النووى ، وأن يخرجوا بهذه الدعوة عن دائرة الشعارات والتمنيات ، لأن المحيط الهندى قبل كل شىء هو محيط أفريقى آسيوى ، وهناك دول عربية أفريقية وآسيوية كثيرة تطل على للبحر الأحمر والخليج وهما امتدادان أو مخرجان الى المحيط الهندى والاثنان جزء لا يتجزأ منه ، وهذا يقتضى من الدول العربية وبقية الدول الأفريقية والآسيوية أن تجعل من المحيط عنصرا من عناصر ترابطها ، ولأن المحيط الهندى هو خط الدفاع الأول للدول الأفريقية والآسيوية المطلة على شواطئه ، فعن طريق هذا المحيط تغلغل الاستعمار القديم فى القرون الماضية ، وعن طريق هذا المحيط أيضا سوف يتغلغل الاستعمار الجديد مالم تتكتل دول المحيط الهندى لمواجهته ٠

ولقد كانت حرب أكتوبر بمثابة صدمة لحلف الأطلنطى عندما اتخذت الدول الأوربية موقفا مستقلا خلال المعارك بين العرب واسرائيل ، بينما أرادت الولايات المتحدة من حلفائها الأوربيين أن يقدموا لطائراتها تسهيلات الهبوط فى مطاراتهم لتمكينها من اقامة الجسر الجوى الطويل لنقل الامدادات العسكرية من الولايات المتحدة الى اسرائيل .

لقد شعرت الدول الأوربية بالغضب الشديد من موقف الولايات المتحدة المتسلط تجاهها والذى تجاهل رغبتها فى موقف محايد بين العرب واسرائيل ، كما شعرت الولايات المتحدة بالغضب من موقف حلفائها الذين ينعمون بالحماية تحت مظلتها النووية والذين لا يذعنون لرغباتها كما هو الحال بين الاتحاد السوفييتى وحلفائه فى حلف وارسو .

ان نقل الولايات المتحدة لكميات من العتاد الحربى من مخزون حلف الأطلنطى فى أوربا وارسالها سرا الى اسرائيل دون أن تكلف نفسها بواجب ابلاغ الدول التى كان هذا المخزون موجودا فى أراضيها كما كانت تفعله ، قد أثار العديد من الأسئلة حول جدوى الحلف واذا ما كان الهدف منه يأتى من حيث الأهمية فى المرتبة الثانية بعد المصالح الثنائية الأمريكية الاسرائيلية ، وأذا كان الأمر كذلك فماذا يمكن أن يحدث لو شنت دول حلف وارسو هجوما على دول حلف الأطلنطى حينذاك ؟ .

كما أن اعلان الولايات المتحدة حالة (التأهب النووى) فى قواعدها الأوربية دون استشارة حلفائها الأوربيين قد أثار استياء هؤلاء الحلفاء الذين فوجئوا بهذا الاعلان المنفرد ، والذى اعتبروه اهانة وتهديدا لهم ، وبسبب انحياز حليفتهم الكبرى الى اسرائيل أكثر من انحيازها اليهم ، الأمر الذى أدى الى زيادة التعاطف بين الأوربيين والعرب .

ولقد تسببت نتائج حرب أكتوبر ـ فى جانب مؤسف منها ـ فى محاولة سلب استقلال قبرص والغاء عدم انحيازها وضمها الى اليونان عندما كانت تحكمها الطغمة العسكرية ، وذلك تمهيدا لاقامة القواعد العسكرية فيها ، وخاصة أنها تقع فى الطرف الجنوبى الشرقى لحلف الأطلنطى الذى أدرك فشل اسرائيل كقوة ضاربة تحمى مصالحه فى منطقتنا العربية .

لقد كان استقلال قبرص وسياستها القائمة على عدم الانحياز ضمانة قوية لعدم استخدام الجزيرة قاعدة للتدخل ضد العرب أو للعدوان عليهم كما حدث عام ١٩٥٦ .

لقد كان استقلال قبرص ضحية انتصار العرب فى أكتوبر العظيم ؛ فقد حاولت قوى التآمر التى تستهدف خدمة المصالح الاستعمارية والصهيونية تحويل الجزيرة الى قاعدة لحلف الأطلنطى لقربها من بؤرة الصراع فى الشرق الأوسط ، ولقربها من دول المواجهة الرئيسية مع العدو الصهيونى ، ولقربها من قناة السويس التى تؤدى الى منابع البترول العربى ، ولعلنا نذكر الصيحات التى انطلقت من بعض العواصم الغربية تهدد باحتلال هذه المنابع فى ذلك الحين ، وفى فترة ارتفعت فيها حمى مصادقة العرب وتهديدهم بالحرب فى وقت واحد ، فتحركت هذه القوى لاغتيال الأسقف مكاريوس صديق العرب ، ولتصفية قيادته الوطنية الديمقراطية اللامنحازة بالانقلاب العسكرى الذى خططت له الحكومة العسكرية الدكتاتورية فى اليونان بعد تسعة أشهر فقط من حرب أكتوبر المجيدة ، وذلك بالتواطؤ مع العناصر القبرصية اليونانية المتطرفة المتمثلة فى منظمة (أيوكا) السرية الداعية الى (اينوسيس) أو ضم قبرص الى اليونان بالقوة ، ولقد فشلت هذه المحاولة بعد غزو تركيا لشمال الجزيرة وسقوط الطغمة العسكرية فى اليونان وعودة الديمقراطية اليها اذ كان فشل

المؤامرة على استقلال قبرص وعـدم انحيازها على يد الغزو التركى لشمال للجزيرة مقدمة لاستعادة اليونان لديمقراطيتها ، ثم عـودة للحـوار بين الأتراك واليونانيين حـول مستقبل الجزيرة •

ولقـد أكدت حرب أكتوبر سياسة عـدم الانحياز التى ننتهجها ، والتى كنا أحـد دعاتها ومؤسسيها ، وأصبحت علاقاتنا مع الدولتين العظميين (علاقات طبيعية) ولم يعـد لنـا باحدى هاتين الدولتين (علاقات خاصـة) •

ولقـد حققت هذه الحرب كسبا كبيرا لشعوب دول العالم الثالث ، التى رأت فى الشرق الأوسط نمـوذجا حيـا لمـا تستطيع أن تحققه لو أنها تضامنت فى خطة عمل موحـد تعتمد على عمـل وعلم وايمـان أبنائها ، حتى أننا سمعنا عن تعاون (دول المواجهة) حول روديسيا وجنـوب أفريقيا •

لقـد كانت حرب أكتوبر تشريفا لأنبـاء أفريقيا وانتصارا لثوار القـارة فى كفاحهم ضـد الاستعمار الاستيطانى والعنصرية البغيضة والاستعمار الجـديد •

ولقـد أدى وقوف دولة جنوب أفريقيا العنصرية الى جانب الدولة الصهيونية بشكل سافر فى الحرب الى سقوط القناع عن وجه اسرائيل القبيح ككيان عنصرى استعمارى استيطانى يجـد أحـد مبررات وجوده فى خـدمة المصالح الامبريالية ، بعـد أن كانت تقـدم الصهيونية لدول العالم الثالث ــ ومنها الدول الأفريقية ــ كجزء من حركة التحرر الوطنى •

لقـد عبر عن هـذا المعنى أخيرا ناحـوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى السابق عندما أعلن على المؤتمر قبل اعتزاله « لقـد

أصبح وجـه الاسرائيليين عبر العـالم كله أكثر قبحا ، اننا نخاصم السلام ونخاصم التقـدم ونخاصم كل حركات المستقبل ، ولا نجـد حليفا سوى العنصرية البغيضة فى جنوب أفريقيا » •

ولعل جـون فورستر رئيس وزراء حكومة الاستعمار الاستيطانى العنصرى السابق فى جنوب افريقيا قـد فضح العلاقات الوطيدة والمصير المشترك لاسرائيل وجنوب أفريقيا عندما قال خلال الحرب « ان هزيمة اسرائيل تعرض جنوب أفريقيا لنتائج خطيرة » •

لقـد كانت حرب أكتوبر حلقـة جـديدة فى سلسلة الكفاح المشترك للشعوب العربية والأفريقية ضـد القلاع العنصرية البغيضة والكيانات الاستيطانية الغريبة والجيوب الاستعمارية المستغلة فى الساحتين العربية والأفريقية ، حيث دعمت هـذه الحرب التضامن المشترك والتعاون المتبادل بين العرب والأفارقة •

ان هـذه الحرب العظيمة وما أسفرت عنه من نتائج كانت فرصة مواتية جمعت الأفارقة والعرب فى كتله واحـدة قالت كلها كلمة واحـدة ضـد العنصرية والصهيونية والاستعمار •

لقـد أدت هـذه الحرب الى تصاعد عـدد الدول الأفريقية التى قطعت علاقاتها باسرائيل منذ أن بدأته أوغندا فى مارس ١٩٧٢ وتسابقت عليه غيرها فى أسابيع الحرب ، الشىء الذى أدى الى تعزيز المقاطعة العربية لاسرائيل من ناحية أفريقيا •

ثم قطعت منظمة الوحـدة الأفريقية علاقاتها مـع اسرائيل بعـد أن قطعت أغلب الدول الأفريقية علاقاتها معها تضامنا مـع الحـق العربى واثر اكتشافها للدور التخريبى الذى تمارسه اسرائيل فى القارة

وتغلغلهـــا فى سياسات واقتصاديات وجيـوش ومخـابرات الدول الأفريقيه ، وبعـد ربطها عنصرية جنوب أفريقيا وروديسيا بعنصرية اسرائيل الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية •

ان الوقفة الرائعة التى وقفتها أفريقيا ضـد أسرائيل لفتت أنظار الدنيا كلها الى ما يملكه النضال الأفريقى العربى من أسلحة قادرة على تحقيق النصر •

لقـد أدرك الأفارقة ضرورة العمل مـع العرب ضـد نظـامين عنصريين غريبين ومتشابهين ومتعاونين فى اسرائيل وجنوب أفريقيا داخـل حلف غير مقـدس ، فكلاهما نظام متعجرف متغطرس يدعى نقاء الجنس والتفـوق كما يدعى تمثيل حضارة الرجل الغربى الأبيض ، وكلاهما يمارس بالعنف الدموى التفرقة العنصرية ويستعير من الآخر أساليب الاســـتيلاء على الأرض وطرد أصـــحابها الشرعيين واقامة المستعمرات المسلحة كما يتعاون معــه فى محاربة منظمات التحـــرير وتخريب الدول العربية والأفريقية من الداخـل علاوة على غزوها ، وكلاهما غير مرغـوب فيه من الدول المجاورة له ومستبعد من منظماتها الاقليميـــة ، وكلاهما ينتهك قرارات الأمم المتحدة ويقـــابل بالرفض والاستنكار من المجتمع الدولى •

لقـد ساعدت هـذه الحرب على دفــع الحوار العربى الأفريقى ، وتعـدد اللقــاءات العربية الأفريقية (ومنها مؤتمر القمة العربى الأفريقى الأول الذى وافق على انشاء اللجنة الدائمة للتعاون العربى الأفريقى) ، وظهور المجموعات والمؤسسات الاقتصادية المشتركة تحقيقا للتكامل الاقتصادى بين المـال العربى والخام الأفريقى ، واعلان ميثاق التعاون العربى الأفريقى اعترافا بوحـدة النضال ووحـدة الهـدف ، وتكذيبـا لمقولة التناقض بين الشعوب العربية والأفريقية •

لقـد أدرك الأفارقة والعرب أن القـارة الأفريقية والمنطقة العربية تواجهان مصيرا واحـدا ، وأن اللقـاء الأفريقى العربى يرتكز على أسس يستحيل التجاوز عن أهميتها لأنها تشكل قاعـدة أساسية استراتيجية تقـوم على مقومات طبيعية وحضارية يتفاعل معها النضال الأفريقى العـربى المشترك .

وأخيرا فان الاهتمام بتوثيق العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين العرب والأفارقة عن طريق التعاون الثنائى بين جامعـة الدول العربية ومنظمة الوحـدة الأفريقية هـو ركن هام من أركان الاستراتيجية التى ترتكز عليها سياستنا الخارجية العربية بعـد نصر أكتوبر العظيم .

ولقـد نجحت هـذه الحرب فى دفـع الأطراف الدولية المختلفة ، والتى لهـا مصالح فى اقرار السلام الدائم والعادل فى الشرق الأوسط ، الى الاسهام بجهدها وضغطها من أجـل دفـع عملية السلام .

لقـد تخلت مجموعة الدول الأوربية الغربية بصورة أكثر جـدية عن دور المتفرج ازاء أزمة الشرق الأوسط ، وأصبحت تسعى الى تحـديد موقفها بصورة أوضح ، والى اثبـات كيانها وقـدرتها على التأثير ، بعـدما أدركت أن نشوب حرب جـديدة - مـع ما يترتب عليه من حظر بترولى جـديد - سيكون بمثابة كارثة لها بعـد ما دفعت ثمنـا باهظا خلال حرب أكتوبر ، وأنها قـد تدفـع ثمنـا أفـدح ان هى تخلفت عن ركب السلام .

وهـذه مجموعة (الدولية الاشتراكية) بعـد أن ظلت منطقـة نفـوذ يجول ويصول فيها حزب العمل الاسرائيلى ، وبعـد أن كانت احـدى الركائز التى تعتمد عليها اسرائيل كحليف لا شروط له ، قـرر

مؤتمرها ـ الذى انعقد فى لنـدن عقب نصر أكتوبر مباشرة ـ ارسال وفـد برئاسة برونو كرايسكى مستشار النمسا لتقصى الحقائق فى المنطقة العربية ، ومن وقتها بدأ عبور العمل المصرى والعربى داخـل قلعـة الدولية الاشتراكية بفضل ما فجره نصر أكتوبر من متغيرات دولية ، وبفضل النظرة الموضوعية المستقلة لقائد الدولية الاشتراكية برونو كرايسكى الذى وضـع (ورقـة عمـل) عكفت أحزاب أوربا الاشتراكية على دراستها حتى تستمد موقفها ازاء الصراع العربى الاسرائيلى من الحقائق التى تضمنتها ٠

ولقـد تطور الأمر الى كسب هـذه الأطراف الدولية الى جانب الحـق العربى ، فهذه مجموعة دول السوق الأوربية المشتركة ، وفرنسا دولة رائدة فيها ، والتى استطعنا تحييدها تماما قبل الحرب ، اتخـذت موقفا متطورا ينمو مـع الأيام ، وصـل الى حـد المشاركة فى قيـام صناعة انتاج السلاح فى مصر ، بعـد أن كانت منذ فترة زمنية قصيرة موردا رئيسيا لاسرائيل ٠

لقـد تغير الحال وأتى اليوم الذى صرح فيه الرئيس السادات بقـوله « اننا نعتمد على السلاح الفرنسى بشكل أساسى لأنه لا يمكننا الاعتماد على الولايات المتحدة كمورد رئيسى للسلاح » ٠

لقـد نجحت حرب أكتوبر فى اعطاء دفعـة قـوية للحوار العربى الأوربى على نحو يرتضيه العرب ، فتوالت القرارات السياسية الأوربية التى تؤيد الحقوق العربية والفلسطينية ، والتى تزيد من عزلة اسرائيل عن المجتمع الدولى ، والتى تنأى بالمشكلة عن احتمال استقطابها بين شقاق أو وفاق الدولتين العظميين ٠

وتقـول (وثيقـة كرايسكى) التى وضـعها وفـد (الدولية الاشتراكية) لتقصى الحقائق فى المنطقة العربية بعـد نصر أكتوبر

« ان للنظم الحالية للدولية الاشتراكية تسمح الآن بنظرة جديده للتعاون مع الأطراف العربية ، واننا بحاجة داخل الدولية الاشتراكية الى أن ننظر للأمور نظرة موضوعية ، ان العالم العربى سوف يكون طرفا طبيعيا فى التعاون مع أوربا ، وان عودة السلام بين العرب واسرائيل هو عنصر أساسى فى تدعيم هذا التعاون ، كما أن مساعدات العالم العربى لتنمية أفريقيا هو موضوع يهم أوربا أيضا » .

لقد أدت هذه الحرب الى ترسيخ الايمان بأن سلام الشرق الأوسط يؤثر على سلام البحر المتوسط بل ويؤثر على سلام العالم ؛ وسلامة اقتصادياته ومعدلات تنميته .

لقد تبلورت حقيقة أن أمن البحر المتوسط أصبح مرادفا لأمن الشرق الأوسط ، لأن الدول المطلة على هذا البحر ، والتى ليست طرفا أصليا فى النزاع العربى الاسرائيلى ، قد أصبحت أطرافا غير مباشرة فى هذا النزاع بحكم ارتباطاتها أو الأحلاف المنتمية اليها ، شرقية كانت أم غربية .

لقد تبلورت حقيقة أن الأمن الأوربى لن يتحقق مالم تخف حدة المواجهة بين الأساطيل الأمريكية والسوفييتية فى البحر المتوسط ، وأن الأزمات عندما تنفجر على أرض الوطن العربى لابد وأن تنتثر شظاياها على أرض القارة الأوربية ، وأن الاستقرار فى الشرق الأوسط من شأنه أن يدعم الاستقرار السياسى والاقتصادى فى أوربا .

لقد أدت هذه الحرب الى تزايد وعى شعوب البحر المتوسط بالطبيعة التكاملية لمصالحها السياسية والاقتصادية والثقافية .

أن التعاون والتكامل بين شاطئى البحر المتوسط بشماله الأوربى ، وجنوبه مع شرقه العربى ، يفتحان أمامنا الطريق الأولى

والأقرب نحو الانفتاح الدولى ، ويجسمان حقيقة وضــع اسرائيل الشاذ على الشاطىء العربى ، ويساعدان على تحرير مياه هـذا البحر المشترك من القوى الغريبة عنه ، ويدفعان الخطى نحو الوحدة الأوربية المرتقبة ، وللوحـدة العربية المرجوة •

ان (اعلان القاهرة) للصداقة والتعاون بين كل من مصر ـ مدخل المنطقة العربية ومخزن فكرها ـ وفرنسا ـ مدخل القارة الأوربية ومخزن فكرها ـ هو تأكيد لدورهما فى حوض البحر المتوسط ، كما هـو تأكيد لاستعادة دور البحر المتوسط كهمزة وصل بين شعوبه ، وسعى الى تصحيح وتطوير علاقات التعاون والتكامل بين مجموعة الدول المطلة عليه ، كما هـو سعى الى التعجيل بتحقيق آمال للوحـدة العربية ، وللوحـدة الأوربية ، والتضامن العربى الأوربى •

ولقـد نجحت حرب أكتوبر فى اصابة وتعطيب أكبر سـلاح استخدمته اسرائيل ضـدنا منذ نشأتها وهـو انحياز الولايات المتحدة بالكامل لهـا وذلك بعـد كسر اقتناعها بأن اسرائيل قـوة لا تقهر ، وتحويل انحيازها ـ على الأقـل ـ من انحياز (أعمى) الى انحياز (مفتوح العينين) على مصالحها الاستراتيجية فى منطقتنا العربية •

لقـد نجحنا فى تفجير التناقض بين الولايات المتحدة واسرائيل التى تحـولت بعـد حرب أكتوبر الى خطر داهم على المصالح الأمريكية البترولية وغير البترولية فى المنطقة العربية ، بعـد أن كانت الحارسة عليها والحامية لهـا والمدافعـة عنها على مدى الربع الثالث من هـذا القرن العشرين ، كما نجحنا فى اسقاط نظـرية الحارس الاسرائيلى للمصالح الأمريكية فى المنطقة العربية ، واقتنع الأمريكيون أخيرا بأن مصالحهم فى المنطقة العربية لا يحميها الا التفاهم مـع العرب •

وفى المقابل نجحنا فى مد جسور للتفاهم بين المنطقة العربية والولايات المتحدة ، وهى جسور قابلة للاتساع اذا أحسن بناؤها وهو ما يتم حتى الآن ، ان نار حرب أكتوبر العسكرية والبترولية قد جعلت (الحديد الأمريكى) ساخنا للطرق ، وذلك لأول مرة فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى ، ولقد شرع العرب فى طرق الحديد الأمريكى حتى أحدث وما زال يحدث تغييرا له وزنه فيما يتصل بالعلاقات الأمريكية الاسرائيلية فى اتجاه (فك الارتباط) من ناحية ، وللعلاقات الأمريكية العربية فى اتجاه (فك الاشتباك) من ناحية أخرى ٠

ان اتجاه الدول العربية الى صداقة الولايات المتحدة هو اتجاه الى سحق رأس الأفعى (اسرائيل) بدلا من الاكتفاء بضرب ذيلها ، فطالما أن هذه الأفعى تعيش وتتنفس وتنمو وتنهش بقوة الخبز والسلاح الأمريكى ، فليس من المعقول ولا من المقدور عليه فى هذه المرحلة أن نترك الولايات المتحدة ميدانا ترتع وترمح فيه اسرائيل باعلامها ودبلوماسيتها لتكسب وحدها خبزها وسلاحها وصداقتها وتأييدها ، والى حد يقترب من اعتبار اسرائيل احدى الولايات الأمريكية ٠

ان السياسة الأمريكية تجاه العرب بعد حرب أكتوبر المجيدة قد أخذت اتجاها مغايرا لما ألفناه قبلها بالقدر الذى جعل للحكومة الأمريكية تعترف بالمصالح العربية ، وبأن العرب قد أصبحوا قوة لا يمكن تجاهلها أو تحديها ٠

لقد تبين للأمريكيين خطأ تصورهم أن اسرائيل تستطيع أن تنتصر على العرب فى أى معركة وفى أى وقت ، بل لولا التدخل الأمريكى المباشر لمساعدة اسرائيل فى أكتوبر لتغير الوضع فى المنطقة بشكل كبير ، وهذا هو السر فى الحملة التى قادتها اسرائيل على الرئيس

الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون ووزير خارجيته هنرى كيسنجر ، اللذين لمسا الوضع على حقيقته واختبرا عمليـا كذب الوهم الذى نجحت اسرائيل فى أن تجعل الأمريكيين يعيشونه بعـد حرب يونيو ١٩٦٧ ، هـذا فضلا عن تعاظم قوة سلاح البترول الذى أصبح يشكل للأمريكيين شبحا يقلقهم ويفرض عليهم أن يفكروا مرتين قبـل أن يقـدموا على أى خطـوة تضر بمصالح العرب ٠

- - -

لقـد كان هناك حلف اسرائيلى بريطانى به قامت اسرائيل وأصبح فى ذمة التاريخ ، ثم تبعـه حلف اسرائيلى فرنسى آخر به شحذت اسرائيل آلة حربها وأصبح فى ذمة التاريخ أيضـا ، والآن يفقـد التطابق الآلى بين الموقف الاسرائيلى والموقف الأمريكى كثيرا من مبرراته المصطنعة ؛ ليصير يوما قرب أم بعـد فى ذمة التاريخ كذلك ٠

ولسوف يذكر التاريخ العربى المعاصر تصريح الرئيس الأمريكى جيمى كارتر بضرورة انشاء وطن قـومى للفلسطينيين فى فلسطين باعتباره (تصريح بلفـور جـديد) ٠

لقـد وصف الفريد آثرتون مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط يومئذ تصريح الرئيس الأمريكى بأنه « خطـوة ضخمة للأمام نحـو الاعتراف بحقائق الأمور فى منطقة الشرق الأوسـط » ٠

وقـد لا يفـوتنا أن هناك رأى اقتصادى يقـوم على أن الولايات المتحدة قـد أفادت من الحرب البترولية العربية فى جانب معقـد منها رغم أنها الدولة المقصودة من جانب العرب فى المقـام الأول بهـذه الحرب ، ويتعلل هـذا الرأى بسبب زيادة اقبـال للدول المستهلكة للبترول على الدولار الأمريكى لتسديد ثمن البترول الذى تضاعف ،

وذلك بعد أن بدأ العالم يتحدث منذ نهاية الستينات عن طرد الدولار الأمريكى من موقعه المتميز كعملة أساسية ، وبسبب تباطؤ حركة النمو الاقتصادى فى أوربا الغربية واليابان نتيجة زيادة تكلفة البترول المستورد بعد أن كانت هذه الحركة فى بعض هذه الدول مثل ألمانيا واليابان تسبق حركة النمو الاقتصادى فى الولايات المتحدة بل وتهدده ، ولكن هذا الرأى وان صح وقتئذ لا يقلل من شأن الاعتراف بالحاجة الأمريكية المتزايدة للبترول العربى فى المدى المنظور ·

ولقد وضع نصر أكتوبر قيودا حددت من قدرة اليهود الأمريكيين على الضغط عن طريق قواعدهم فى الكونجرس ووسائل الاعلام ودوائر المال ودوائر الحكومة لتحديد مسار الخط السياسى الأمريكى لصالح سياسة اسرائيل العدوانية التوسعية ، بعد أن خلق هذا النصر حقائق عسكرية وسياسية واقتصادية هزت أسس السياسة الأمريكية المستقرة على نمط معين فى الشرق الأوسط ، وبعد أن أثبت لأول مرة تناقض المصالح الأمريكية مع السياسة الاسرائيلية ·

لقد أصبح هناك تيار يتنامى بين اليهود الأمريكيين المهتمين بالصراع العربى الاسرائيلى والحريصين دون شك على (مستقبل) اسرائيل من منظور (غير تقليدى) ، أصبحوا يعتقدون منذ حرب أكتوبر وما اقترن بها من دخول البترول العربى وأمواله سلاحا فى الصراع ، بأن أولويات السياسة الاسرائيلية وأسسها ينبغى أن تتغير على ضوء تغير أولويات السياسة الأمريكية ذاتها ·

لقد أضعفت هذه الحرب من حدة الضغط الذى تمارسه (مجموعات الضغط اليهودية) الأمريكية على صانعى القرار الأمريكى ، بعد ان كان هذا الضغط مسألة طبيعية لا تواجهها أية صعاب لتطابق

السياسة الاسرائيلية مع المصالح الأمريكية ، ولأن ما كان يفعله اليهودى الأمريكى لحساب اسرائيل لا يختلف عما هو مطلوب من أى مواطن أمريكى آخر ، بل لقد تم تحييد بعض هذه المجموعات الضاغطة وتحويل بعضها الآخر الى قوة ضاغطة على اسرائيل نفسها ، كما سمح التقليل من حدة للضغط اليهودى بنشأة نواة أو خلق متنفس لضغط عربى مقابل ٠

لقد كان نصر أكتوبر فرصة مواتية للولايات المتحدة لكى تتخلص من التأثير الصهيونى على القرار الأمريكى ولكى تعيد بناء جسور المودة مع العرب ٠

لقد نصح السيناتور الأمريكى السابق ويليام فولبرايت للرئيس الأمريكى السابق جيرالد فورد قائلا « هذه فرصة أمريكا وفرصتك لكى تخلصها من النفوذ الصهيونى ولكى تعيد علاقتها بالعرب ، وعليك أن تتخذ القرار لتدخل به التاريخ كأول رئيس يؤكد استقلالية القرار الأمريكى » ٠

ولقد أدت حرب أكتوبر الى ازاحة الستار تماما عن نوايا الاتحاد السوفييتى فى منطقتنا العربية ، وثبت بالدليل الملموس وبالبرهان المحسوس أن (حركة الشيوعية الدولية) جنبا الى جنب مع (حركة الصهيونية العالمية) ـ وان تختلفان فى أهدافهما ـ تتفقان فى ضرب (حركة القومية العربية) التى كانت حرب أكتوبر أعظم مناسبة لتأكيدها ٠

لقد طالب الاتحاد السوفييتى فى بيان مشترك مع الولايات المتحدة فى العام السابق للحرب بالاسترخاء العسكرى لفرض حالة

دائمة من اللاسلم واللاحرب فى منطقتنا العربية أفشلناها وتحـديناها باقـدامنا على الحرب كما أسلفنا •

ثم رفض الاتحـاد السوفييتى بعـد نصر أكتوبر امداد مصر بصفقات الأسلحة المتعاقد عليها قبل الحرب أو تعويضها عن السلاح الذى فقـدته خلال الحرب أو امدادها بقطع الغيار اللازمة للأسـلحة المتبقية بعـد الحرب •

لقـد بعثت القـاهرة خلال الشهور الستة التى أعقبت حرب أكتوبر بأربع طلبات رسمية الى موسكو من أجـل معدات حربية كان الرد الوحيد عليها (ان الطلب قيد البحث) •

لقـد أوعز الاتحاد السوفيتى الى الهند بألا تستجيب لطلب مصر امدادها بقطع الغيار المتوفرة لديها ، ممـا دعى الصين الى المبـادرة بمساعدتنا بتقـديم المحركات ، ثم ساعدتنا الولايات المتحدة وبريطانيا باجراء العمرة للطائرات ، الشىء الذى دعا الرئيس السادات الى أن يقول « ان السوفييت قـد كشفوا لنـا ـ عن غير قصـد ـ عن أصـدقاء جـدد فى الشرق والغرب » •

لقـد كف الاتحـاد السوفييتى عن ترديد شماتته « ان طائرات مصر نائمـة على الأرض لا تطير كأنها طيور قصت أجنحتها فتحولت من نسور الى دواجن » •

لقـد لمس الرئيس الجزائرى هوارى أبو مدين أثناء زيارته السرية للاتحـاد السوفييتى خلال أيام الحرب لشراء الأسـلحة لمصر وسوريا (نقـدا ومقـدما وبالدولار) مدى حقـد القـادة السوفييت على الانتصارات المصرية التى أرادوا لهـا أن تتوقف منذ اليـوم الأول

ممـا دعاه الى أن يصرح لأعضاء مجلس قيادة الثورة الجزائرية بعـد عـودته بقـوله « أريد أن أصارحكم بشيء عجيب : اذا كانت اسرائيل والولايات المتحدة تريدان القضاء على السادات مرة ، فان الاتحـاد السوفييتى يريد القضاء عليه ألف مرة » .

لقـد أمسك الاتحاد السوفييتى السلاح عن مصر بينما أغـدق وأغرق به بعض الدول (بل أقـول بعض الأنظمة) العربية الأخرى بلاحساب والى الحـد الذى يفـوق طاقاتها على استيعابه لأنه يعلم أن مصر هى القـادرة على الحرب والنصر ، وأن مصر هى التى تملك مفتاح الحرب والسلام ، وأن السلاح مهما تراكمفى ترسانات بعض الأنظمة العربية الأخرى ـ كما ونوعا ـ فهو حـديد جامد بارد لا حراك فيه ولا حياة ، وهـو اذا تحرك فلن يتحرك ضـد الاسرائيليين ، وانمـا يمكن أن يتحرك ضـد العرب فى لبنان والسودان والمغرب وموريتانيا وعمـان ومصر ، أو يساهم مـع أسلحة اسرائيل فى اثيوبيا ضـد عرب اريتريا والصـــومال .

لقـد رفض الاتحـاد السوفييتى اعادة جـدولة ديوننا المستحقة له ثمنـا لأسلحته مراعاة لظروفنا الاقتصادية عقب حرب أكتوبر ، بينما كان قـد استباح لنفسه أن يمتنع عن دفـع ديونه المستحقة للولايات المتحدة ثمنا لأسلحتها التى قـدمتها له خلال الحرب العالمية الثانية طبقا لاتفاقية (الاعارة والتأجير) .

ان الاتحـاد السوفييتى لا يستطيع أن يدرك فى هـذه الآونة أن سياسته فى منطقتنا العربية محكوم عليها ، وأنه لن يستطيع ـ كما فشل غيره ـ أن يقف ضـد ارادة الشعوب .. أو ضـد حـركة التـاريخ .

ان الارتباطات الأيديولوجية فى المنطقة العربية لا تزيد فى الواقــع عن كونها قرارات قيادية تنجم غالبا عن تورطات سياسية ، وهى لا ترقى الى درجــة العقيدة والكوادر ، بل شعارات بلا مضمون وفرقاء بلا تنظيم ٠

ان هــذه القيادات المؤقتة مستعدة فى أى وقت لخلع هــوياتها العقائدية ؛ فيما عــدا الانتماء المقــدس الى تراب الوطن العربى ٠

تقــول (وثيقــة كرايسكى) التى وضعها وفــــد (الدوليــة الاشتراكية) لتقصى الحقائق فى المنطقة العربية بعــد نصر أكتوبر « ان الاتحــاد السوفييتى ليس لديه نفــوذ عقائدى هام فى العــالم العربى ، وان نفــوذ الاتحــاد السوفييتى يكون هاما ــ فقط ــ فى حالة الحرب واحتياج الدول العربية للتعاون العسكرى معه » ٠

ولقــد أدت حرب أكتوبر الى ارتفــاع العرب الى ذروة الوعى بالمصير الواحــد ، فانطلقت جيوشهم الى لهيب المعركة عازمة على تخطى الخلافات وتجــاوز الحساسيات التى كان يعــانى منها الجسد العربى ، وسادت روح الأسرة فى ساعة العسرة ، وتحقق حــلم (قــومية المعــركة) ٠

لقــد كانت هــذه الحرب أروع انجــاز للعمل العربى الجمــاعى فى تاريخ العرب الحــديث ٠

لقــد ظهر العرب على المسرح الدولى بحجمهم الحقيقى كقـــوة قادرة على النضال بقــوة السلاح لاسترداد حقهم المشروع ، وأحس العــالم بوزنهم وبثقلهم كقــوة قــادرة على التأثير ــ بالمنع والمنح ــ فى الواقــع العالمى المعاصر ٠

لقــد حرر العرب قبل الأرض ارادتهم فى القتال من أجــل حياة كريمة ، وحرروا صورتهم العربية الحقيقة من كل ما لحــق بهــا من زيف وتشويه وسخرية ، وأظهروا أن الأفكار الاسرائيلية المسبقة حول العرب قــد ثبت افلاسها ، وغيروا بوحــدتهم الخريطة السياسية للشرق الأوســط ٠

لقــد كانت حرب أكتوبر درسا عمليا أثبت القــدرة العربية عسكريا واقتصاديا وسياسيا وحضاريا ؛ حين يتم الحشد وتتحقق التعبئة على أرضية متينة من التنسيق العربى ٠

وحين أثمــو نصر أكتوبر أعظم ثمراته وهــو التضامن العربى ، كان ذلك اكتشافا بالنسبة للعرب وبالنسبة لخصومهم على السواء ٠

وأثبتت هــذه الحرب أن أى تحرك مستقبلى ناجح فى هــذه المنطقة لا يمكن الا أن يكون تــحركا عربيا جماعيا ٠

ان أهم درس قــدمته حرب أكتوبر للعالم أجمع هــو ذلك الدرس العظيم الذى أثبت أن الأمة العربية قــد عرفت طريقها الصحيح نحــو تحقيق أمانيها ومطالبها المشروعة ، فاذا كان الرأى العام العالمى قــد تحــول مؤيدا ومساندا وداعما للحــق العربى والفلسطينى فانما قــد تحــول الى هــذا الاتجاه بعــد ذلك الأداء العظيم الذى قــدمه جنــود مصر وسوريا على رمال سيناء والجــولان ٠

لقــد وضع نصر ٦ أكتوبر عنصر المبادأة فى أيدى العرب ، بمعنى أن أصبحت القرارات الدولية الخاصــة بنا هى رد الفعل للتحركات العــربية ٠

ولقـد طرحت الحرب قضية الوحـدة العربية والعمل العربى الموحـد بأسلوب جـديد ، وتوارى هـدف تحقيق للوحـدة من خلال الثورة ، وحلت محله مفاهيم للتعايش السياسى والتعاون الاقتصادى ، ونبتت فكرة (اتحاد الدول العربية) مـع اختلاف أنظمتها الحاكمة ، وسقط من القاموس العربى والمصرى الى الأبد ، وبعـد التجربة ، تصنيف البلاد العربية الشقيقة الى ملكية وجمهورية أو الى رجعية وتقـدمية ، وسقطت معـه سياسة التدخل والوصاية والاعتماد على الشعارات فى اختيار المواقف ، وانهارت سياسة التعامل مـع الشعوب وتجاهل الحكومات ، ووضعت حرب (الزعامة لمن ؟) أوزارها ، وصارت العبرة كل العبرة بالممارسة : بالعـون وقت الضيق والنجـدة ساعة الشدة والوفاء للمصلحة العربية العليا وفاء مترجما الى عمـل ، وليس قاصرا على القـول الأجـوف ٠

ولقـد كان التضامن العربى ضروريا بعـد اتخـاذ قرار الحرب وقبل قيامها ، وذلك لاعـداد الأرض الصلبة التى ستنطلق منها شرارة هـذه الحرب الظافرة ، ويؤيد هـذا المعنى قـول الرئيس السادات « ٠٠٠ وضـد هـذا اليأس فى مصر وفى ألعـالم العربى ، كان من واجبى أن أضم الصفوف فى مصر ، وأن أضم القلوب خارج مصر ، وأن أجمع الأصـدقاء الى الأشقاء ، وأن نواجـه الدنيا كلها فى اصرار وشجاعة ، فنحن أمة عريقة وعظيمة ، واذا خسرنا معركة فليس معنى ذلك أننا خسرنا الحرب ، ولا يعنى ذلك أنه وداع الى غير لقـاء ٠٠ مع الحياة والأمل حتى النصر » ٠

ولقـد أصبح الاخـوة السودانيون مهيئين اليـوم أكثر من أى وقت مضى لخـوض تجربة التكامل معنا الى نهـاية الشوط ؛ بعـد نجاحهم فى ايجاد صيغة وطنية لوحـدة التراب السودانى ، وبعـد نجاحنا فى أكتوبر العظيم ٠

ان منهاج العمل السياسى والتكامل الاقتصادى والعسكرى بين السودان ومصر جاء لتحقيق المصالح المشتركة من منطلق السعى لتحقيق الوحـدة المنشودة ٠

ان التكامل السودانى المصرى بمقـوماته وامكانياته يمكن أن يحقق تجربة رائدة فى التكامل الاقليمى والقـومى تكون نمـوذجا أمام الدول العربية والأفريقية ٠

ان تجربة التكامل السودانى المصرى هى تجربة وحـدوية تنضج على نار هادئة ، تحاول الاستفادة من دروس تجارب الوحـدة العربية السابقة ، تلك التجارب التى احترقت على لهيب الحماس المتقـد ، فى غياب العمل المخطط والمدروس ٠

ان تجربة التكامل السودانى المصرى هى تجربة وحـدوية تسير فيها حركة القيادات فى البلدين الى جـوار حركة الجماهير ٠

ولقـد أثبت أكتوبر ١٩٧٣ أن انفصام الوحـدة بين الأشقاء السوريين والمصريين فى نوفمبر ١٩٦١ كان أول الطريق الى هزيمـــة العرب أمام اسرائيل فى يونيو ١٩٦٧ ، وأنه لو كان قـد كتب البقـاء لهـذه التجربة الوحـدوية لتغير وجـه التاريخ فى المنطقة العربية كلها تغييرا كبيرا ٠

ان المناخ الذى تولد بعـد ٦ أكتوبر ١٩٧٣ قـد خلق فرصـة مواتية ، ولأول مرة فى التاريخ الحديث ، لاقامة صرح للوحدة العربية ، وان بداية بنـاء هـذا الصرح يجب أن يصاحب بداية سقوط الدور غير الطبيعى الذى حاولت اسرائيل القيام به فى المنطقة العربية ، والذى كانت قمته فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ٠

ان المنـــاخ الذى تولــد بعــد ٦ أكتوبر العظيم قــد هيأ الأرض العربية لظهور قــوة عظمى جــديدة لديها من الطاقــة الاقتصادية والقــوة العسكرية ما يؤهلها لأن تشارك بنصيب ايجابى وخــلاق فى توجيه أمور دنياها ، كما هيأ السماء العربية لاستشراقة شمس طال غيابها وانحسر شعاعها ، وخبــا نورها وانقطع دفئها ، ان الأمة العربية التى حققت وحــدتها أمام الموت يجب ألا تفقــد وحــدتها أمام الحيــاة ٠

لقــد دعا نصر أكتوبر جيزلر فرزنج الكاتب الألمــانى الغربى الى أن يقول فى كتابه ــ الانهيار الذى يمكن تجنبه ــ « رغم كل الخلافات التى قــد تبدو بين العواصم العربية فى الممارسات السياسية اليومية ، الا أن العواصم العربية كافة لا تستطيع التخلى عن التيارات الأساسية المشتركة ، ومن يلاحظ ذلك بدقــة يستطيع فقط ممارسة سياسة ناجحة مــع البلدان العربية » ٠

ويقول « ان عــودة العرب الى المسرح العالمى وقيام دولة اليهود فى الوقت نفسه ، تحمل فى أحشائها ولعشرات السنين أخطار قيــام تفجرات لا يمكن السيطرة عليها ، ومع تزايد الخطر تنشأ فى الوقت نفسه ضرورة التعاون بين القــوتين العظميين للمحافظة على السلام ، وهــذا الواقــع يجعل من الشرق الأوسط منطقة لأكبر أخطار السياسة الدوليــة » ٠

ثم يقول « لقــد ولدت دولة اسرائيل بصورة غير طبيعية تجاهلها البعض لمــدة طويلة الا أنها نمت وترعرعت كمــا ينمو ويترعرع الورم السرطانى ، ان اسرائيل لم تتأسس فى منطقة خالية منعزلة وانمــا فى المنطقــة القــديمة للشعب الفلسطينى الذى لم يبق منه فى الداخل الا الجزء اليسير والذى يعامل معاملة المواطن من الدرجة الثانية أو الثالثة ،

فقـد فرت الأغلبية وعاشت فى مخيمات أو انتشرت فى كافـة زوايا الوطن العربى ، ان هـؤلاء العرب من الفلسطينيين قـد تكاثروا وبلغ عـددهم فى أواسـط السبعينات أكثر من ثلاثة ملايين نسمة أى ما يعـادل عـدد سكان اسرائيل ، ولقـد شاهد القرن العشرون الكثير من حـوادث التهجير والطرد وشاهد العـديد من جماهير المهاجرين الذين تم دمجهم فى مناطق أخرى ، وظن الاسرائيليون أن ذلك يمكن أن يحـدث أيضا للفلسطينيين ، خاصة وأن المناطق العربية المجـاورة كسوريا والاردن ولبنان تملك أراضى شاسعة ، الا أن هـذا التصور كان الخطـأ بعينه ، فقـد استمر الفلسطينيون يطالبون بحقهم فى أرضهم ووطنهم وحصلوا بذلك على دعم كل العرب ، أما اسرائيل وأصـدقاؤها فأخطأوا تقـدير الديناميكية العربية الجـديدة التى انطلقت من عقالها فى هـذا القرن ، وهى البعـد الثالث للمشكلة الفلسطينية ، ولم يعـد بد من التسليم بأثر التيارات العاطفية فى التقـديرات السياسية تمـاما كما

هـو الحال بالنسبة للتقـديرات العقلانية ، ان عـدم اعطاء القيمـة للعواطف العربية وتجاهلها اثر نكساتهم الثلاث كان من الأخطاء الفادحة الكبرى التى وقعت فيها اسرائيل وهى فى أوج نشوتها ، وهـو نفس الخطـأ الذى ارتكبه الأوربيون تجاه الصين ، ومن الملامح التراجيديه لأزمة الشرق الأوسط عـدم استغلال اسرائيل للسنوات التى أعقبت

حرب الأيام السته وموقف القـوة الذى كانت تملكه للتوصـل الى تسوية مقبولة مـع العرب ، وعجزهم عن التفكير بجـدية فى الجـوهر الأساسى للقضية : وهـو مصير الفلسطينيين ، ان هـذه الملايين الثلاثة من أبناء الشعب الفلسطينى ستبقى باستمرار العامل الملهب لأزمة الشرق الأوسط ، ثم أضاف احتلال اسرائيل لمدينة القـدس للمشكلة مشكلة أخرى كبيرة : فالقدس ليست المدينة المقدسة لليهود وللمسيحيين فقط وانما هى مدينة المسجد الأقصى وقبـة الصخرة المجاورة لحائط المبكى ، وهى ـ الى جانب مكة والمدينة ـ ثالث المراكز المقـدسة للاسلام ، لذا فانها لم تكن مجرد كلمات فارغة عندما صرح الملك فيصل ـ

عامل العربية السعودية الراحل ـ أن رغبته الكبرى هى دخـول المناطق المقـدسة فى القـدس للصلاة دون المرور عبر أراض غريبة ، ان العرب لا يريدون فقط حـل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وانمـا اعـــادة الشرف الذى أهـدر الى مكانه » ٠

وان كان ٦ أكتوبر سيظل الى أمد بعيد فى التاريخ أروع أيام الأمة العربية على طول ما حفل به تاريخها من أيام مجيدة ، لأنه اليوم الذى سقطت فيه كل الحـواجز لتبرز للعالم كله لأول مرة فى التاريخ الحـديث حقيقة الوحـدة العربية التى أبرزها التضامن العربى وارتفع بهـا فـوق حزازات الحـدود والعقائد والعقد الصغيرة ٠

فان ٦ أكتوبر سيبقى لمصر شهادة ميلاد جـديدة ، تعرف الانسان المصرى فيها برغم ركام النكسة ومتاهاتها على حقيقة ذاته بعـد أن عصف بيقينه هوان الهزيمة ، فأن يصنع المصريون بعبورهم واقتحامهم فى ٦ أكتوبر تلك القطعة الفـذة من السلوك الانسانى شىء يعنى ببساطة أن المصريين قادرون على المستقبل وقادرون على التاريخ ٠

ولكن ، رغم كل هـذه النتائج الباهرة ، ورغم سقوط كل هـذه الدعـاوى والأكاذيب والخرافات والأساطير ، المهم ألا يرهبنا داعى هذه الأساطير ، وألا يخدعنا تداعى هذه الأساطير ، فأصحاب الأساطير لا يتركون لعبتهم بالنار والموت حتى يحرقون مستقبلهم فى الوجـود والحيـاة ٠

ان حرب اكتوبر المجيدة قد علمتنا ان قوتنا الذاتية هى المولد والشرارة التى حركت الموقف كله ، وغيرت صورة الواقع الذىكان مفروضا علينا مصريين او عربا ، وجعلت من المتاح اليوم ما كان مستحيلا بالامس، وستظلقوتنا الذاتية هى القاعدة الصلبةلحركتنا الوطنية والركيزة القوية لدورنا القومى ٠

ان معركة أكتوبر قــد وحدت صفوف للشعب المصرى على مستوى لم يسبق له مثيل فى تاريخه الحـديث ، وعلينا أنَ نستخدم هــذه التعبئة للشاملة لكل للقــوى للوطنية لنخوض حربا فاصلة ضــد بقايا التخلف ، ولنبدأ معها مرحلة الانطلاق ، وأن نتفق على أنه لا مكان فى مجتمعنا لحقــد أو كراهية أو تعصب •

وصــدق رسول للله صلى للله عليه وسلم عندما قال لبعض صحابته « **اذا فتح الله عليكم مصر ، فاتخـذوا من أهلها جندا ، فانهم خير أجنــاد الأرض ، وانهم فى رباط للى يوم للقيامة** » •

مبـادرة السـلام

كاحـدى نتـائج حرب أكتوبر

بسم الله الرحمن الرحيم

« وان جنحـوا للسلم فاجنـح لهـا »

صـدق الله العظيم

اهــــداء

الى الذين يرفضون (مبادرة السلام المصرية) من العرب أو من غير العـرب •

الى الذين يرفضـون أن يتحـدث السادات باسم العرب ، وكأنهم يرفضون أن ينتصر السادات لكل العرب •

الى الجهلاء أو العملاء أو المزايدين أو الحاقـدين •• الذين فى قلب قلوبهم مرض ، أو فى نفس يعقـوبهم غرض •

الى الذين يتهمون المبادرة بالفشل حين ولادتها ، او يصفونها بالجمود خـلال نمـوها ، ويتعامون عن ايجابياتها ويتغافلون عن معطياتهــا •

الى الذين يبتغون اجراء عملية تعـويم داخـل الرؤية العربية ، فيعمدون الى الخلط بين الثوابت والمتغيرات •

الى الذين يركنون الى الشعارات الجـوفاء ، والى الزبد الذى يذهب جفـاء •

الى الذين لا يفصلون بين الصالح والطالح ، ولا يميزون بين الخبيث والطيب •

الى الذين ينضوون تحت الصيغ السطحية التى تبـدو ككلمات حـق يراد بها باطـل •

الى الذين يدمنون زخرف القــول الذى يسكر العقول ، والعبارات الرنانة التى تخلب الألبــاب ، والتى لا تقــدم (بل تؤخر) أى عطاء للقضــية ٠

الى الذين يقفــون حيث يجنح العقــل ، وينحرف المنطق ، وتتوه الحقيقــة ٠

الى الذين يصــدرون (لغطــا) ويعتبرونه (جــدلا) ٠

الى كل هــؤلاء وهــؤلاء ٠٠٠

أقــدم هــذه الكلمات الهادئة : مبادرة للسلام ــ كاحــدى نتائج حــرب أكتوبر ٠

المؤلف

تمهيـــد

لا شـك أن مصر كانت ولا تزال تتحمل قيادة العمل القومى العربى فى شتى دروب الحياة ، وتتصدى لمتطلبات هـذا الدور التاريخى دون أدنى تردد ، وذلك بسبب امتلاكها للشرطين الأساسيين لذلك وهما : القـدوة والقـدرة •

واذا كانت الحضارة هى احـدى المقـومات الأساسية لمجتمع القـدوة ، فان رصيد مصر منها ما يؤهلها للقيام بهـذا الدور بلا منازع ، وقـد يكون من أهم ما خلفه هـذا الرصيد الحضارى لمصر هـو الابتعاد كلية عن الغرور والخيلاء ، لأن المجتمع المتحضر لا يمكن أن يقـع فريسة لهـذه النقائص التى لا تظهر الا فى مجتمع ضحل الجـذور ، متهالك البنيـان •

لقـــد تحملت مصر بحجمها ووزنها ، بامكانياتهـــا البشرية ومواردها الطبيعية ، عبء الموقـع الجغرافى تاريخيا وفى القلب بين الشرق والغرب والشمال والجنوب وفى حـومة الصراع بين أقطاب هذا العالم ومتناقضاته ، وهى لا تزال تتحمله آنيـا ومستقبلا ، لقـد تحملت وتتحمل وسوف تتحمل عن أمتها العربية وهـذا هـو قـدرها عن استيعاب للتاريخ واتجاهاته ، وعن استعداد للواقـع ومتغيراته ، وعن تأمل فى المستقبل ومقتضياته ، وهى تثبت يوما بعـد يوم أن الآمال التى تعلقها الأمة العربية عليها دائما هى آمال لا تخيب •

قـدر مصر أن تعمل وتقـود ، تواصل وتتحمل ، تعى مسئولياتها وتعرف التزاماتها تجاه الذين يعرفون والذين لا يعرفون ، وتجاه الذين يجحـدون والذين يزايدون ، ويخطىء الذين يزعمون أن مصر سوف

تعـدل عن مسيرتها وتحيد عن الطريق ، ويخطىء الذين يتصورون أن في امكانهم اجهاض دور مصر الطليعي والطبيعي في هـذه المنطقة من العـالم ٠

واذا كانت مصر قـد ضحت ولا تزال تضحي بالأنفس والأموال في سبيل القضـية العربية عامة والقضـية الفلسطينية خاصة فلم يكن أمامها خيار آخر كما لم يكن حولها بديل يجنبها التضحية ، اذ كانت مصر هي المستهدفة بالدرجـة الأولى والمقصودة أصلا من خلق الكيان الصهيوني ، وهي لا تزال أمامه في موقف الدفاع عن نفسها ٠

لقـد كانت مصر منذ ما قبل التاريخ الحـديث ولا تزال هي المطلوب عزلها وانطواؤها وقوقعتها واضعافها وتضييق الخناق عليها وتطـويق أهميتها للعرب ، ومحاصرة خطورتها على أعـداء العرب ٠

وان أول أهـداف السياسة الخارجية لمصر على طول تاريخها هـو حماية الأمن الوطني المصري والأمن القومي العربي حيث أنهمـا متصلان لا فرق بينهما سوى أن أمن مصر يمثل أمن القلب في وسط جسد الأمة العربية ٠

ثم ان الارتباط بين مصر وفلسطين تاريخي متصل الزمان فضلا عن المكان ، كان ذلك في عهدي رمسيس وتحتمس ، مثلما كان في عهدي صلاح الدين ومحمد علي ، ولهـذا لم يكن عجبا أن توجـه الصهيونية حملاتها السياسية وهجماتها العسكرية الى مصر أولا قبل سائر الدول العربية ، وأن تردد دائمـا أن مصر هي مفتاح الحرب والسلام في المنطقة ، على أمل أنه لو أمكن اخضاع ثلث الأمة العربية في مكان واحـد ، فمن اليسير اخضاع الثلثين الموزعين في أكثر من عشرين مكانا ٠

وقد لا ننسى أن مصر هى التى أعطت فلسطين حق بقاء اسمها حتى الآن ، وضحت بأعز أبنائها لتدفع عن هذا البقاء شبح الفناء ، وحقنت بدماء شهدائها شرايين هذا الوجود ليبقى حيا ماثلا فى الوجدان العالمى .

ولقد نجحت الدبلوماسية العربية الهادئة بعد نصر أكتوبر ومبادرة نوفمبر ؛ فى عزل اسرائيل وفضحها ووضعها فى قبضة المجتمع الدولى ، ولا يصح قوميا ولا مصيريا أن نسمح لها بالافلات لأنه فى غمرة الحماس يطرح بعض العرب أفكارا تجعل العالم يقسم رفضه بين السلوك الاسرائيلى وبين ما يمكن تصويره بالتطرف العربى ، وليس ذلك بخفى على اسرائيل التى تحاول جهدها للخروج من هذا المأزق لمعرفتها بالثمن الذى يتعين عليها دفعه اذا استمرت فيه ، ان اسرائيل بالفعل فى قبضة المجتمع الدولى ، وهى تحاول أن تفلت ، لكن الكارثة أن يتحقق لها ذلك بفضلنا نحن العرب ، فيكون تطرفنا شعارا لتفريطنا .

ان الواقع الفلسطينى الراهن انما هو جزء من تركة مثقلة تحملها شعب فلسطين عبر عشرات السنين من ضياع الأرض وفقدان الوطن ، وهو نتيجة صراع عربى مارسته وتمارسه العديد من الأنظمة العربية داخل الساحة الفلسطينية .

ان بعض الأنظمة العربية قد لعبت (ورقة فلسطين) نتيجة لسبب أو لآخر ؛ قد يكون تجارة محرمة ، أو تواطؤا مع قوى أجنبية ، أو تطلعات زعامة مفقودة ، أو مصلحة ذاتية فردية زائلة ، أو أطماعا حزبية أو اقليمية ضيقة ، أو ارتباطات أيديولوجية مرفوضة ، أو محاولة نظام الهاء شعبه عن التفكير فى قضاياه الداخلية بحجة التفرغ كلية لخدمة (معركة وهمية) وتحت شعار (لا صوت يعلو على صوت المعركة) .

ان بعض الأنظمة العربية قد استقرت مصالحها مع استمرار حالة الاعداد للحرب ، وبذلك تضمن بقاء سلطانها ، وتتاجر بمعاناة شعوبها ، وتلتقى مع أهداف اسرائيل فى المنطقة ٠

ان تطورات قضية فلسطين هى أكبر دليل على أن للخلافات العربية قد دأبت على أن تضيع (الممكن) طمعا فى (المستحيل) ، ثم تعود الى (الممكن) فلا تجده ٠

بينما كان واجبا علينا نحن العرب منذ بدأ الصراع أن نفرق بين الممكن والمستحيل ، ونخاطب العالم بلغته ، ونذهب معه الى المدى الذى يستطيع أن يصل اليه ، لا أن نطلق الأهداف أمنيات بلا امكانيات ، وننصرف الى اثارة قضايا نعلم مقدما أن المناخ العالمى ليس ممهدا لها بل انها قضايا تعطى لاسرائيل حججا جديدة لاقناع قطاعات من الرأى العام العالمى بأن العرب طوال تاريخ الصراع لم يفكروا الا فى تدمير اسرائيل والقائها فى البحر ، ولتلتمس منها العذر عند القاء الفلسطينيين فى الصحراء ٠

ان شعار (كل شىء أو لا شىء) هو شعار ديماجوجى تخريبى يهدف الى هدم منطق (أى شىء) فى سبيل الوصول الى (لا شىء) ٠

ان الاختلاف فى الرأى ظاهرة حضارية صحية ، ومدعاة للتقارب والتكامل وليس مدعاة لأن يفسد للود قضية ، أما الاختلاف لمجرد الخلاف فهو ظاهرة جاهلية غير حضارية ترتبط ارتباطا وثيقا بالأوضاع القبلية التى كانت وما زالت سائدة فى وطننا العربى ٠

ان قضية فلسطين ليست قضية مساحة من الأرض أو عدد من السكان ، ان فلسطين بالمنشاة الصهيونية فوقها تمثل تحديا

للأمة العربية بأكملها ، لنها تحديد لمستقبل الوطن العربى كله ٠

ان قضية فلسطين لا تحل بقوة الصراخ والصياح أو عن طريق الانفعالات والتشنجات أو باسلوب المزايدات والمبارزات وحرب الاذاعات والميكروفونات وترديد الشعارات والمهاترات واطلاق الشتائم والبذاءات وتلفيق الافتراءات والتشكيك فى المنجزات واستعراض الأمراض والعقد والكشف عن مركبات الزيادة والنقص والتطلع الى الزعامة والوصاية واثارة البسطاء وبث الضغائن وزرع الأحقاد واستئجار الأقلام وتمويل المؤامرات واستباح الدماء والمطالبة بالرؤوس وتوزيع الاتهامات بالخيانة والعمالة شرقا وغربا والدخول فى معارك جانبية هامشية مكتوبة ومسموعة ومنظورة لا تسفر الا عن اصابة العلاقات والمصالح العربية بأضرار بالغة ٠

ان قضية فلسطين لا تحل بتدبير المظاهرات المعادية وحرق السفارات ومكاتب العلاقات المصرية وضربها بصواريخ الكاتيوشا أو بقنابل المولوتوف ، وتدبير (جريمة نيقوسيا) التى أدت الى (مذبحة لارناكا) ٠

ان مصائر الأمم لا تقرر بالكلام ولا يحققها الهتاف ولا ينسقها الخلاف ٠

لقد كان واجبا علينا كعرب أصحاب حضارة عريقة اذا اختلفنا فى الرأى أن نراعى آداب الحوار الحقيقى والموضوعى والمتأمل والمتجدد والحافظ على الود بيننا ، فلا يجوز أن تتحول الساحة العربية حولنا الى (عكاظ) من المبارزات الكلامية التى تتدهور الى حملات الاتهام وتنحدر الى محاولات التشكيك وتهبط الى مستوى التجريح وتكون على حساب

موضوع الحوار ، والتى لا تقرب بين مواقف الأطراف وانما تزيدها بعدا وتزيدهم نفورا ، فتقطع المودات وتذهب المروءات ، وتتوه معها القضايا الأساسية وسط زحام من الجدل العقيم .

ان توزيع الاتهامات جزافا هو سلاح العاجز عن الاقناع والقاعد عن العمل ، ان الاتهام هو أسهل وسائل النضال ، انه نوع من اللجوء الى حماية الكلمة والاحساس بالانتصار بالقول بدلا من اللجوء الى العمل الفعلى المحسوس وممارسة الانتصار العملى الملموس .

ان الذين يتكلمون كثيرا يستنفدون طاقاتهم بالكلام ولا يستبقون للعمل شيئا ، ان الفصاحة الوحيدة المطلوبة والمسموح بها هى فصاحة الحق العربى والمصلحة العربية ، ثم ان تسميم الآبار على طول الساحة العربية وعرضها لن يؤدى بالعرب الى أن ينهلوا أكسير الحياة .

لقد حرصت السياسة البريطانية التى زرعت اسرائيل فى قلب الوطن العربى على أن تنمى فينا رغبة الكلام ولو فى معارضة السياسة البريطانية ذاتها ما دام الكلام مصحوبا بعجز مريح لا يعطل مخططاتها المرسومة ، والمثل الانجليزى يقول : ان الكلام لا يكسر عظاما .

لقد كان واجبا علينا كعرب أصحاب حضارة عريقة أن نتخلص من بقايا عصر كان القول فيه يغنى عن الفعل ، وكانت البلاغة فيه تغنى عن العمل ، وكان الوهم بالحركة فيه يمكن أن يكون بديلا عن الحركة ذاتها .

اننا حينما كنا قبل حرب أكتوبر نبالغ فى تأكيد أهدافنا بالأقوال فان ذلك كان يسير بالتوازى مع مقدار عجزنا عن انجاز أهدافنا بالأفعال ، وبالقدر الذى استرد به العرب بعد نصر أكتوبر

شعورهم بالنجاح ابتعدت أهدافهم عن الخيال وعن مجرد مخاطبة الذات واشهار سلاح الانفعال ٠

ان هناك فرقا بين العرب عندما يفكرون فى صمت ويتكاشفون فى جد ، وبينهم عندما يطيعون اغراء الحماسة والخطابة والبلاغة ، فيتكلفون ما لا يطيقون ، ويتحملون ما لا يستطيعون ، ويضيفون الى ما يقيدهم من الأغلال قيودا جديدة ٠

ان هناك قلة من الأنظمة العربية البعيدة عن مرمى الدمار وويلات الحرب ، قلة لا تحارب ولا تهادن ، يحلو لها التشدق دائما بامتشاق الحسام وهو دائما فى غمده لم ينزع منه أبدا ، ولا تعرف من صفات المقاتلين الا صيحات القتال والتهديد والوعيد بالويل والثبور وعظائم الأمور ، ولا تتقن الا اصابة التضامن العربى بالتمزق اذا لم يتفق هذا التضامن مع أهوائها ٠

ان مبادرة الرئيس السادات بالسلام تهدف الى تحقيق ما كانت تسعى اليه القوات المسلحة بالحرب ، وليس من الحكمة أن تسعى دولة الى أن تحقق بالحرب ما ترى أنها تستطيع تحقيقه بالسلام ، ان الحرب ليست هدفا فى حد ذاته ، فالحرب ليست للحرب ، وهى ليست ترفا يقدر عليه أحد فى عالم اليوم ، ان الهدف من أى حرب هو انتزاع السلام واحلاله بالقوة ، وخير سلام هو ما يحل بالسلام ، فالسلام هو مطلب الانسان والانسانية ، وأداته هى المفاوضات ٠٠ والمفاوضات المباشرة ٠

ان من حق الرئيس السادات وواجبه أن يعلن بشجاعة المقاتل المنتصر أنه سيذهب الى آخر العالم من أجل ألا يجرح جندى من أبنائه وأنه لن يلجأ الى الحرب مرة أخرى الا بعد أن توصد أمامه كل الأبواب التى يطرقها من أجل السلام ٠

ان (جبهة الرفض) التى أعلنت شعار (الصمود والتصدى) ما لبثت أن أثبتت فى أزمة جنوب لبنان أنه شعار أجوف لا ينم الا عن المراهقة السياسية والمبارزة الكلامية ، ثم ما لبث عناتيرها وأشاوسها ومغاويرها أن انقلبوا على أنفسهم كل (يرفض) الآخر ٠

ان التعاون على الخطأ وعلى خلق المحاور والجبهات وعلى سياسة المزايدات والمبارزات ليس من التضامن العربى فى شىء ، انما هو التآمر بعينه أو التعاون على الاثم والعدوان ٠

ان الغموض السياسى للقيادة الفلسطينية لابد وأن يستمر طالما استمر الشقاق العربى ، وفى اللحظة التى يعود الوفاق ويسود الاتفاق فى الساحة العربية ، يعود الوضوح السياسى للقيادة الفلسطينية ٠

ان الخلافات العربية لابد وأن تمتد تأثيراتها الى الوحدة الفكرية بين المثقفين العرب ، ولابد أن تنتقل من كتابهم الى قرائهم ومن متكلميهم الى سامعيهم ، والى حيث يجنح العقل وينحرف المنطق وتتوه الحقيقة بين روعة الكلمات والعبارات والشعارات ؛ التى تدير العقول وتخلب الألباب ، والتى تبدو ككلمات حق يراد بها باطل ، والتى لا تقدم (بل تؤخر) أى عطاء للقضية ٠

ان الأمة العربية أمة معاناة يشهد على ذلك تاريخها ، وبالتالى فهى محصنة من المشاكل المفروضة عليها من الخارج ، أما الخطر الأكبر فيأتى من داخلها من جراء عملية تعويم داخل الرؤية العربية ، تعتمد على الخلط بين الثوابت والمتغيرات ٠

وليس من حق العرب قوميا أو مصيريا أن يخلطوا بين الأهداف والوسائل ولكن من حقهم أن يختلفوا على هذه الوسائل ، وأن يرى

للبعض وسيلة أنجح من وسيلة يراها البعض الآخر ، فالواقـع المحلى فى كل دولة عربية هـو الذى يحـدد البدائل المختلفة والاختيارات المتنوعة ، ولكن الاختلاف على الوسائل يجب أن يكون فى حجمـه فلا يرقى الى الخلاف ولا يصل الى التخـوين أو المجابهة أو القطيعة ٠

ان أهم الأعمـــدة التى قامت عليهـــا دولة اسرائيل هى ادراك الاسرائيليين للطبيعة العربية أو المزاج العربى ، فهم يعرفـون أن العرب بتكوينهم لا يتفقون كثيرا واذا اتفقوا اليوم فلكى يختلفوا غـدا ٠

لقـد كان أكبر عـوامل نجاح اعلام اسرائيل لدى الغرب والشرق على حـد سـواء يعتمد أساسا على ما يمكن أن يقـدمه العرب لهـا على طبق من الذهب فى شكل خلافات وصراعات ومعارك تحقق فيما تحقق سقوط هيبة العرب ، كما تؤكد الزعم بأنه لا سلام مـع العرب لأنه لا سـلام بينهم ٠

ان اسرائيل ــ خصوصا بعـد حرب أكتوبر ومبادرة السلام ــ تعـانى ضغوطا داخليـة وخارجية عنيفة ، ومنفـذ اسرائيل من هـذه الضغوط دائمـا هـو الشقوق التى تظهر فى الجـدار العربى ٠

ان الحـدود الآمنة التى تقول بها اسرائيل ليست خيرا من تفكك العرب حولها ، وتحولهم الى شراذم متباعدة متنافرة ، فمـاذا تتمنى اسرائيل أكثر من ذلك ؟ وأى حـدود أكثر أمنا من مثل هـذه الحدود ؟ وفيما العجلة فى البحث عن حـل سلمى ، أو فى التجاوب مع مبادرة سلمية ، اذا كان التمزق العربى يتولى عادة حـل مشاكلها وأولهـــا مشكلة أمنها ؟ ٠

ان هناك فى عالم اليوم من يأمل فى أن تتحـول الخلافات العربية الى شـقوق عميقة وجراحات لا تندمل ، وحتى يتحقق لهم استمرار

الصراع العربي الاسرائيلي لتنشأ الحاجـة الى أسلحته وتأييده ، وحتى تنضج الظروف الموضوعية الملائمة فى ظـل التوتر الدائم والصراع المستمر والحروب المدمرة لاحـداث تغييرات اجتماعية وسياسية للنظم القـائمة تتفق وأيديولوجيته ٠

ان النزاعات بين الدول الصغيرة ما هى الا فرص كبيرة تتاح للدول العظمى لكى تصطاد فى المـاء العكر ٠

ان استمرار الانقسام فى الوطن العربى ـ وسـط عالم يتجه الى التكتلات القـوية ـ يجعل من هـذا الوطن شيئا أشبه بالرجـل المريض (كما كانت تسمى الدولة العثمانية فى أواخر عصرها) ممـا يفقده استقلاله ويثير المطامع من حـوله ويجعله خطرا على السلام العالمى ٠

ان المخاطر الخارجية كل لا يتجزأ ، وتهـديدها يستهدف المصير العربى بأكمله ، والمواجهة الحقيقية لهـا لا تكون الا بالتحـام عربى شامل بكل ما لديه من امكانيات بشرية ومادية ، وبتغليب الحس القـومى على ما عداه من الحنين الى التقـوقع القبلى المتنافر ، والتشرذم الاقليمى المتنابذ ٠

ان بروز قـوتنا الناشئة بعـد حرب أكتوبر ، والتى أدت الى تغير محسوس فى موازين القـوى الدولية ، هـذه القـوة العربية الجـديدة لن تعجب بعض القـوى التى لن ترضى بديلا عن اجهاضها ، وأتعس ما يكون هـذا الاجهاض أن يتم على أيدى العرب ٠

ان القـوة العربية الجـديدة والتى لا تزال فى مرحلة النشوء بعـد نصر أكتوبر لا ينبغى أن تبددها المعارك الجانبية وغيـاب الهـدف الواحد ، كما لا ينبغى أن تخضع لمؤامرة احلال الصراع العربى ـ العربى

محل الصراع العربى ـ الاسرائيلى ، وانما ينبغى أن تجنى هذه القوة العربية الناشئة كل ثمرات انتصارها ، وأولها سلامها العادل والشامل ·

لقد كانت زيارة القدس قفزة فوق كل الأسوار التى كانت تحاول ن تحجب بين آثار أكتوبر وبين القضية العربية عامة والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص ، ومست هذه الزيارة ضمير العالم المتحضر فتحرك مع هذه القفزة غير التقليدية وفتح للعرب عقله كما فتح له قلبه ، واختل توازن اسرائيل وفقدت سيطرتها على الموقف ووقعت فى قبضة المجتمع الدولى ولم تجد حولها منفذا الا ما يصنعه لها غربان الرنض بالتواطؤ مع دببة الكرملين ·

ان التضامن العربى يساعد على سرعة تحقيق هذا السلام ويقطع الطريق على اسرائيل كى لا تناور وتداور وتساوم وتلعب على الخلافات العربية وتتعلل بها ، وحل الخلافات العربية ـ مهما كانت ـ يجب أن يواكبه ابراز حجمها الأصغر أمام الحجم الأكبر للمصالح العربية العليا ·

ثم ان التضامن العربى لا يعنى الجمود ، ولا يفرض قلة الحيلة ، ولا يلغى تعدد الوسائل والبدائل ، ولا يمكن أن يكون قيدا على العرب يمنعهم من التحرك فى سبيل حل القضية ومواجهة العدو فى حلبة السياسة بعد انتصارهم عليه فى حلبة القتال ·

ان التضامن العربى ما كان يعنى بالضرورة طلب المشورة سلفا من ملوك العرب ورؤسائهم فى أمر مبادرة قد تبدو عند البعض غير مألوفة بالمقاييس المعتادة وقتها فتثير من الحرج أو من الجدل ما يقلل من قيمة تأثيرها وما يضعف من عنصر المفاجأة فيها ، ثم اننا لو وضعنا

فكرة المشورة فى اعتبارنا ونحن نعد لحرب أكتوبر لما قامت الحرب ·· وما تحقق النصر ·

يقول الرئيس السادات « لقد أردت أن آخذ هذه المهمة على عاتقى وعلى مسئوليتى وأردت أن أجنب اخوانى الملوك والرؤساء العرب مسئولية أى مضاعفات وحتى لا أضعهم فى موقف محرج ناتج عن أى مشورة سابقة » ·

ثم يتساءل « ماذا كان سوف يحدث لو أننى أبلغتهم سلفا بزيارتى ورفضوا ؟ ماذا كان سوف يحدث لو خضعت الزيارة لمنطق المزايدات ؟ ان قوة هذه الزيارة تكمن فى سرعتها وفى الصدمة المفاجئة التى يمكن أن تحدثها ، ثم ان مصر لا تحب أن تستتر وراء أحد وكل عمل تعمله هو عمل معلن » ·

ثم يتساءل مؤخرا « كيف أكون مخطئا ودول العالم كله تؤيد سياستى وتباركها ؟ ان هذه الدول أيدتنى لأن المبادرة أطلقت قوى لا قبل لأحد بها : دوليا أو عربيا ، ان أسلوب الصدمات الكهربائية ما زال صعبا على الفهم من جانب أغنياء الحرب العرب ، اننا ظللنا حتى تاريخ المبادرة نتبع سياسة النعامة التى تدفن رأسها فى الرمال متصورة بذلك أنها ستنجو ، والعالم كله من حولنا يضحك علينا ، وقد انتهى ذلك الآن الى غير رجعة » ·

يقول الملك الحسن الثانى « اننى لا أرى فى الزيارة التى قام بها الرئيس السادات للقدس ما يخل بسلامة الموقف العربى ، ولكننى أرى أن فى خطابه أمام الكنيست الاسرائيلى لم يخل الرئيس السادات بما اتفق عليه العرب فى قمة الرباط عام ١٩٧٤ ، بل كان دفاعه عنها دفاعا صادقا وبالأسلوب الذى يقتضيه الموقف » ·

ان زيارة السادات للقـدس ـ ومعه رصيد أكتوبر ـ لا تشكل تنازلا عن حـق ولا تهاونا فى كرامة ولا تقايض بحـل جزئى ولا بصلح منفرد ولا ترتب أية أوضاع قانونية جـديدة ولا تكسب اسرائيل أية حقـوق مباشرة أو غير مباشرة ولا تمثل اعترافا باسرائيل ولا بمـدينة القـدس عاصمة لهـا كما يرجف المرجفـون ٠

لقـد اعتبر كل من كتب أو أذاع من الاسرائيليين عن هـذه الزيارة أن السادات لم يذهب الى اسرائيل عن ضعف أو وهن ، كما أنه لم يذهب ليجعل الأمور أكثر سهولة أمامهم ، بل رأوا فى قراره بالذهاب اليهم دليل قـوة وشجاعة تستحقان الاعجاب ، وكانت مظاهر الاحترام والتكريم والترحيب والحفاوة به من واقـع هـذا الاعجاب العظيم ٠

ثم : ألم ينصح المسئولون الجزائريون الضالعون فى الرفض الآن والذارفـون لدموع التماسيح على الشرف العربى الذى أهـدر ، ألم ينصح هـؤلاء المسئولون زعماء منظمة التحرير الفلسطينية خلال مؤتمر الجزائر بأن الحـل الأمثل لحـل قضية فلسطين أن يقبلوا الجلوس والحـوار المباشر مـع الاسرائيليين كما فعلوا هم مـع الفرنسيين فى (ايفيـان) ؟ ٠

ولو أن العرب قـد قبلوا الحـوار مـع الاسرائيليين بالوساطة ، فأى نكوص يمنعهم من الحوار المباشر ؟ وما الذى يمنعنا من أن نواجـه الاسرائيليين بعـد انتصارنا فى حـوار يستهدف الرأى العام العالمى ، والرأى العـام الاسرائيلى معه ؟ ٠

ومـع أن القارب العربى فى محيط السياسة الدولية يجـدف بمجـداف واحـد تمسك به اليـد المصرية فى مواجهة العـواصف

الاسرائيلية والأنواء السوفييتية والزوابع العربية الا أن مصر سوف تشدد قبضتها على هذا المجداف الى أن تصل بالعرب الى بر السلام ٠

ان مصر ، مصر العطاء والحضارة ، التى مضت دائما ـ وبكل الالتزام والمسئولية ـ تحمل العبء على كتفيها لصالح الأمة العربية ، ستمضى متحملة مخاطر السلام كما تحملت مخاطر الحرب ، متحملة تبعات المواجهة بالمنطق كما تحملت عبء المجابهة بالمدفع ٠

ومثلما عبرت مصر بالأمة العربية معركة الحرب فسوف تعبر مصر وبالأمة العربية كلها معركة السلام من أجل تحرير الأرض واستعادة الحق ٠

أما هؤلاء الرافضون ، المتاجرون المزايدون ، عرب (العجز والحقد) ، المستفيدون المنتفعون الذين لا يريدون للقضية أن تحل ، والذين يريدون للقضية أن تظل مصلوبة على جدار الزمن ، والذين يجدفون فى مياه الرفض الراكدة منذ بدأت هذه القضية ، والذين هاجموا مبادرة السلام المصرية ووصموها بالخيانة والعمالة ، وقذفوها بالاستسلامية والانهزامية ، ووصفوها بالحل الجزئى والصلح المنفرد ، نردد على أسماعهم ما قاله بطل العبور فى عقر دار العدو على لسان شعب مصر وجيش مصر « جئت بقدمين ثابتتين ، وارادة واعية ، أبلغكم رسالة السلام : أرضنا لا تقبل المساومة ، وتحريرها ليس محل للجدل أو الرجاء لأحد أو من أحد ، لم أحضر لصلح منفرد أو لسلام جزئى ، ونصر على الانسحاب الكامل من الأرض المحتلة ، بما فى ذلك القدس العربية ، ولن يجدى أن تصموا آذانكم عن قضية الشعب الفلسطينى ، فهى قلب الصراع وجوهره ، وحتى لا تتأخر مسيرة السلام ٠٠ أو يقتل السلام » ٠

مبـادرة الســلام

كاحـدى نتائج حـرب أكتـوبر .

سبق أن أشرنا ــ فى معرض الحـديث عن نتائج حرب ٦ أكتوبر العظيم ــ الى نجاح الاعلام العربى فى تخليص نفسه من عقـدة الشعور بالنقص بعـد كسر حاجز التفـوق الاسرائيلى ، وذكرنا أن العرب قـد تركوا الصراخ لأن الأقـوياء لا يصرخـون ، واستطاعوا أن يتحـدثوا ــ بصوت هادئ وايقـاع ثابت ــ عن السلام من موقـع القـوة ، كمـا استطاعوا أن يتحركوا دبلوماسيا بين عواصم العـالم باقتـدار نال اعجاب الأعـداء قبـل الأصـدقاء فيما عرف بحملة السلام العربية ، وأن يدفعـوا ساسة العـالم الى الحركة نحـو عواصمهم ، وأن يستردوا زمام المبادرة فى أيديهم ٠٠ ومن أيدى من كانوا ينوبون عنهم أو يتكلمون باسمهم ، وذلك بعـد أن انفتح طريقهم ٠٠ ووضح هـدفهم ٠

ولقـد صـدق الفريد آثرتون مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط حينئذ عندما قال « لقـد أسست هـذه الحرب بصورة مختلفة مرحلة جـديدة فى دبلوماسية الشرق الأوسط ، وذلك باحـداث تغيير جـوهرى فى ديناميكيات المشكلة » ٠

لقد تغيرت الأفكار النمطية والمفاهيم البالية التى بدت لنا كبديهيات أساسية غير قابلة للنقـاش والتى كانت تتعلق بالشكل أكثر من تعلقها بالمضمون ، لقـد سقطت اللاءات الثلاثة المشهورة (لا صلح ولا اعتراف ولا مفاوضة مـع اسرائيل) ، لقـد تحطمت قيـود الفكـر

الجاهلي وصار لنا عقل عربي جديد ٠٠ أكثر علمانية وأكثر جسارة وأكثر تحضرا بعد أن أدركنا حجم اسرائيل الحقيقي على وهج أكتوبر العظيم ٠

لقد بلغ (هجوم السلام) أشده بمبادرة قائد العبور بزيارة اسرائيل خارجا عن المألوف لدى هؤلاء الذين اعتادوا التفكير على نمط ما قبل أكتوبر ، ومتجاوزا باسم المسئولية أية حساسية في مواجهة خصومه الذين انتصر عليهم البارحة ٠

تقول مجلة الايكونوميست البريطانية في تعليق لها على هذه المبادرة (ان الشيء النبيل الوحيد الذي حدث في الشرق الأوسط لمدة طويلة جدا من الزمن هو رحلة الرئيس السادات الى القدس) ٠

كما يصف وفد من ممثلي الطوائف المسيحية الايفانجيلية بالولايات المتحدة هذه المبادرة بأنها (هدية مصر للتاريخ المعاصر) ٠

ان القوة الحقيقية لهذه المبادرة تكمن في أنها جاءت من بطل العبور الذي يحمل معه الجرأة والشجاعة ، وقوة الحجة ووضوح الرؤية ، والتمييز الواعي بين الخط الاستراتيجي الثابت والحركة التكتيكية المرنة ٠

ان القوة الحقيقية لهذه المبادرة تكمن في أنها جاءت من المقاتل المفاوض ٠ المصري العربي ، الذي يقتحم دار خصمه ، بكل ما تمثله العزة المصرية والعربية ، ليواجهه بحقائق الأمور اذا ما بدا له أنه يستطيع التغاضي عن هذه الحقائق بالحديث عن الاجراءات والتفاصيل الهامشية المشترطة ٠

ان الثقة الشعبية التى أعطاها الشعب المصرى لرئيسه فى تأييده لمبادرته لم تنبع من فراغ ٠٠ كما أنها لم تنبع من يأس ، وذلك بعد نصر أكتوبر وما تبعه من نجاحات متوالية فى صف العرب ٠٠ وضد اسرائيل ٠

ان الثقة الشعبية التى أولاها الشعب المصرى لقائده فى تأييده لمبادرته قد نبعت من نظرة هذا الشعب العريق الى هذا السلوك المتحضر على أنه (قمة انتصارات أكتوبر) ٠

ان هجوم السلام الذى يقوده الرئيس السادات هو استمرار طبيعى لهجوم الحرب التى كسبها ، وان الصدمة الكهربائية التى تحدثها مبادرة نوفمبر تكمل الصدمة العسكرية التى أحدثتها حرب أكتوبر ٠

يقول الرئيس المقاتل المفاوض « لقد كان نصر أكتوبر بردا وسلاما علينا وعلى أجيال من بعدنا ، ولولا نصر أكتوبر ما كانت مبادرة السلام » ٠

كما يقول « لقد أردت أن أوفر الأمن لشعبى وللأجيال القادمة ، وأحسست أننى قوى بما يكفى لأن أحمل على عاتقى هذه المهمة ، وحينما أصل الى هذه القناعة لا أستطيع لشىء على الاطلاق الا لتحقيق هذا الهدف الذى رسمته ، وأقدمت على هذه الخطوة ومن حسن حظى أنها حظيت بتأييد مئات الملايين فى أنحاء العالم أجمع » ٠

ثم يقول « اننى اعتبر هذه المهمة مقدسة ، واذا كنت اشعر أننى أستطيع ولا أقدم فسوف أشعر أننى سأحاسب أمام ربى لأنه كان من الممكن أن أفعل شيئا ولم أقدم عليه » ٠

كما يقـول « ان نفسى لم تطاوعنى فأتوقف لحظة واحـدة عن القيام بمـا أراه واجبا أخلاقيا ووطنيا وقـوميا » ٠

ثم يقـول « اننى حريص على أن تكمل مصر معالم عملتها فى الداخـل والخارج ٠٠ مصريا وعربيا وعالميا » ٠

ومع ذلك ، فان هـذا الشعب المصرى الذى أضاء النـور الأخضر كان ولا يزال على استعداد لأن يطفئه ويعـود الى خنادق الحرب ثقـة منه بأنه وفى كل ما عليه فى معركة السلام أمام ضميره ٠٠ وأمام ضمير العالم ٠

ان هـذا الشعب الذى يعشق السلام ويتعجله ؛ لا يمكن أن تباع له أية (بضاعة حاضرة) ، ولا يمكن أن يقبل بأقل من سلام عادل وشـامل ٠٠ لنفسه ولغيره ٠

ان هـذا الشعب لا يريد أن يقتلع الشجرة من جـذورها ، ولكنه يريد أن يزول العقم الذى يحول دون طرح السلام فى المنطقة ، لأن مصر التى زرعت شجرة السلام لن تكون البادئة بقطعها ٠

ولسوف يصبر الشـعب المصرى فى سعيه على طريق السلام طالمـا ظلت امكانية التوصـل اليه قائمة ، فاذا لم تزهر مبادرة السلام أغصان الزيتـون ـ هناك فى اسرائيل ـ فسوف تساعد باليقين ـ هنا فى مصر ـ على تركيز ارادة المجابهة الصلبة فى شعبها ، ولن يكون من وراء هـذه المبادرة الا ما قاله صاحب المبادرة « ان اسرائيل لن تفلت من معركة السلام أو الحرب » ٠

لقد فاجأ الرئيس السادات الاسرائيليين الذين أثار دهشتهم رؤية زعيم عربى يتخذ هذه الخطوة غير العادية المتمثلة فى مواجهتهم فى برلمانهم أو فى عقر دارهم ...

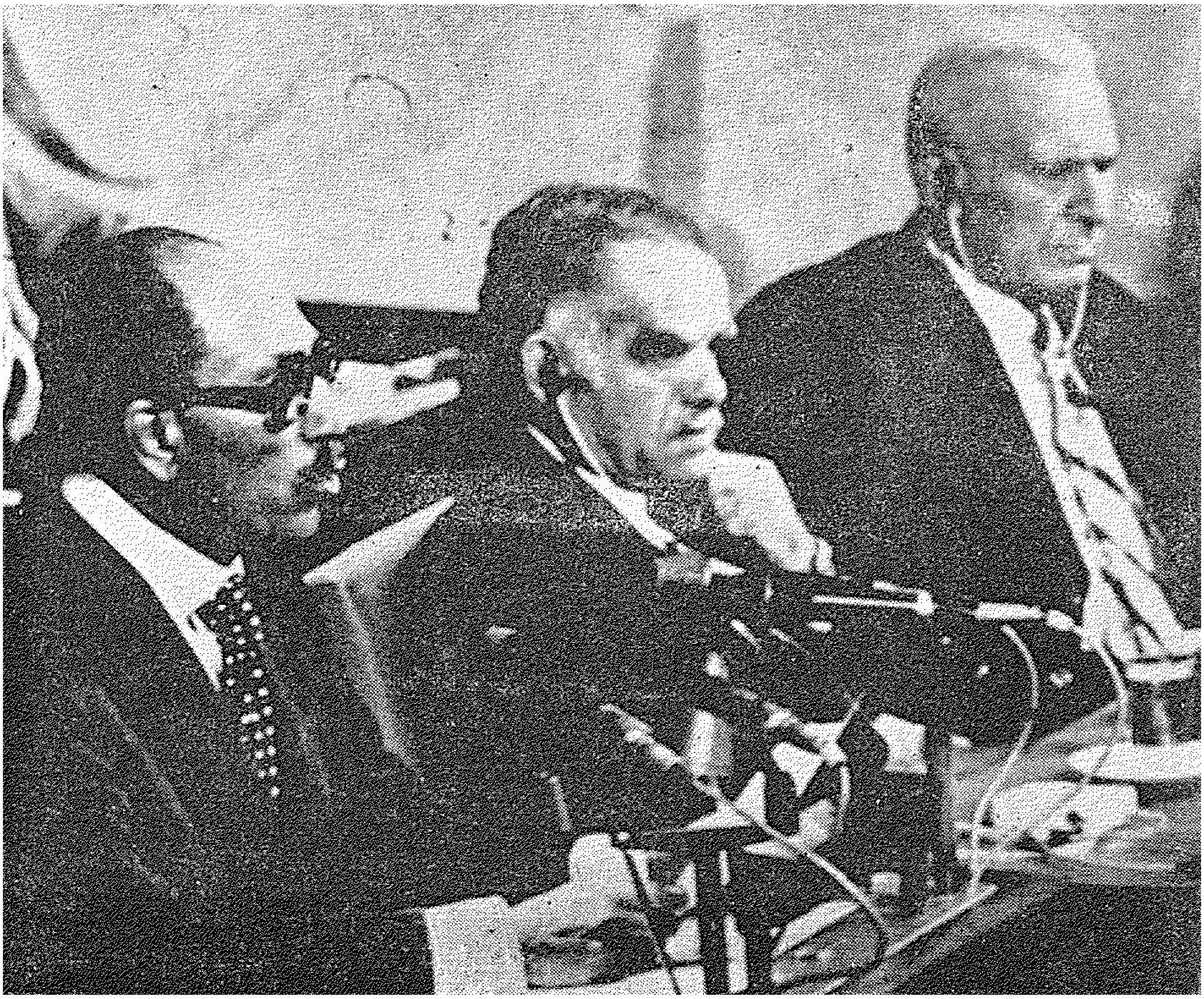

لقـد تعاظمت احتمالات السلام فى الشرق الأوسط بهـذا الاتفاق على نحـو يندر
أن يكون قـد حـدث من قبـل ...!

ان هبوط الرئيس السادات على أرض مطار بن جـوريون كان مثيرا لذهـــول
الاسرائيليين أكثر من هبوط نيل آرمسترونج على سطح القمر ...

لقد وصل الانسان الى القمر ، ووصل السادات الى القدس ، وهذان الحدثان هما أعظم ما تم فى عصرنا ...

يقول الرئيس السادات فى حديث له الى صحيفة نيويورك تايمز « ان رغبة اسرائيل فى أن تصبح حرب أكتوبر هى آخر الحروب بينها وبين العرب لن تجد طريقها الى التحقيق اذا ظلت اسرائيل على تمسكها بخطها ، واذا لم تساهم فى مسئولية اقرار السلام » ٠

كما يقول فى حديث آخر الى صحيفة أساهى اليابانية « ليس أمام اسرائيل الا أن تختار ، وبسرعة ، بين البسلام أو الأرض ، وما لم يستجب الاسرائيليون لما يطالبهم به الرأى العام العالمى ، فلن يحصلوا ، بالتأكيد ، لا على السلام ولا على الأرض » ٠

كما يعلن فى لقاء مع أبطال الجيش الثانى « سوف أعطيكم الأمر كما أعطيته لكم فى أكتوبر لنكمل معركة التحرير اذا ظلت اسرائيل على طريقتها فى عدم فهم روح مبادرة السلام » ٠

لقد كانت قفزة السادات الى القدس عبورا الى عقل اسرائيل وتحطيما للجدار النفسى القائم بينها وبين العرب واثباتا لنوايا السلام واحكاما لحصاره وكسرا لحاجز الشك القائم على الثقة المفقودة واختصارا للشكليات والاجراءات ودفعا لعملية السلام على طريق جنيف واستثمارا واستكمالا لنصر أكتوبر العظيم ٠

لقد استطاع السادات ــ بروح من حضارة مصر وسماحة اهلها ــ ان يتجاوز بقفزة القدس الحاجز النفسى للمشكلة ، والذى كان يمثل فى تقديره نسبة سبعين فى المائة من مجموعها ، والا لما كان هذا الاحساس الجديد الذى غمر الاسرائيليين بضرورة الاختيار ٠

لقد قبض السادات بيده ــ فى قفزة واحدة ــ على ثلاثين عاما من المعاناة والتضحيات والحروب والأزمات والهزائم والانتصارات واراقة الدماء وسقوط الشهداء والقى بكل ذلك خلف ظهره ٠

لقـــد خلقت زيارة السادات موقفـــا نفســـيا جـديدا يعيش الاسرائيليون فيه ، وأعطت لهم دافعـا لاحـداث تغييرات هامة فى تفكيرهم وتصوراتهم عن الصراع ممـا يسمح لهم بعملية استكشاف للحقـائق الجـديدة والمتغيرات المختلفة فى الموقف ٠

كما أراد السادات بهـذه القفزة القـاء القفاز فى وجـه زعمـاء اسرائيل من أجـل المضمون ، واضفاء الشعور بالدفـع على المفاوضات المباشرة وتقليل النقـاط الاجرائية الى حـدها الأدنى ٠

لقـد أراد أن يوفر على العرب عامة وعلى الفلسطينيين خاصـــة سنوات وسنوات من الوقت الضائع الذى لم يكن ليستفيد منه ســوى صقــور اسرائيل ، وأن تتجاوز مصر مـع اسرائيل بهـذه القفزة نقطة اللاعـودة فى تحركهما نحـو السلام ٠

يقـول الدكتور هربرت كيلمان الأستاذ بجامعة هارفارد الأمريكية ومن كبار العلماء فى مجال الدراسات النفسية الاجتماعية للعلاقات الدولية « ان اقتناعى الذاتى هـو أن الرئيس الســادات قـد حقق بزيارته لاسرائيل هـدفه فى التغلب على الحواجز النفسية التى أعاقت المفاوضات المباشرة لسنوات طـوال ، فقـد خلقت الرحلة الظـــروف الملائمـة لادراك وابراز التغييرات التى حـدثت لدى كل طرف ودعتهم لمواجهـة الحقائق الأساسية فى الموقف من خلال عملية أخـذ وعطاء على أسس واقعية » ٠

ويقول البروفيسور الاسرائيلى آموس بيرليتور أسـتاذ العـلوم السياسية بالجامعة الأمريكية بواشنطن « ان الصراع العربى الاسرائيلى قـد انتقل من المرحلة العقائدية الى المرحلة الواقعية ، وذلك بعـد أن أصبحنا لا نخاف بعضنا البعض ، وبعـد أن تعلمنا أن نتحـدث الى بعضنا مباشرة » ٠

لقـد جاءت رحلات السادات بعـد نصر أكتوبر العظيم الى أوربا وأمريكا ومقابلاته لقـادة الفكر والرأى فيهما عبورا الى عقـل الأوربيين والأمريكيين والى ضميرهم ، وتخطيا لجـدار الكراهية للعرب الذى بنته اسرائيل وعززته بوسائل اعلامها بدقـة ودأب واصرار لاهـوادة فيه على مدى ثلاثة أجيـال متعاقبة ٠

ثم جاءت (رحلة السلام) الى القـدس تتويجا لكل رحـلاته بكل ما عكسته من ألوف المقالات والتعليقات التى فاضت بهـا صحف العالم واذاعاته المسموعة والمرئية عبر الأقمـار الصناعية وبكل ما حققته من تحركات سريعة على طريق السلام العادل والشامل فى الشرق الأوســـط ٠

لقـد أجمع العالم على أن هـذه الزيارة هى مفاجأة مذهلة تنطوى على جرأة نادرة ، وأنها قفزة جسورة تتسم بالقـدرة على التخيل ، وأنها حركة مدروسة محسوبة النتائج ، وأنها خطوة غاية فى الشجاعة ودليـل يعكس البراعة فى قـدرة مصر على انتزاع المبادرة ، وأنهـا تعبير رائع عن موقف القـوة لبطل الحرب والسلام ، وأنها تأكيد وانطلاقة لنصر اكتوبر العظيم ٠

يقول الرئيس السادات لصحيفة أساهى اليابانية بعـد هـذه الزيارة بشهور « لقـد استحوزت المبادرة على خيال العالم أجمع ، وبدلا من أن تكون مبادرة مصرية فهى الآن قـد أصبحت مبادرة عالمية ، تخص كل الشعوب المحبة للسلام فى كل أنحاء العالم من الولايات المتحـدة فى الغرب ، الى اليابان فى الشرق » ٠

لقـد أكدت جميع أجهزة قياس الرأى العام فى أوربا وأمريكا أنه لم يسبق لزعيم عربى أن قام بعمل أثر على الرأى العـام

الأوربى والأمريكى مثل تأثير الرحلة الجسورة والمثيرة التى قام بها الرئيس السادات للقدس ، والتى غير بها مفاهيم العالم حول العرب واستولى بها على عقول الناس وأفئدتهم ، وأن الرئيس السادات قد تحدى علنا احتكار اسرائيل للاتصالات الدعائية مع العالم ووضع الاسرائيليين فى موقف دفاعى من خلال هذا المسلك الرائع ، وأنه قد سيطر على وسائل الاعلام وأصبح النجم الذى تسعى وراءه اجهزة المعلومات الأوربية والأمريكية .

لقد كانت وسيلة الجامعة العربية الوحيدة فى التعبير عن وجهة النظر العربية فى الولايات المتحدة قبل مبادرة السلام هى اللجوء الى الاعلان المدفوع الثمن مقدما حتى يطلع عليه الرأى العام الأمريكى ، وما يحدث الآن هو أن كل وسائل الاعلام الأمريكى مليئة بالآراء المؤيدة لوجهة النظر العربية ، الشىء الذى دفع احدى أقوى وأعتى المنظمات الصهيونية فى الولايات المتحدة مثل منظمة (بناى بريت) الى اللجوء الى الاعلان المدفوع حتى تستطيع أن تدافع عن سياسة اسرائيل ، تماما كما كنا نفعل فى الماضى ، انها ظاهرة جديدة لها أهميتها ودلالتها لكل من يتابعون حركة الرأى العام وسياسة الولايات المتحدة ازاء تطور الصراع العربى الاسرائيلى .

يقول أحد السفراء الأوربيين فى القاهرة « لقد كان الرأى العام الأوربى ينظر الى الموقف فى الشرق الأوسط من خلال عيون اسرائيلية ، ثم جاءت مبادرة السلام فحولت أنظار الأوربيين الى الشرق الأوسط بطريقة ليس لها سابقة » .

ويقول السينيور روسيل دى لوما الرئيس الفخرى لهيئة جائزة (الكوكب الذهبى) الدولية للسلام « ان الرئيس السادات قد أقدم بشجاعة يندر حدوثها بين الرجال فواجه عدوه المتغطرس وأجبره

على احترامه ، كما أعطى للمشكلة العربية الصفة العالمية فتبنتها الدول الكبرى مما كان له أثر فى اظهار عدالة القضية العربية واثبات حب الشعب العربى للسلام » ٠

ويقول الدكتور كينيث جريث رئيس المجلس العالمى لحركة الكنيسة الميثودية البروتستانتية « ان الزيارة التاريخية التى قام بها الرئيس السادات للقدس قد أضاءت شعلة الأمل فى قلوب الملايين ، وان شجاعة الرئيس الشخصية ورؤيته الخلاقة قد كسرت الجمود وفتحت طريق السلام عبر غابة المصالح المتصارعة فى الشرق الأوسط » ٠

ويقول تقرير بعثة الكونجرس الأمريكى لتقصى الحقائق « ان المبادرة الشجاعة للرئيس السادات قد خلقت فرصة تاريخية فريدة للسلام الحقيقى لا ينبغى أن تترك كى تفلت أو تضيع ، ان لهذه المبادرة بعدا رمزيا كبيرا » ٠

ويقول هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية السابق فى شهادته أمام لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكى مؤيدا حصول مصر على صفقة الطائرات الأمريكية بسبب الدور الدءوب الذى يلعبه الرئيس السادات فى صنع السلام « ان زيارة السادات القدس كانت واحدة من الأعمال السياسية القليلة التى تتضمن بعدا روحيا عميقا » ٠

ويقول الدكتور رايان أستاذ القانون بجامعة فلتشر الأمريكية للرئيس السادات خلال مؤتمر الاعلام الدولى الذى عقد بالقاهرة « انك قد أعطيت العالم كله درسا فى القانون الدولى والعلاقات الدولية ، وانتم كأستاذ عالى فى السياسة والدبلوماسية يسعدنى أن

اعلن نبأ اختياركم أستاذا فى جامعتنا وهى أقدم جامعة أمريكية فى القانون » .

(يحدث هذا بينما طلبة جامعة الينوى الأمريكية يعارضون قرار منح مناحم بيجين درجة الدكتوراه الفخرية تكريما له من جامعتهم ، ويحتجون على قرار مجلس الجامعة لأنه : أمر بعيد عن الحكمة ، ويحدث هذا أيضا بينما طلبة جامعة اكسفورد البريطانية يطالبون جميع الزعماء فى مناطق النزاع فى العالم بالقيام بمبادرات مثل مبادرة الرئيس السادات) .

ويقول المعلق الأمريكى الشهير جيمس ريستون « ان الرئيس السادات قد تحول من رد الفعل ازاء رحلة القدس الى شخصية عالمية ، وهو يقوم الآن بهذا الدور بكل حماس المؤمن وغيرته » .

ويقول الحاخام الأمريكى باروخ كورف أثناء زيارته للقاهرة وبعد مقابلته للرئيس السادات « لقد ابلغنا الرئيس السادات تاييدنا الكامل لمنحه جائزة نوبل للسلام باعتباره من أعظم رجال العصر الذين يسعون الى تحقيق السلام لصالح شعوبهم ولصالح شعوب العالم الأخرى » .

لقد أجمع الخبراء والمحللون على أن مبادرة السلام هى سلوك عقلانى حضارى يتسم بطابع الحضارة المصرية والعربية ، استلهمه القائد الملهم من حضارة مصر والعرب ، وعبر به عن وجدان الشعب المصرى والأمة العربية كلها ، واستخلصه من مدارسته لتاريخ الصراع وتقديره لطبيعة مجريات الأمور فى العصر الذى نعيشه ، وحطم به قالب التفكير السائد فى منطقتنا العربية ، وارتضى به أسلوب الحوار المفتوح والهادىء والمنتج والذى ينم عن النضوج والاتزان

والتعقل ، وتحرك به الى أفضل المواقف وأنسب الأوضاع لابراز المشكلة ومحاولة حلها ، وقدم به نموذجا راقيا لمعالجة المشاكل الدولية ، وملأ به فراغا فى الزعامة العالمية التى تقدم المثل الحى لخلاص البشر ، وخلق به لحظة وجدانية عالمية بلغت فى شموخها مرتبة الخوارق السياسية ، وأكد به أن الصراع العربى الاسرائيلى هو صراع حضارى جهزت له اسرائيل ·· ويجب أن نستعد له ·· باكثر الأفعال ·· وبأقل الأقوال ·

لقد ذهب بعض المفكرين الى اعطاء المبادرة بعدا فلسفيا انسانيا أكبر من المعنى السياسى الضيق ، فكانت فى نظرهم دعوة الى الخروج بالانسان من عصر الغابة وتخليصه من جاذبية الأرض والارتفاع به الى عصر الفضاء وادخاله الى القرن القادم مبرءا من الفردية والعنصرية والشعوبية ودعما بالانسانية والجماعية والعالمية ، وهو المعنى العام ، الأوسع والأبعد والأشمل ، الذى جعل المبادرة فى نظرهم ملكا للعالم والعالم المتحضر كله ، والذى يجعلها حية باقية لا تموت ولا تفشل ·

واذا كانت هناك أصوات ناشزة فى منطقتنا العربية أو خارجها قد ارتفعت بالجحود والنكران فانها أصوات عاجزة حاقدة لا تسىء الا لأصحابها ، انها أصوات تساند ما بذله أعداؤنا من جهد لاستمرار اضفاء صورة القبح على وجهنا العربى ، وتبرر الابقاء على الجدار الكثيف من الكراهية والريبة التى حاولت اسرائيل تعليته بيننا وبين بقية العالم لحجبه عن حقيقة أننا شعب عريق متحضر ·

وفى هذا المعنى يقول الرئيس السادات « ان هذه الزيارة تنسجم مع ارادة شعب مصر المتحضر الذى يعتبر أن قضية ثأره وكرامته مع الاسرائيليين قد انتهت بحرب ١٩٧٣ » ·

ان هـؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم (جبهة الرفض) كان عليهم أن يدركوا الى أن مدى التف الشـعب المصرى (الذى يؤلف وحده ثلث مجموع العرب) حول رئيسه للاعراب عن تأييده الاجماعى لمبادرته التاريخية الفريدة علاوة على ما حصل عليه من تأييد العالم بأسره ٠

تقول صحيفة فرانس سـوار « لقـد استقبلت القاهرة زعيمها استقبالا لم يعرفه العـالم منذ كانت روما تستقبل أباطرة الرومان ٠٠ استقبالا جـديرا بفراعنة مصر القـديمة ٠٠ ان أحـدا لم يشهد شيئا مثل هـذا من قبـل » ٠

ان بعض هـذه الأصوات الناشزة العاجزة الحاقدة هى التى كانت تطعننا خلال حملة الحرب ٠٠ وهى التى ما فتئت تطعننا خلال حملة السلام ، انها ترجيع الصدى للأصوات التى اضاعت فلسطين فى الماضى ، انها البديل عن المساندة المخلصة فى لحظات الاختيار الصعبة واكتشاف المجهول ٠

انها فقاعات ترفض لا من أجـل شىء الا لأنها مرفوضـة ، ولا ترفض الا للرفض فى حـد ذاته ولا تقـدم البديل عما ترفضه ، ولا تصنع شيئا ذا قيمة فى فترة لم تعرف الأمة العربية أكثر منها دقـة وحرجا بل ولا ترضى حتى بالصبر والصمت أو الترقب والانتظار ٠

انها أصـوات معروفة الهـوية ، انها ترتبط بمذاهب اجنبية تضعف انتماءها القـومى العربى ، انها تقف خلف الاتحاد السوفييتى تردد وراءه نغمة (الحل المنفرد) الشىء الذى دعا الأمير سعود الفيصل وزير خارجية السعودية الى أن يعلن أن مبادرة الرئيس السادات بذهابه الى القـدس كانت بمثابة اختبار لنوايا ودوافـع اسرائيل ، وأيضا بعض الدول العربية ٠

ان الاتحاد السوفييتى الذى يهاجم مبادرة السلام المصرية هو الذى طالب فى العام السابق لعام أكتوبر بالاسترخاء العسكرى لفرض حالة دائمة من اللاسلم واللاحرب على منطقتنا العربية ، لأن استمرار التوتر فى المنطقة كاد يؤدى فى فترة من الفترات الى انزلاق القوى العربية الكبرى فيها الى الانحياز للكتلة الشرقية التى تدور فى فلكه ، والتى ترى فى حركة القومية العربية عائقا وقيدا على حركة الشيوعية الدولية .

ان هجوم الاتحاد السوفييتى على مبادرة السلام المصرية ، بحجة أن مصر تسعى الى حل منفرد ، ينبع من رغبته فى تقسيم العالم العربى للصيد فى الماء العكر ، كما ينبع من ادراكه أن الثغرة التى يمكن أن يتسلل منها نفوذه السياسى والاقتصادى والعسكرى الى المنطقة العربية هى ثغرة الصراع العربى الاسرائيلى الذى يجب أن يظل مشتعلا لتنشأ الحاجة الى أسلحته وتاييده ، ولكى تنضج الظروف الموضوعية فى ظل التوتر المستمر والحروب المدمرة لاحداث تغييرات اجتماعية وسياسية للنظم القائمة تتفق وأيديولوجيته .

ان الاتحاد السوفييتى وهو يرفض مبادرة السلام يجعل من نفسه طرفا فى النزاع ، ويعطى لنفسه الحق فى أن يكون له رأى يخالف آراء أطرافه ، ويتخلى بذلك عن مسئوليته الدولية ازاء السلام باعتباره احدى القوتين العظميين .

لقد كان الاتحاد السوفييتى مع مبادرة من نوع آخر ونحن مهزومون فى حرب يونيو عندما حاول تدبير لقاء بين الرئيس السادات وجولدا مائير فى طشقند ، ولكن بعد أن أثبتنا ذاتنا فى حرب أكتوبر أمام اسرائيل وعلى مشهد من العالم اصبح الاتحاد السوفييتى ضد هذه المبادرة لأن مصر هى التى قامت بها ، ولأنها قامت بها وهى فى موقف المنتصر .

ان من المؤسف أن يكون هناك خط واحـد يجمع بين دببة الكرملين وصـقور اسرائيل وغربان الرفض ؛ هـؤلاء الأشقاء الألداء ، الذين أعلنوا شعار (الصمود والتصدى) ، وهم لا يصمدون فى أى شىء ، ولا يتصـدون لأى شىء ٠

لقـد فاجأت مصر بمبادرتها اسرائيل وأوقعتها فى الكمين الذى كان يخشاه صقـورها ، وفتشت مصر عمـا ضاع منها أو من أخواتها بالمواجهـة المباشرة والشجاعة مـع هـؤلاء الصقور ، وعمـا كان معها وفقـدته بالحـوار المفتوح والصريح مـع هـؤلاء المهزومين ، فلم تجـد الا ادراكا أكثر لعمق المـأزق الاسرائيلى الراهن ٠٠ وهـذه حقيقة غابت عن بعض الرافضين ٠

لقـد علقت بعض الصحف العالمية عقب اعلان الرئيس السـادات عن استعداده للذهاب الى القـدس بأنه زلة لسان ، وأنه من قبيل الدعاية السياسية ، ولكنها ما لبثت أن أقرت واعترفت أن السادات كما هـو عهده دائمـا ـ أستاذ فى صنع القرار ، وأنه يعنى دائمـا ما يقول ٠

لقـد فاجأ الرئيس السادات الاسرائيليين الذين أثار دهشتهم رؤية زعيم عربى يتخـذ هـذه الخطوة غير العادية المتمثلة فى مواجهتهم فى برلمـانهم أو فى عقر دارهم ٠

لقـد أصيب الاسرائيليون بالدهشة لرؤيتهم زعيم أكبر دولة عربية يتخـذ مثل هـذه الخطوة التى كانوا يصفونها منذ زمن طـويل بأنها (جـوهر السلام) ٠

لقـد فوجىء الاسرائيليون بهـذه الرحلة الطـويلة القصيرة ، أطـول وأقصر رحلة فى التاريخ ، رحلة ثلاثين سنة من الصراع وثلاثين دقيقة من الطيران ٠

لقـد علق مراسـل وكالة الأسوشييتد برس على هـذه المفاجـأة قائلا « ان هبوط الرئيس السادات على أرض مطار بن جـوريون كان مثيرا لذهـول الاسرائيليين أكثر من هبوط نيل آرمسترونج على سطح القمـــر » ٠

كما أعلن المعلق الأمريكي كرونكايت « لقـد وصـل الانسان الى القمـر ، ووصـل السادات الى القـدس ، وهـذان الحـدثان همـا أعظم ما تم فى عصرنا » ٠

لقـد ترجم العالم ما رآه وما سمعه عن رحـلة الرئيس المصرى بقـوله « نعم ٠٠ انه سليل بنـاة الحضارة » ٠

لقـد علق جان بول ســارتر فيلسوف فرنسا على هـذه الخطوة بقـوله « انفتح باب الطائرة ليخرج رجـل وحـده يتوقف لحظـــات ويبتسم ، رأيت الحـدث مثلكم ، انه أسطورة تشبه سقوط الباستيل الذى لم يكن سقوطه مجرد استيلاء على قلعة قـديمة بل رمزا لسقوط نظـام قـديم » ٠

لقـد علق آرى لوفا اليـاف رئيس حزب شيللى الاسرائيلى على هـذه الخطوة بقـوله « لقـد سـجل السادات أن لديه عينا ثاقبة حينما حطم خرافة عـدم وجـود شخص على الجانب الآخر يمكن التحـدث اليـه ، لقـــد تحطمت وتناثرت كل أنمـــاط التفكير و (الكليشيهات الديماجـوجية) التى أقامتها كتلة (ليكود) وبنت عليها طابقا ثانيا وثالثا من أجـل الحصول على أصوات الناخبين » ٠

لقـد ظلت جيوب عريضة من الرأى العام العالمى واقعـة تحت الوهم الذى دأبت تروج له اسرائيل عن (الوحـوش العرب) الذين أم

تمتد يد واحد فيهم بالسلام ، ولهذا فانه عندما خطا السادات خطوته الى القدس ، انهار هذا الجدار الوهمى الذى كانت اسرائيل تسند اليه ظهرها وأصبح العالم كله مع مصر فى مكان واحد ٠

لقد أصبح العالم كله مع مصر الواضحة فى هدفها ٠٠ الواضحة فى سلوكها ٠٠ الواضحة فى سلامها ٠

لقد أرادت مصر بمبادرة السلام أن تنظر فى عينى اسرائيل وأن تقطع الطريق عليها أمام العالم وذلك باختبار نواياها الحقيقية من أجل السلام الحقيقى ، بعد أن أوهمت معظم دول العالم أنها مستعدة للاتفاق مع العرب اذا جلست معهم على مائدة المفاوضات ، وكانت تدعى ذلك بين الحين والآخر فى مختلف المناسبات وتجد لادعائها آذانا صاغية لدى معظم زعماء العالم الذين كانوا لا ينقطعون عن ترديد سؤالهم لنا « لماذا لا تجلسون على مائدة المفاوضات مع اسرائيل ؟ » ٠

لقد جاءت رحلة السلام لتحطم نهائيا دعوى أن اسرائيل هى التى تسعى الى السلام بينما العرب هم الذين يرفضونه ، وأن سلوك اسرائيل (العدوانى) له ما يبرره ازاء جو الرفض والكراهية حولها فى العالم العربى ٠

نعم ٠٠ لقد جاءت رحلة السلام لتشكل فاصلا واضحا بين مسئولية العرب ، ومسئولية الاسرائيليين ، ولتجعل اسرائيل تقف وظهرها للحائط فيما يتعلق بالمناورات والمداورات ٠

لقد علق ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية السابق على هذه الزيارة بقوله « اننى أخشى أن يجىء الينا السادات لتصعيب الأمور

بالنسبة الينا وليس لتيسيرها ، لأنه سيأتى الينا بساعة الحسم المؤلمة لنا جميعا » ٠

لقد كانت رحلة السلام بداية الطريق لتحقيق النبوءة التى أطلقها دافيد بن جوريون مؤسس اسرائيل ونبيها المسلح « ان أسوأ كمين يمكن أن يفاجئنا به العرب هو أن يوافقوا على الصلح معنا » ٠

لقد أعطت مبادرة السلام المصرية لاسرائيل الخيار بين فرصة تحقيق وجود هادئ غير مضطرب ، وبين أن تبقى وترا مشدودا تمجد الحرب وتعزز العزلة وتكرس للعداء مع الجيران ، وتصلب السلام على مذبح الأوهام القديمة وتستمر فى (حرب الثلاثين عاما فى الشرق الأوسط) ٠

لقد كان على الشعب الاسرائيلى فى مجموعه بعد هذه المبادرة أن يقرر وأن يبرهن على ما اذا كان ينوى الانفتاح على (الحقائق) ، أو اذا كان يستعذب الانبطاح على وجهه كى تسوقه الى المجهول قيادة صهيونية عريقة تستخدم التعليم والاعلام والجيش فى صياغة عقله وتشكيل أحلامه ٠٠ ضد العقل والمنطق ٠٠ وضد الواقع والتاريخ ٠

فاذا ظلت اسرائيل تخشى من اشاعة جو السلام فى المنطقة العربية ، فمعنى ذلك أنها تخشى من أن تتفرغ الدول العربية لتنمية مواردها وتوحيد شعوبها ، كما أنها تخشى من تقلص دورها المعوق للتنمية والوحدة ، وهو الدور الذى ظل يناسب تكوينها الداخلى وأطماعها الخارجية ، والذى يبرر لها ضرورة الابقاء على حالة التوتر فى المنطقة العربية ٠

وفى رأى كل منصف أنه اذا لم يكن لمبادرة السلام فضل سوى أن تكشف بوضوح وجلاء حاسمين عن نوايا اسرائيل العدوانية

والتوسعية وتعنتها ورفضها الاستفزازى للسلام العادل والقانون الدولى أمام أنظار العالم كله حيث تتحول اسرائيل من مشكلة عربية الى أرق دولى يزيد من حصارها وعزلتها ٠٠ لكانت هـذه النتيجة وحـدها كسبا كافيــا للمبادرة ٠

ان الحقيقة الدامغة التى صارت تتراءى للعالم بعـد مبادرة السلام هى أن الزعماء الاسرائيليين لم يكونوا فى وقت من الأوقات صادقين فى حـديثهم عن السلام ، وقـد نجح الرئيس السادات مرتين فى قلب الصـور التى كانت اسرائيل تظهر بهـا أمام العالم : المرة الأولى فى معركة الحرب حينما حطم أسطورة التفوق الاسرائيلى على العرب ، والمرة الثانية فى معركة السلام عندما عزل اسرائيل وجردها من سلاح البكاء والشكوى الذى كانت تستخدمه ضـد العرب ٠

ان مبادرة السلام من وجهة النظـــر التاريخية كانت الوســـيلة الحاسمة التى تتيح للعرب وللعالم معرفة حقيقة اسرائيل ونواياها ، وتعريتها بحركة حاسمة أمام العالم المتحضر من كل الأقنعـــة التى تسترت وراءها منذ قيامها فى قلب الأمة العربية ٠

لقـد استهدفت رحلة القـدس فيما استهدفته فضح اسرائيل وكشفها تمـاما عندما تبـدو أمام العالم وكأنها رفضت يد السلام التى مدها اليها قائد العبـور ورئيس أكبر دولة عربية بعـد أن اتخـذ قراره الجرىء بالتوجـه الى اسرائيل ومخاطبة الكنيست ٠

لقـد حـذرت بعض صحف اسرائيل من أن اسرائيل سوف تكون فى حاجة الى من يرشـدها لتفـادى سخرية العالم من أى خيبة أمل محتملة لهـذه الزيارة التى يعتبرها رجـل الشارع الاسرائيلى أكبر

حدث يشهده الاسرائيليون منذ قيام دولة اسرائيل ، او الحدث الذى له نفس اهمية قيامها .

كما أشارت بعض هذه الصحف بأن على اسرائيل أن تستعد اوتجهه لحظة الحقيقة التى خلقها أكبر تحرك دبلوماسى فى الشرق الأوسط .

كما ألمحت بعض هذه الصحف بان الرئيس السادات قد حمل اسرائيل عبئا ثقيلا للغاية .

لقد أوضحت كل صحف العالم مدى حرج موقف الاسرائيليين اذا استمر تصلب قادتهم مما يشجع على العودة الى السياسة القديمة المتشددة عندما كان العرب ينظرون الى اسرائيل باعتبارها سرطانا فى جسم الأمة العربية يتحتم استئصاله ، كما حذرت من أنه يمكن فى مثل هذه الحالة أن يتجاوب العالم كله مع نظرة العرب ولن يكون أمام الاسرائيليين بعد اضاعة هذه الفرصة الفريدة الا أن يبنوا بالندم عليها (حائط مبكى جديد) .

لقد أشارت التقارير من داخل اسرائيل الى أن نسبة ملحوظة داخل الكنيست الاسرائيلى قد صارت فى صف جهود السلام ، وأن هذه النسبة المتزايدة قد بلورت ذاتها فى (مجموعة ضغط) جعلت مهمتها مراقبة أعمال الحكومة فى مسلكها ازاء جهود السلام وفضح نواياها اذا ما حاولت من خلال التصلب أن تضيع تلك الفرصة التى ربما قد لا تتكرر مرة أخرى .

ولعل هذا التحول يتمثل فى قول احد نواب الحركة الديمقراطية من أجل التغيير عندما خاطب الرئيس السادات قائلا « لقد غزوت قلوبنا ، وغيرت الموقف كله فى الشرق الأوسط » .

كما يتضح فى سؤال نائب آخر « لماذا لم تأت يا سيدى الينا قبل ثلاثين عاما ؟ كم كنا سنوفر من تضحيات » ٠

كما يتضح فى قول نائب ثالث « ان السادات الذى كان بطل العبور فى الحرب ٠٠ قد أصبح اليوم بطل العبور فى السلام » ٠

كما يتضح فى أحد تعليقاتهم « ان السادات قد بدأ يكتب التاريخ بعد أن تركزت عليه أضواء العالم كله » ٠

كما يتضح فى تعليق آخر « ان السادات قد ملأ فراغا فى الزعامة العالمية ، وكل من يحب السلام لابد أن يؤيده » ٠

كما يتضح فى تعليق ثالث « ان السادات قد لقننا درسا فى الحضارة » ٠

ولعل هذا التحول يتمثل كذلك فى تصريح آرى لوفا الياف رئيس حزب شيللى الاسرائيلى « ٠٠٠ أما اذا كانت جاذبيتنا سترتبط بالخوذات التى نلبسها والمدرعات التى نركبها والبنادق التى نحملها فانها لن تكون جاذبية حقيقية » ٠

لقد أشارت التقارير من داخل اسرائيل أيضا الى أن السادات قد حقق برحلته الى القدس ما يعجز عن تحقيقه أى ضغط أمريكى مهما كان حجمه ، وأن المعتقدات والبديهيات الأساسية للمجتمع الاسرائيلى قد بدأت تهتز وتصبح موضع تساؤل ، وأن الأحزاب السياسية سواء الحاكمة أو المعارضة قد بدأت فى اعادة تقييم سياستها ومبادئها ، وأن الشعب الاسرائيلى لن يقبل طويلا بسياسات زعمائه المتصلبة ٠

لقد حاصرت هذه المبادرة حكومة اسرائيل ووضعتها فى مأزق ، فالرأى العام الاسرائيلى قد تحول - لأول مرة - الى الضغط على حكومته من أجل أن تقف على طريق السلام ، الى الدرجة التى جعلت شيمون بيريز رئيس حزب العمل المعارض يعلن فى تصريح له حينذاك أنه اذا عجز مناحم بيجين عن الامساك بهذه الفرصة التاريخية فسوف يكون الشعب الاسرائيلى هو أول من يسقطه ٠

وحتى عندما وقفت بعض الأطراف العربية موقف الرفض من هذه المحاولة ، كان الرد الذى خرج من اسرائيل أن الرغبة فى السلام سوف تنتصر فى النهاية ، وتجتذب اليها هؤلاء الذين عارضوها فى البداية ٠

وها هو مناحم بيجين أشد الصقور مغالاة فى جيل الحرس الحرس القديم و (بطل) مذبحة دير ياسين يعترف بعد المبادرة أن كل شىء قابل للتفاوض ، وأن هناك مشكلة فلسطينية ينبغى أن تعالج ، وأنه لم يعد فى الامكان أن تصم اسرائيل سمعها عن الصوت الفلسطينى ٠

وها هو ناحوم جولدمان آخر حكماء صهيون يقول « ان انكار الوجود الفلسطينى تزوير للتاريخ غير قابل للتصديق من أحد » ٠

ثم ها هو عيزر وايزمان وزير الدفاع الاسرائيلى يصرح بأن الحركة نحو السلام تتصف بقوة هائله الى الحد الذى يتعذر معه الاعتقاد بأنها ستتوقف ٠

ولقد اتهم اسحق رابين رئيس الوزراء الاسرائيلى السابق ، بعد الجولة الأولى من المفاوضات بين مصر واسرائيل ، اتهم مناحم بيجين بأنه ينتهج سياسة (صبيانية) وخاصة فيما يتعلق بسياسة

المستوطنات الاسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة والتى أراد بها الابتعاد عن البحث فى صلب القضية .

واعترف عيزر وايزمان وزير الدفاع الاسرائيلى فى حكومة بيجين بقوله « اننا لم نكن نموذجا للكمال » .

ووصف عيزر وايزمان رئيسه مناحم بيجين بالكذب والخداع والمراوغة واتهمه بتضليل الشعب الاسرائيلى .

لقد رأى عيزر وايزمان أن مناحم بيجين يسعى الى الحصول على مكاسب السلام وغنائم الحرب فى آن واحد ، وهو شىء غير قابل للتحقيق .

لقد كان عيزر وايزمان وزير الدفاع يريد بمواقفه ازاء مناحم بيجين رئيس الحكومة أن يلحق بمسيرة الرأى العام الاسرائيلى فضلا عن الرأى العام العالمى ازاء مبادرة السلام وكونها فرصة تاريخية ربما لن تتكرر ، ولن يكون لها بديل الا حربا تقف فيها اسرائيل معزولة تماما عن كل أصدقائها .

لقد كان عيزر وايزمان ، صوت العقل فى حكومة بيجين ، يأمل فى تفادى نشوب حرب جديدة فى الشرق الأوسط ، ويتمنى أن يتسنى له ـ على حد قوله ـ أن يحمل لقب (وزير الحرب والسلام) فى اسرائيل .

ولقد هدد حزب الحركة الديمقراطية من أجل التغيير (داش) الذى يراسه ايجال يادين بفض الائتلاف مع كتلة (ليكود) والانسحاب من الوزارة الاسرائيلية الائتلافية اذا ما انهارت مفاوضات السلام مع مصر .

وأعلن الحزب أنه يرفض أى تصرف من شأنه أن يخلق جوا من عدم الثقة أو يعرقل المفاوضات من أجل التسوية السلمية لأزمة الشرق الأوسط ٠

واستقال مائير أميت أحد زعماء الحزب ووزير النقل فى حكومة الائتلاف احتجاجا على مواقف مناحم بيجين ، وقال فى أحد تصريحاته أن تصرفات بيجين (تدفعنى الى الجنون) ، كما لوح بانشاء حزب جديد تحت اسم (الحركة الديمقراطية من أجل التغيير والمبادرة) ٠

لقد أعطت هذه المبادرة لبيجين الفرصة ـ رغم ماضيه ـ ليدخل التاريخ فى نهاية حياته السياسية من بوابة السلام بعد أن دخله بن جوريون فى بداية حياته السياسية من بوابة الحرب ، وليكون من أكثر الزعماء الاسرائيليين شعبية وقوة ، وليملك الخيار بين أن ينزع عن العقلية الاسرائيلية دروس التاريخ المنسوج بالأساطير وفكرة (الجيتو) المغلق والأمن المرتبط بالأرض ، أو ليدفع المزيد من العصى الى العجلات مدفوعا بالجماعات الدينية المتطرفة وصقور جيش الدفاع وذئاب المؤسسة الحاكمة والمهووسين بأحلام اسرائيل الكبرى ٠

لقد أعطت هذه المبادرة لبيجين الفرصة ليختار بين أن يصبح بطلا قوميا يحقق للاسرائيليين الأمن والسلام أو ليغتال الآمال التى أورقتها فى نفوسهم هذه المبادرة ؛ فيظل سجينا لرؤى التوراة القديمة ويستمر فى أداء دور الصقر الذى يدفع الحمامة الى الهرب ، ويضع بيده نهاية مأساوية لحياته السياسية ٠

لقد قال الرئيس الأمريكى جيمى كارتر « ان بيجين يواجه فرصة وتحديا فى الوقت نفسه ، فأما التحدى فهو ضمان الأمن لشعبه ، وأما الفرصة فهى تحقيق هذا الأمن عن طريق سلام تاريخى من خلال التفاوض المباشر مع العرب » ٠

لقـد رأى البعض أن بيجين ـ فى تطرفه ـ يكون أكثر ساسة اسرائيل قـدرة على اقناع بقية صقور اسرائيل فضلا عن الشـعب الاسرائيلى بأن أى اتفاق للسلام لا يتعارض مع نظرية أمنهم ٠

يقول ناحـوم جولدمان « ان مشكلة بيجين أنه يحس بأنه موعود بتحقيق رسالة ، وتتبلط على رأسه فكرة أن الرب (يهوه) سوف يساعده على تحقيق اسرائيل الكبرى ، ولكن على حـد تعبير صـديق أمريكى بارز أنه اذا كان بيجين يرى أنه موعود فان له أن ينتظر عـون الرب (يهوه) ولكن ليس له أن ينتظر تأييد الأمريكيين » ٠

وتصف كبريات الصحف العالميـــة مناحم بيجين بأنه عاجز بوضوح عن التعامل بفعالية ليس فقط مـع حقائق العصر ولكن أيضا مع آمال المستقبل ، وبأنه المعارض المزمن ، المستريح فى عزلته عن المعطيات التاريخية وعن حقائق القيادة القومية ، وبأنه لا يقـدم الا النصوص القـديمة المليئة بالادعاء بوصفها عـذرا لأوهامه الداخلية ، وبأنه يمثل آخر أمثلة قصر النظر بعـد أن حكم على نفسه بأن يتصرف من خـلال ذكريات المـاضى ٠

ويقول أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل السابق فى جريدة واشنطن بوست « ان على رئيس الوزراء مناحم بيجين أن يختار بين التنازل عن برنامج كتلة (ليكود) أو ترك قيادة اسرائيل من أجـل تحقيق السلام ، ان على رجـل الدولة أن يبنى الجسور التى توصـل بين خبرته وبين رؤيته للأحـداث ، وبين معتقداته القـديمة وآماله الجـديدة ، وبين أصـداء المـاضى ونداءات المستقبل ، ولا يمكن تنسيق المواقف الوطنية حـول السياسات أو التفسيرات التى تحطم آمال الدولة الاسرائيلية ويهود العالم فى كل مكان وكل المحبين لسـلام الانسـان » ٠

لقـد وصف ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العـالمى السابق فى مجلة شتيرن الألمـانية مناحم بيجين بأنه ساذج ويعـانى من نقص شـديد فى الادراك السياسى فضلا عن أن التفاؤل الصبيانى يسيطر عليه ، فهو ما زال يحلم بقيام دولة اسرائيل الكبرى ، وأن بوسعه حـل كل شيء من خلال تشبثه بمـا يعتقده هـو شخصيا ٠

وأكد جولدمان فى ذات الحـديث على ضرورة حصول الشعب الفلسطينى على وطن قـومى ، وقال أن الشعب اليهودى هـو آخر من ينبغى أن ينكر أن الفلسطينيين يشكلون شعبا فعلا ، وأشار الى أن ما ذكرته جولدا مائير بأن الشعب الفلسطينى لا وجـود له ليس الا كلاما فارغا ٠

ولقـد اعترف اللورد جـورج براون وزير خارجية بريطانيا الأسبق ـ بعـد المبادرة بشهور قليلة ـ بأن الالتباس الذى يعترى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بشأن الجـلاء عن الأراضى العربية كان مقصودا ومتعمدا حتى يتم التصديق عليه من جانب اسرائيل ، وبأن القرار يعنى تماما الانسحاب من جميع الأراضى التى تم احتلالها فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وبأنه هـو الذى وضع صياغة القرار الشهير وليس اللورد كارادون مندوب بريطانيا فى مجلس الأمن وقتئذ ، وهاجم اللورد براون مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل علنا ووصفه بأنه ارهابى أكثر من بن جوريون مؤسس دولة اسرائيل ٠

لقـد أجمع الخبراء والمحللون فى أوربا وأمريكا على أن الرئيس السادات بمبادرته التاريخية يتحدث اللغة التى يفهمها العالم ، ويتبع منهجا علميا ينهض على تحليل الظروف الراهنة ودراسة الامكانيات المتاحة وتحديد الطرق المؤدية الى الحلول العملية من خلال البدائل الفعالة، وهـو أسلوب يعشقه العالم المتحضر ويقـدره ، بينما رئيس وزراء

اسرائيل يتحدث عن وقائع جرى ذكرها فى التوراة منذ آلاف السنين ، ويثرثر بالألغاز والطلاسم والأحاجى ، وهو اتجاه لا يمكن أن يتقبله للعالم المعاصر الذى لا يقيم وزنا لتحريفات الأساطير ، كما أنه اتجاه يؤدى باسرائيل الى مزيد من العزلة الدولية ٠

لقد جاءت مظاهرات تل أبيب التى نظمتها حركة (السلام الآن) تحت شعار (السلام بغير الأرض أفضل من الأرض بدون السلام) لتؤكد تزايد الفجوة بين تخريفات مناحم بيجين وبين تطلعات شعب اسرائيل الذى خرج عن صمته وتحرك ليعلن معارضته لسياسة رئيس وزرائه وعصبته من صقور اسرائيل ، وليعلن أن حسابه معهم قد بدأ ولن يطول ٠

ودارت المناقشات عالية داخل المجتمع الاسرائيلى حول هؤلاء (الحكام العجائز) ، الذين يفضلون وحدهم الأرض على السلام ، وبرز السؤال مدويا : وماذا بعد كل هذه الحروب ؟ ! ٠

ووقع مئات من أساتذة الجامعات الاسرائيلية فى تل أبيب والقدس على عريضة أعلنوا فيها تضامنهم مع حركة السلام الاسرائيلية ، وطالبوا الحكومة بضرورة الاستفادة من الفرصة المتاحة للسلام الآن وعدم اضاعتها ، وبضرورة التخلى عن السياسة التى افقدت اسرائيل أهم أصدقائها وأدت الى زيادة عزلتها عن العالم مما أسفر عنه ضعف أمنها وزيادة مخاطر الحرب حولها ٠

كما قامت حركة تطلق على نفسها (نحو صهيونية جديدة) يتكون أغلبها من طلاب الجامعة العبرية بالقدس لاعداد عرائض تطالب الحكومة بالاقلاع عن سياسة الاستيطان والتطرف ، وبأن تتقدم بجدية نحو السلام ٠

والشارع الاسرائيلى الآن يرى أن البديل الوحيد للسلام هـو الحرب ، والحرب المدمرة الصعبة فى ظـل مناخ دولى متغير تماما عن المناخ المتعاطف مـع اسرائيل على مدى ثلاثين عاما مضت ٠

حتى ولو تألفت حركة اسرائيلية مضادة لتعبر عن الانقسام فى الشارع الاسرائيلى عندما تقـوم بمظاهرات تعارض مظاهرات حركة (السلام الآن) وترفع فيها شعار حركة (السلام الآمن) ٠

ان صراع حركة (السلام الآن ـ شلوم عخشاف) مـع حركة (السلام الآمن ـ شلوم يطوح) قـد بات يعكس طبيعة التناقضات الداخلية فى اسرائيل والتى كانت تقف فى سبيل ظهورها حالة الحرب الدائمة مـع العرب ثم أظهرتها مبادرة السلام ٠

ولقـد عبرت عن هـذا الانقسام فى الشارع الاسرائيلى حركة متطرفة أخرى تألفت تحت اسم (دوف) وهـو اختصار لكلمات عبرية معناها (قمع الخونة) ، وهـددت زعماء حركة (السلام الآن) بذبحهم كالخنازير اذا لم يقلعوا فـورًا عن نشاطهم (الخائن) واذا لم يعـودوا الى الطريق (السليم) ٠

ولقـد ذكرت وكالة اليونايتدبرس الأمريكية فى تقرير مطـول لهـا من تل أبيب أن حركة المطالبين بالسلام فى اسرائيل بدأت تنتشر بين الشباب وخاصة بين الذين يؤهلهم سنهم للتجنيد ، كما أن قـوة هـذه الحركة تتعاظم بين الشخصيات البارزة فى اسرائيل وكبـار الشخصيات اليهودية فى الولايات المتحدة ، وأضافت أن الشباب الاسرائيلى يذهب من (المدرسة) الى (الجيش) الى (الجامعة) ولا يجـد معظمهم وقتا كافيا حتى للزواج وبناء أسرة صغيرة خلال هـذا الشـوط ٠

لقـد كان (الجيل الثانى) هـو العنصر السائد فى مظاهرات تل أبيب ، هـذا الجيل الجـديد الذى لم يعـد تثيره طبول الجيـل الأول من الرواد ٠٠ دعاة الوطن التاريخى الذى جسدته أمنيات الوهم والخرافة والشعوذة ٠

ولقـد نظمت حركة (السلام الآن) مظاهرة أخرى فى القـدس واتجهت الى مقر مجلس الوزراء أثناء اجتماعهم ، وأعلن أومرى بادان مؤسس الحركة والمتحدث باسمها أن على بيجين أن يعلن استعداد اسرائيل للانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ومنح الفلسطينيين حقهم فى تقرير مصيرهم والا « فان الأغلبية سوف ترغم الحكومة على تحقيق ذلك » ٠

ولقـد أعلن سيمحا ايرليخ أحـد الوزراء الاسرائيليين فى حكومة بيجين أن حركة (السلام الآن) التى أسسها نحو ٣٠٠ من ضباط الاحتياط الشبان من مختلف أفرع القوات المسلحة ، حركة تفـوح منها رائحة الانقلاب العسكرى ٠

ان نزول ضباط الاحتياط الى الشارع الاسرائيلى هـو تحرك جـديد تماما على مسرح السياسة الاسرائيلية ، وهـو أمر بالغ الأهمية اذا عرفنا أن قوات الاحتياط هى القـوام الأساسى لجيش الدفاع الاسرائيلى ٠

لقـد أعطت هـذه المظاهرات لبعض المراسلين الأجانب فى اسرائيل الانطباع بأن حكومة بيجين يمكن أن تتعرض لحالة تمرد فى الجيش ، وبأن الجيش الاسرائيلى يمكن أن يرفض اطاعة الأمر لو دعى للتعبئة من أجـل حرب خامسة ضـد العرب ٠

لقـد أكدت مجلة ايفنت اللندنية هـذا المعنى فى توقعاتها بأنه سيكون من الصعب بعـد الآن تعبئة الشعب الاسرائيلى وتحريكه للقيام بحرب أخرى ضـد العرب تحت أى شعار ٠

لقـد وقع مائه من هـؤلاء الضباط على رسالة الى مناحم بيجين يبلغـونه فيها رفضهم حراسة المستوطنات الاسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة أثناء خـدمتهم ، وأعربوا له عن استعدادهم لدخـــول السجن لعصيانهم الأوامر الصادرة لهم بهذا الشأن ، وقالوا أنهم بالرغم من التزامهم بالدفاع عن أمن اسرائيل الا أنهم لن يحاربوا من أجـل اسرائيل الكبرى المخططة فى مخيلة رئيس وزرائهم ٠

ولقـد اكتشف البوليس الاسرائيلى مؤخرا عصابة مسلحة تطلق على نفسها اسم (لجنة الهاربين من الجيش) كانت تخطط لارتكاب حـوادث أعتداء ضـد شخصيات سياسية فى اسرائيل بعـد أن ارتكبت عـددا كبيرا من الجرائم ٠

ولقـد ذكرت مصادر مطلعة أن المهمة الأولى التى واجهت الجنرال الاسرائيلى رافائيل ايتان فـور تسلمه مهام منصبه كرئيس للأركان خلفـا للجنرال موردخاى جـور كانت فرض النظام والضبط والربط وتدعيم الاحساس بالانضباط بين صفوف الجيش الاسرائيلى وذلك بعد أن ظهرت أوجـه الخلل داخل الجيش فى مجال تنفيذ الأوامر الصادرة الى الجنود والضباط بدقـة ، كما ذكرت أن مثل هـذا الخلل يتناقض مع ما كانت اسرائيل تتباهى به دائما ٠

لقـد شعر هؤلاء الضباط أن ما يقـدمونه فى الحرب من تضحيات أصبح بلا معنى بعـد أن جاءتهم أكبر دولة عربية تبادرهم بالسلام ٠

لقــد تعــددت مظاهرات السلام الاسرائيلية بعــد ذلك وكان من ابرزها تلك المظاهرة الكبيرة التى قامت فى تل أبيب ورفعت المشــاعل المضيئة فى الليــل تضامنا مع بن ناثان الطيار الاسرائيلى المعروف باسم (طيار السلام) ، الذى يدير اذاعة (صوت السلام) من سفينة تقف أمام ساحل اسرائيل ، والذى أعلن مواصلته للاضراب عن الطعام حتى الموت اذا لم يستجب بيجين لدعــوة وقف بناء المستوطنات الجديدة داخل الأراضى العربية المحتلة ٠

وهناك مسيرة السلام الكبرى التى بدأت بأكثر من مائة ألف متظاهر وامتدت لأكثر من خمسة كيلو مترات فى شوارع تل أبيب وهى تردد أناشيد السلام على أنغام موسيقى الفرق النحاسية ، والتى نظمتها (حركة السلام الآن) عشية سفر مناحم بيجين الى مؤتمر القمة فى (كامب ديفيد) واشترك فيها ـ لأول مرة ـ آلاف من يهود أوربا وأمريكا لمطالبته بالوقوف بجــــانب (السلام فى الشرق الأوســــط والعــــالم) ٠

لقــد لمس الشعب الاسرائيلى من خلال هــذه المبادرة الشجاعة حرص مصر على أن تركب الصعب من أجــل أن يسود المنطقة العربية سلام لايهم أهلها فقط ، ولكن يهم كل الذين ترتبط بها مصالحهم فى الشرق والغرب والشمال والجنوب على حــد سواء ٠

ان هــذه المبادرة الفــذة التى فجر بها الرئيس السادات معركة السلام فى العالم أجمع ، قــد جاءت لتفتح الباب أمام التاريخ ليحول مجراه فى وطننا العربى ، وفى العالم كله من حولنا ، من طريق الحرب والتدمير والفناء الى طريق السلم والتعمير والبناء ، وقــد لا يغيب الآن على أحــد فى كل أنحاء العالم أن الأهمية الاستراتيجية والبترولية لمنطقتنا العربية يمكن ان تؤدى الى تفجير حرب عالمية ثالثة بين القوى

العالمية الكبرى يبرر فيها استخدام الأسلحة النووية ، كما أنه قد لا يغيب الآن على احد أن الولايات المتحدة لن تتمتع بعد هذه المبادرة بنفس الحرية فى تاييدها المطلق لاسرائيل وخاصة من الزاوية العسكرية ، مما قد يسهم فى جعل هذه المبادرة نقطة تحول حاسمة فى سبيل اقرار السلام الدائم والعادل والشامل فى الشرق الأوسط ، الشيء الذى دعا صاحب المبادرة الى أن يقول أن هذه المبادرة قد اصبحت ملكا لضمير العالم كله ٠٠ ولم تعد ملكا لفرد بعينه ٠٠ ولن يستطيع أحد أن يجهضها ٠

ان البيان الذى أصدره البيت الأبيض الأمريكى بشأن صادرات الأسلحة الأمريكية عام ١٩٧٨ (أى عقب المبادرة) لم يتضمن الاشارة المعتادة الى احترام الالتزامات التاريخية للولايات المتحدة تجاه أمن دولة اسرائيل ، وانما أشار الى (المسئولية التاريخية للولايات المتحدة تجاه أمن الشرق الأوسط) ٠

لقد انقضى الى غير رجعة عصر السيطرة الكاملة لاسرائيل على مقدرات الولايات المتحدة ، كما انقضى الى غير رجعة عصر السيطرة الكاملة ليهود الولايات المتحدة على الكونجرس الأمريكى كأكبر وأهم قلعة يحاربون منها معركة اسرائيل ضد العرب ، وانقضى معهما عصر رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ الذى كان يعلن على الملأ ودون مواربة ان طلبات اسرائيل من الأسلحة والمساعدات الاقتصادية سوف تحصل على تأييد ثلاثة أرباع أعضاء مجلس الشيوخ حتى لو كانت هذه الطلبات مبالغ فيها ٠

تقول وكالة الأسوشييتد برس فى تقرير لها من واشنطن « ان جماعات الضغط اليهودية التى كانت قوتها لا تبارى فى الولايات المتحدة لم تعد تلقى التأييد (الأوتوماتيكى = الآلى) الواسع

النطاق ، وتظهر الاستفاءات الواحد تلو الآخر أن الرأى العام الأمريكى قــد تحول عن مساندة السياسة التى تتبعها اسرائيل فى الشرق الأوســـط » ٠

وتضيف الوكالة « ان هــذه الاستفتاءات قــد اظهرت أيضـا أن الزيارة التاريخية التى قام بها الرئيس السادات للقــدس سعيا لاقرار السلام جعلت منه أول زعيم عربى يكتسب شعبية كبيرة فى الولايات المتحدة على الاطلاق » ٠

كما تضيف « ان هناك جماعات ضعط جــديدة مؤيدة للعرب فى الولايات المتحدة تتمثل أساسا فى صفوة من السياسيين والمثقفين الأمريكيين بالاضافة الى المسئولين فى للعــديد من الشركات الأمريكية يساندهم مليونان من الأمريكيين الذين ينحــدرون من أصل عربى » ٠

لقــد أصبح الاتحاد القــومى للأمريكيين المنحــدرين من أصــل عربى يمثل جماعة ضغط لهــا وزنها فى واشنطن ، ويقــوم ممثل عنــه بحضور جلسات لجنـــة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشـــيوخ الأمريكى والقاء البيانات أمامها ٠

لقــد أقام هــذا الاتحاد دعوى أمام احــدى محاكم واشنطن ضــد اسرائيل يتهمها فيها بانتهاك قانون الاشراف على صادرات الســلاح الأمريكى بعــد استخدامها للأسلحة الأمريكية فى غزوها لجنوب لبنان ، ويطالب الحكومة الأمريكية بوقف تقــديم السلاح الأمريكى لاسرائيل ووقف تزويدها بالقروض الأمريكية ٠

وكان أول حــدث هام من نوعه حينما شهد الكونجرس الأمريكى اول مواجهة بين (اللوبى العربى) و (اللوبى الاسرائيلى) عنــدما

استمعت وناقشت لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ - معا وفى وقت واحد - اثنين من طرفى هذه المواجهة هما جون ريتشاردسون عن الاتحاد القومى للأمريكيين العرب وموريس أميتاى عن لجنة العلاقات العامة الأمريكية الاسرائيلية ؛ وذلك قبل أيام من موافقة مجلس الشيوخ على صفقة الطائرات الثلاثية .

لقد وجد (اللوبى اليهودى) أمامه لأول مرة طرفا عربيا جديدا يشاركه مسرح السياسة الأمريكية بل وينتصر عليه ، وهو تحول جوهرى تظهر أهميته البالغة على ضوء ما سبق أن أعلنه موريس أميتاى من أن (اللوبى اليهودى) لم يخسر أبدا معركة حول مشكلة رئيسية .

كما نشط اتحاد الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا ضد التدخل الصهيونى فى الشئون الداخلية الأمريكية ، وصار يطالب بوقف هذه الضغوط والمؤامرات التى أصبحت تهدد مستقبل ورخاء الشعب الأمريكى وتنازع الرئيس الأمريكى سلطته المشروعة .

وقد تكونت فى واشنطن منظمة جديدة تحت اسم (الحملة الفلسطينية لحقوق الانسان) بهدف توضيح أبعاد الصراع العربى الاسرائيلى وحقائقه عن طريق كبار الكتاب والمحامين والأساتذة الأمريكيين ومنهم - على سبيل المثال - البروفيسور ريتشارد فالك أستاذ العلاقات الدولية بجامعة برنستون الأمريكية الذى اتهم اسرائيل وجماعات الضغط اليهودية فى الولايات المتحدة بمحاولة ابعاد موضوع حقوق الشعب الفلسطينى من المفاوضات ، وطالب الرئيس الأمريكى بتطبيق مبادىء حقوق الانسان التى ينادى بها على الفلسطينيين ، وأعلن أن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط قد تغيرت بصفة أساسية منذ عام ١٩٧٣ .

وقد ارتفعت أصوات العديد من يهود الولايات المتحدة تحذر من منطلق المنطق ومن منطلق الواقع الجديد ومن منطلق القلق الشديد على المصير المحتوم الذى ينتظر اسرائيل اذا ما أصرت على ضياع هذه الفرصة الذهبية التى ربما لن تتكرر أمامها فى حياة تعيشها فى سلام ظلت تزعم أنها تبحث عنه منذ ثلاثين عاما ٠

ولم يعد يهود الولايات المتحدة يرددون نفس الشعارات الاسرائيلية بقضها وقضيضها بعد ما ارتفعت هذه الأصوات تطالب باعادة تقييم الاتجاهات السابقة للحكومة الاسرائيلية وتعلن أن المصالح الأساسية لاسرائيل انما تكمن فى قيام علاقات سلام بينها وبين جيرانها العرب وليس فى تحقيق النبوءات الدينية القديمة عن التوسع الاقليمى لدولة اليهود ٠

ولعل من أبرز حملات النقد التى أكدت صورة الانقسام القائم بين يهود الولايات المتحدة هى الحملة التى شنها الحاخام آرثر هيرتز برج الرئيس السابق للمؤتمر اليهودى الأمريكى وأستاذ الدراسات اليهودية بجامعة كولومبيا والتهم فيها بعض اليهود الأمريكيين بأنهم ما زالوا يعيشون تحت التأثير العصابى لذكريات الحرب العالمية الثانية وهو ما يجعلهم يديرون معاركهم الحالية على أسس غير معاصرة ، وطالب فيها يهود الولايات المتحدة واسرائيل على السواء أن يقدموا سياسات لا تسعى الى مواجهة الماضى ، وانما تعمل لصالح المستقبل ٠

بل وأصبح من بين يهود الولايات المتحدة من يمثلون قوة ضغط مؤيدة للعرب ، الشىء الذى يمكن أن يستشف من تحذير موشى ديان لليهود الأمريكيين (الذين خانوا يهوديتهم) على حد تعبيره من أن ينقلبوا الى أداة يمكن استخدامها ضد اسرائيل ٠

فهناك ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ السيناتور الأمريكى اليهودى ابراهام ريبيكوف الذى قام بدور أساسى فى الضغط على اعضاء مجلس الشيوخ من اليهود الأمريكيين من أجـل الموافقة على الصفقة الشاملة للطائرات الأمريكية المقاتلة للشرق الأوسط عند عرضها على مجلس الشيوخ ، والذى تعرض بسبب موقفه لحملة نقـد عنيفة من جانب الطائفة اليهودية الأمريكية لم يعبأ بها ايمانا منه بأن موقفه فى صالح الولايات المتحدة ويهود الولايات المتحدة ويهـود العـــالم ٠

أن بعض الذين كانوا من أئمـة المؤيدين لاسرائيل فى الكونجرس الأمريكى صاروا يمتنعون عن مقابلة موشى ديان (كما حـدث عندما ذهب الى واشنطن للاحتفال بالعيد الثلاثين لانشاء الدولة اليهودية) ولم يعـودوا يرون فى الاجتماع بوزير الخارجية الاسرائيلى شرفا يتسابقون اليــه ٠

لقـد تحـدى كثيرون من ذوى الشخصيات الهامة فى المجتمع اليهودى الأمريكى ـ ومنهم فيليب كلوتنبيك الرئيس الحالى للمؤتمـر اليهودى العالمى ، وجـويدو جولدمان المعلق السياسى وابن ناحـوم جولدمان الرئيس السابق للمؤتمر اليهودى العالمى ، وروبرت ناثان الاقتصادى الشـــهير ٠٠٠ وآخرون ـ الحظر الذى فرضـــه الحاخام الكسندر شندلر رئيس نادى رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية وقاموا بزيارة الرئيس المصرى أثناء وجـوده فى واشنطن ، بل ولم تمض أيام حتى أعلن رؤساء مجلس المعابد اليهودية عن زيارتهم للقاهرة ، ثم وجـه أقطاب الحركة الثقافية اليهودية فى الولايات المتحدة ـ وعلى رأسهم شاؤول بيللو الفائز بجائزة نوبل فى الأدب ـ رسالة علنية الى مناحم بيجين يدعـونه فيها الى الوقوف الى جانب السلام ٠

لقد تزايد الاحساس داخل الادارة الأمريكية والكونجرس الأمريكى بأن نفوذ جماعات الضغط اليهودية قد حال طويلا دون أن يكون للولايات المتحدة سياسة خارجية واضحة ، وأبقى هذه السياسة مقيدة بعوامل داخلية تتعلق بحساب الأصوات الانتخابية والمصالح الفردية بأكثر من حساب المصالح الأمريكيةالحقيقية فى مجموعها ٠٠ وبمعناها الواسع ٠

وكان مما ضاعف من هذا الاحساس بالتبرم هو أن أيا من رجال الادارة الأمريكية والكونجرس الأمريكى الذين حاولوا أن يضعوا الموقف الأمريكى على الطريق الصحيح لم يسلم من مخالب هذه الجماعات التقليدية الضاغطة ٠

وهذه مجلة كومنتارى مجازين الصهيونية (تنصح) الرئيس الأمريكى كارتر بأن أية مواجهة له مع اسرائيل سوف تقضى على كل فرص اعادة انتخابه عام ١٩٨٠ ٠

بل ان هذا التبرم لم يعد مقصورا على هؤلاء الرجال الذين تحملوا بحكم واجباتهم مشقة مواجهة الدور المعوق لهذه للجماعات الصهيونية ، وانما انتقل التبرم الى عديد من المؤسسات الأمريكية التى تلعب دورا مؤثرا فى صنع القرار الأمريكى ، والتى لا تخفى الآن موقفها من ضرورة ن تلتزم السياسة الأمريكية فى الشرق الآوسط موقفا أكثر موضوعية ، وأن يكون الاعتبار الأول لأمن المنطقة ككل ، وأن يكون هناك تمييز واضح بين مصالح اسرائيل ومصالح الولايات المتحدة ، وأن تكف الولايات المتحدة عن تمويل سياسة اسرائيلية لا توافق عليها ؛ أو توافق عليها تحت ضغط وضع ابتزازى اسمه (العلاقة الخاصة) ٠

لقد أعلن وكيل وزارة الدفاع الأمريكية أنه من غير المنطقى أن نفترض تشابه مصالح الولايات المتحدة واسرائيل ، فمصالح الولايات المتحدة تتمثل فى تأمين مصادر البترول لنفسها ولشركائها فى حلف الأطلنطى وحماية الدولار الأمريكى المتهاوى ووسيلتنا الى ذلك هى دعم مبادرة الرئيس السادات للتوصل الى تسوية سلمية للصراع فى الشرق الأوسط ٠

وأشار الى أنه اذا كانت سياسة الرئيس كارتر قد صدمت جماعات الضغط اليهودية الأمريكية فان ذلك يمكن أن يكون بمثابة (صدمة صحية) تؤكد صدق القول بتباين المصالح بين الولايات المتحدة واسرائيل فى الشرق الأوسط ٠

وقال أن مصالح الولايات المتحدة وشركائها تقتضى دعم الصداقة مع العرب ، وأنه اذا كانت اسرائيل لا تعى مصالحها جيدا كما يدل على ذلك موقفها ازاء جهود السلام فان الرأى العام الأمريكى أصبح يتفهم بلا شك الحاجة الى ضرورة الحفاظ على مصالح بلاده فى الشرق الأوسط ٠

ويقول البروفيسور ستانلى هوفمان الأستاذ بجامعة هارفارد الأمريكية فى مقال نشر له مؤخرا أن الكونجرس والحكومة الأمريكية يميزان الآن تمييزا حادا بين المصالح القومية الأمريكية والمصالح الاسرائيلية ، بل ويتفق الكونجرس والحكومة على أن اسرائيل تسىء تقدير مصالحها على المدى البعيد ، ويخشى الكونجرس والحكومة من أن يؤدى تركيز اسرائيل على نوايا العرب المعادية لها الى نتائج مفجعة ٠

ان الاتجاه الذى يضع مصالح اسرائيل فى جانب ومصالح الولايات المتحدة فى جانب آخر قد امتد بالفعل ـ وحسب الاستطلاعات

المحـايدة ـ الى دائرة الراى العام الأمريكى الذى كان يمثل الرصـيد الاحتياطى لأى تحرك متوقـع لقـوى الضغط الصهيونية ضـد الادارة الأمريكية ٠

يقـول جورج كينان وهـو من أكبر خبراء السياسة الخارجية الأمريكية « ان اسرائيل وان كانت تمثل مصلحة (هامة) الا أنها ليست مصلحة (حيوية) للولايات المتحدة ، ونحن ملزمون بأن نقاتل دفاعا عن مصالحنا الحيوية فحسب » ٠

ان قطاعات كبيرة من الشعب الأمريكى لم تعـد تنسى اعـلان ريتشارد نيكسون حالة (التأهب النووى) فى جميع القواعـد البرية والبحرية والجـوية فى الولايات المتحدة وحول العالم خلال حرب اكتوبر من أجـل عيون اسرائيل وجماعات الضغط اليهودية فى الولايات المتحدة ممـا عرض العالم لاحتمال وقـوع حرب عالمية نووية مدمرة ، وممـا اصاب حلفاء الأمريكيين فى حلف الأطلنطى بالصـدمة والمرارة بسبب تعريضهم لخطر الحرب وتجاهلهم وعـدم استشارتهم قبل هذا الاعلان المنفرد من جانب للولايات المتحدة ٠

لقـد أصبح الراى العام الأمريكى ينـدد بمحاولات الزعمـاء الاسرائيليين لانتزاع التأييد من جانب يهود الولايات المتحدة لسياسة اسرائيل ، وينـدد بتصرفات بعض الأمريكيين من أصحاب (الجنسية المزدوجة) ، ويعتبر الضغط الناجم على الرئيس الأمريكى والكونجرس تدخلا لا يغتفر فى الشئون الداخلية الأمريكية ٠

وفى رسالة بعث بها مواطن أمريكى الى الرئيس جيمى كارتر والى كبار السياسيين الأمريكيين والى السفير الاسرائيلى فى الولايات المتحدة والى رؤساء المنظمات اليهودية بها ، ولختار الا يذكر اسمه

خوفا من تعرضه لاعتداء الصهاينة ، يقول « ... لقد أخذت اسرائيل على عاتقها القيام بدور (اسبارطة) فى الشرق الأوسط بوصفها دولة معتدية ظالمة ، فليس لعقدة (الماسادا) مكان فى القرن العشرين ، اننى أشعر بالأسى لأن الأسلحة الاسرائيلية من مصدر أمريكى ، لقد أصبح عدوان اسرائيل أمرا مستمرا ، فكل خطوة تؤدى الى خطوة أخرى وكل واحدة من هذه الخطوات تبررها الحاجة القومية الى الأمن ، وتزيد اتساع الوطن ، وتجعل السلام أكثر بعدا وأقل احتمالا ، ان هذه التصرفات والمواقف فى سبيلها لأن تخلق فى الولايات المتحدة حركة ارتدادية واسعة النطاق لمناهضة السامية ، اننى أكتب اليكم من شعور يفوق مجرد الشعور بالقلق ويتضمن الخوف والاستياء معا » .

ولعل ذلك يحدث بينما على الجانب الآخر صورة تتآكل فى شخص السيناتور لويل ويكر المعروف بتعصبه لاسرائيل وهو يهاجم حكومة الرئيس كارتر بسبب السياسة الجديدة التى تسعى الى التخلص من تحالف الولايات المتحدة مع اسرائيل ، كما يتهم زبجينو بريجنسكى مستشار الرئيس كارتر لشئون الأمن القومى بأنه يعتبر اليهود الأمريكيين العنصر الرئيسى المسئول عن عرقلة السياسة التى يتبعها كارتر وبأنه « أشبه بزعماء النازية الذين اذا ما واجهوا مصاعب قومية انما يسارعون الى لوم اليهود واضطهادهم » .

ان أهمية الصفقة الأولى من الأسلحة الأمريكية لمصر بعد المبادرة لا تتمثل فى الصفقة نفسها بقدر ما تتمثل فى نجاح مصر فى كسر احتكار اسرائيل للسلاح الأمريكى .. وللصداقة الأمريكية .

لقد ذهبت الادارة الأمريكية خطوة أبعد عندما وضعت كل صفقات السلاح فى الشرق الأوسط على مائدة الكونجرس الأمريكى : اما أن تبيعها للجميع ، وأما أن تمنعها عن الجميع .

لقـد كانت (صفقة الشرق الأوسط) على هـذا النحو اجراء لم يسبق له مثيل ، لقـد شعر الاسرائيليون بحساسية كبيرة لربط امدادهم من الأسلحة الأمريكية بامدادات مصر والسعودية من هذا السلاح ٠

ان قرار الولايات المتحدة بوضع مصر والسعودية فى صفقة واحدة مع اسرائيل هـو قرار سياسى وليس قرارا عسكريا ، وهـو بداية اتجاه قبل أن يكون مجرد صفقة واحـدة ٠

لقـد ايدت الأوساط السياسية فى معظم الدول الأوربية هـذا (الخط الجـديد) فى سياسة الولايات المتحدة ، وبدأت تعيد تقييم مواقفها فى ضوء هـذا (الحـدث الهام) الذى تمثل فى اعتبار اسرائيل طرفا هـذه (الصفة الثلاثية) ٠

لقـد كانت هـذه الأوساط السياسية الأوربية تشعر مثل كل العرب بأن الولايات المتحدة منحازة الى اسرائيل بشكل يتنافى مـع كل المبادىء والقيم الدولية فضلا عن أنه يتنكر للمصالح الحقيقية للشعب الأمريكى ٠

ثم جاءت فكرة الصفقة الثلاثية فايدت هـذه الأوساط الأوربية هـذا (الحوار الساخن) بين الولايات المتحدة واسرائيل ٠

لقـد رأت هـذه الأوساط أن الولايات المتحدة لا يمكنها ان تتجاهل الحاجـة الدفاعية لدولتين من اهم دول الشرق الأوسط تربطها بهمـا مصالح حيوية تتمثل فى دور السعودية فى الاقتصاد العالمى بتروليا وماليا ، كما تتمثل فى دور مصر فى المنطقة العربية والقـارة الأفريقية على السـواء ٠

لقـد شن مارك سيجل ـ مساعد الرئيس كارتر للشئون اليهودية السابق ـ هجوما عنيفا على البيت الأبيض فى خطاب ملتهب القـاه أمام زعماء اليهود الأمريكيين الموالين لاسرائيل فى اجتماع أقيم فى واشنطن ونظمته (لجنة العلاقات العامة اليهودية الأمريكية) بمناسبة مرور ثلاثين عاما على انشاء الدولة اليهودية ، قال فيه ان زبجينيو بريجنسكى مستشار الرئيس كارتر لشئون الأمن القـومى (والوغـد الذى يحتقر العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة واسرائيل) خطط عمدا (صفقة الطائرات الشاملة) لاثارة (مواجهة تاريخية) بين الحـكومة الأمريكية و (اللوبى اليهودى) بهدف هزيمة اليهود الأمريكيين وتقويض نفـوذ جماعات الضغط اليهودية وشـل قبضتها بحيث تفقـد أى تأثير لهـا على السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ، وبزعم ان ذلك يخدم المصالح القومية للولايات المتحدة التى تختلف اختلافا كبيرا عن المصالح القومية لاسرائيل ، مما أفقـد كارتر أى أمل فى تأييد اليهود الأمريكيين له فى الانتخابات الجـديدة لأنه (يسير فى طريق صـدام مع اتجاه التـاريخ) .

ان بعض المحللين السياسيين الأوربيين والأمريكيين يعتقـدون أن ما أقلق اسرائيل ليس صفقة الطائرات المقاتلة لمصر والسعودية ، وانمـا أقلقها أن تكون هـذه الصفقة بداية تحول الى (علاقة خاصة) بين الأمريكيين والعرب .

ان القيمة الحقيقية للصفقة لا تكمن فى عدد الطائرات او نوعيتها ، بل تكمن فى أن العرب قد نجحوا لأول مرة فى التغلب على حالة كانت فيها العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة واسرائيل تقف حائلا دون حصولهم على الأسلحة اللازمة لتحقيق أمنهم بسبب احتكار اسرائيل للتأييد المطلق للولايات المتحدة ، كما أنها تشير الى تزايد الاقتناع الدولى بأن الدول العربية تتسلح دفاعا عن أراضيها التى تحتلهـا

اسرائيل وتتعنت فى الانسحاب منها وتعـوق بتعنتها مسيرة السلام ٠٠ وهـو مطلب العالم ٠

ان اقرار الصفقة يعـد خروجا على التقليد السياسى الأمريكى ، فلم نكن فى المـاضى نتوقع من مجلس الشيوخ الأمريكى أن يتخـذ قرارا لا ترضى عنه اسرائيل ، حتى ولو كان صـدور هـذا القرار فى مصلحة الولايات المتحدة نفسها ، فلقـد اعتدنا دائما على أن تصدر قرارات الكـــونجرس مغلبة المصـــلحة الاسرائيلية على أية مصلحة أخـــرى ٠

لقـد ذكرت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية أن اقرار مجلس الشيوخ للصفقة قـد أدخل تغييرا حادا فى العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وأن المدلول السياسى للصفقة يفـوق أهميتها العسكرية ، لأن الصفقة تمثل ـ على حـد تعبير الرئيس السادات ـ بداية النهـــاية لاستقطاب الولايات المتحـــدة الى جانب اسرائيل ولحسابها ٠

لقـد أجمعت الدوائر السياسية العالمية على أن موافقة مجلس الشيوخ الأمريكى على الصفقة بهـذه الأغلبية لا تمثل فقط أول هزيمة حقيقية للنفـوذ الصهيونى فى أقـوى معاقله ، بل انما تمثل أيضـا بداية الأخـذ بوجهة النظر العربية داخل مراكز التأثير فى الولايات المتحدة ، بل وبداية تواجـد التأثير العربى فى السياسة الأمريكية ٠

لقـد أجمعت هـذه الدوائر على أن مرور هـذه الصفقة داخل مجلس الشيوخ هـو هزيمة تاريخية ليس لهـا سابقة فى تاريخ النفـوذ الصهيونى داخل الحياة السياسية الأمريكية ٠

لقــد اجمعت هــذه الدوائر على أن جماعات الضغط الصهيونية هى الخاسر الأول فى هــذا القرار الذى يشير بوضوح الى أن نفــوذ تلك الجماعات قــد تلقى ضربة قاصمة بعــد أن كان يعتبر فى المــاضى شيئا لا يمكن التغلب عليه ٠

لقــد صرح السيناتور مايك جرافيل بأنه تلقى فى الأيام السابقة لاقرار الصفقة تهــديدات كثيرة من مجهولين وأنه مع ذلك قــد صوت الى جانب الصفقة لأنه « ينبغى الا ننظر الى جوانب السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط بعيون اسرائيلية » ٠

لقــد اجمعت الصحف العالمية على أن اقرار الصفقة يمثل انتصارا للرئيس المصرى فى مبادرته بالسلام ، كما يمثل انتصارا للرئيس الأمريكى فى مواجهته مــع جماعات الضغط اليهودية وهى تفشل لأول مرة فى اختبار للقــوة مع الكونجرس ٠

فلم يكن من الممكن أن يوافق الكونجرس الأمريكى على هــذه الصفقة لولا مبادرة السادات التى كانت سلاح الردع فى يد كارتر لتحييد أصدقاء اسرائيل ، والتى بلورت اتجاها داخل الكونجرس أصبح يتبنى وجهة النظر العربية بعــد أن كان الكونجرس بأكمله مواليــا للدولة اليهودية ٠

لقــد كانت مبادرة السلام المصرية سلاحا شهره كارتر فى وجه قــوى الضغط الصهيونية خلال (معركة الخمسة اشهر) التى قادها البيت الأبيض داخل الساحة السياسية الأمريكية ، وكان شعار كارتر خلال هــذه المعركة (السادات يريد السلام) ٠

كما أن موافقة الكونجرس الأمريكى على هــذه الصفقة بهــذه الأغلبية تدل على أن كارتر قــد فاز باقتراع بالثقــة على سياسته

في الشرق الأوسط (وفي غير الشرق الأوسط) وعلى تكتيكاته في مفاوضات السلام بما فيها ضغوطه على اسرائيل لحملها على السير في طريق الحل المشرف لمصر وللعرب ٠

لقد تأكدت سلطة الرئيس الأمريكي بعد الموافقة على الصفقة ، وتأكدت حريته ازاء الضغوط التي يمكن أن تقيد حركته ، ولو كان قد مني بالهزيمة لتأثرت هذه السلطة خلال مباحثات الشرق الأوسط أو أي مباحثات أخرى ٠

يقول ليزلي جانكا الذي كان يشغل منصب رئيس قسم الشرق الأوسط في وزارة الدفاع الأمريكية « ان الدول العربية لا تعطي لهذه الصفقة حجمها الحقيقي ، فتنفيذها يعني نجاح الرئيس الأمريكي في مواجهة قوى الضغط الصهيونية التي جعلت من هذه الصفقة مسألة حياة أو موت بالنسبة لها ، كما أنه لأول مرة تضع الادارة الأمريكية اسرائيل على نفس درجة المصلحة مع الدول العربية ، وأن اسرائيل لم تعد طرفا محظيا بالنسبة للولايات المتحدة » ٠

ويقول الرئيس السادات لأبطال الجيش الثاني « لا يهم نوع الطائرات ولا عددها ، فالمهم أن الولايات المتحدة لم تعد مستقطبة من جانب اسرائيل وحدها ، ولم تعد سياسة اسرائيل هي السياسة الوحيدة في المنطقة ، لقد ألغى الرئيس كارتر الاستقطاب الاسرائيلي للولايات المتحدة بعد أن جعل لها سياسة ومصالح تختلف عن سياسة ومصالح اسرائيل » ٠

ويرد جنرال امريكي على الذين يتحدثون عن تواضع قوة الطائرات التي حصلت عليها مصر بقوله « بداية كل طريق كبير كان متواضعا ، واذا شئت فلتعتبر أن الطائرات التي ستحصل عليها مصر

مجرد رفـع القبعة الأمريكية لتحية الجيش المصرى قبل أن يبـدأ الحـوار الكبير ، وكل علاقة تبـدأ بالتحية » ٠

ويقول جنرال أمريكى آخر لأحـد رجال الصحافة المصريين « عندما كنت أصافح الجنرال محمد الجمسى ـ عند أول زيارة له لوزارة الدفاع الأمريكية ـ كنت أشعر أننى أصافح مصر ، ولكم أن تعرفوا أن عـدد أصدقائكم يتزايد خصوصا فى البنتاجون » ٠

لقـد كانت صفقة الطائرات دليـلا على القناعة الأمريكية بأن تدعيم جيش مصر هـو خطوة سياسية نحو امكانية التوصل للسلام ، وبأن اختلال التوازن العسكرى لصالح اسرائيل لا يخـدم تقـدم المفاوضـات ٠

ان هـذا القرار هـو اعلان صريح عن الحقيقة الأمريكية الجديدة ، والتى تقـول أن التزام الولايات المتحدة بأمن اسرائيل وحمايتها لا يمكن أن يكون على حساب المصالح الأمريكية الحقيقية ، ولا على حساب العلاقات الأمريكية العربية ٠

لقـد عبر السيناتور شارلز ماثيوس (بصراحة) عن أحـد هـذه المصالح أثناء مناقشة الصفقة فقال « الى هؤلاء الذين تساءلوا ما اذا كان البترول يلعب دورا فى القرار المتعلق بالصفقة أقول (نعم) ، فنحن نحتاج الى بترول الشرق الأوسط ، وان كنا نستطيع الاستغناء عنه فان حلفاء الولايات المتحدة لا يستطيعون » ٠

كما صرح مسئول أمريكى كبير بأن موافقة مجلس الشيوخ على الصفقة ينبغى أن تكشف لاسرائيل أنها تواجـه لعبة جـديدة لها مجموعة جـديدة من القواعـد فيما يتعلق بالسياسة الأمريكية ، وبأن

هـذه الموافقة تمثل تطبيقا لسياسة أمريكية جـديدة أكثر توازنا وعـدلا ، وبأن هـذا التغيير فى السياسة الأمريكية يعكس الاعتقـاد بأن الزمن قـد تغير ٠

ان عمق هـذا التغيير فى السياسة الأمريكية يمكن أن يتمثل فى ضـوء نجاح قـوى الضغط الصهيونية فى ارغام للرئيس السابق جيرالد فـورد على التخلى نهائيا عمـا أسماه هنرى كيسنجر فى ذلك الوقت (اعادة تقييم السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط) عندما وقفت فى وجهه أغلبية أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى مؤيدة لموقف اسرائيل ، وهى نفس قـوى الضغط التى لم تتح للرئيس الأسـبق ريتشارد نيكسون فرصـة البحث فيما يمكن أن يطبقه من سياسات تجاه المنطقة ، واختفى من الحياة السياسية مبعوثه لتقصى الحقائق وليم سكرانتون لمجرد أنه أطلق عبارة (الحاجة الى سياسة متوازنة فى الشرق الأوسط) ، ثم اختفى من الحياة السياسية بعـده ريتشارد نيكسون نفسه على مذبح (فضيحة ووترجيت) ٠

كما أن عمق هـذا التغيير فى السياسة الأمريكية يمكن أن يتمثل فى قول السيناتور جاكوب جافيتس بعـد أن وقف ضـد الصـفقة « لقـد رفضت الموافقة على صفقة الطائرات التى باعتها الولايات المتحدة لمصر والسعودية ، وأنا نادم جـدا على هـذا الرفض ، وسوف أؤيد فى المستقبل أى صفقة سلاح تبيعها الولايات المتحدة لمصر » ٠

لقـد علق شيمون بيريز زعيم حزب العمل المعارض بأن الموافقة على الصفقة تمثل بداية تحول مثير للقلق فى علاقات الولايات المتحدة واسرائيل ، وأن يوم اقرارها كان يوما حزينا فى تاريخ العلاقات الأمريكية الاسرائيلية ٠

ان الولايات المتحدة تتقـدم فى كل يوم خطوة على طريق الخلاص من الارتباطات القـديمة كضرورة التنسيق السياسى بينها وبين اسرائيل ، أو كضرورة مشاورتها والحصول على موافقتها مقـدما قبل أى مناقشة لقضية الشرق الأوسط فى الأمم المتحدة ٠

ولقـد أصبح معظم العاملين فى البيت الأبيض ينتظرون بحنين واشتياق الطريقة التى توجـه بها الرئيس الأمريكى الراحل دوايت ايزنهاور الى التليفزيون يوم ٢٠ فبراير ١٩٥٧ معلنا طلبه (أو أمره) الذى لا مساومة حـوله بأن تنسحب اسرائيل من كل بوصة احتلتها عام ١٩٥٦ ، وهـو الانسحاب الذى نسبنا فضله حينئذ (فقط) الى الانذار السوفييتى (الشهير) ٠

ان الدول الأوربية تتوقع دورا جـديدا لهـا يأتى انعكاسا وامتدادا لدور الولايات المتحدة ، وهى مطالبة بهـذا الدور من داخل مؤسساتها السياسية والاقتصادية فضلا عن أنه مطلب للعرب ٠

ان من أهم نتائج الغزو الاسرائيلى لجنوب لبنان بعـد شهور قليلة من المبادرة ، والذى كان بمثابة عملية التفاف حولها ، والذى وصفه مواطن أمريكى فى برقية للرئيس الأمريكى بأنه (عار تجاوز كل الحـدود) ، هـو تلاشى الرصيد المتبقى من سمعة اسرائيل فى الغـرب ٠

لقـد علقت صحيفة نيويورك تايمز على هـذا الغزو بقـولها « ان الصورة القـديمة التى كانت تظهر بها اسرائيل على أنها تجسيد لمجتمع أخلاقى وانسانى قـد اختفت » ٠

لقـد وصف وكيل وزارة الدفاع الأمريكية الغزو الاسرائيلى لجنوب لبنان بأنه رد فعل مبالغ فيه لغـارة الفـدائيين على تل أبيب ،

وأضاف أن هـذا الغزو قصـد به تعقيد الموقف المعقـد بالفعل ، وأكد أن اسرائيل فعلا دولة ترفض أن تكون لهـا حـدود ثابتة مع جيرانها ٠

لقـد تصرفت الادارة الأمريكية فى أزمة لبنان دون انتظـار مشورة رئيس الوزراء الاسرائيلى ، وقبل ساعات قليلة من لقـائه بالرئيس الأمريكى ، عندما تقـدمت الى مجلس الأمن بمشروع قرار يلزم اسرائيل بوقف العمليات العسكرية فـورا والانسحاب من الجنوب اللبنـانى دون ابطـاء ٠

ان تصويت الولايات المتحدة فى مجلس الأمن – ولأول مرة – ضد هجوم اسرائيل على جنوب لبنـــان ولصالح الانسحاب الاسرائيلى الفـورى ، مؤشر بالغ الدلالة على أبعـاد التأثير المصرى على الموقف الأمريكى الذى يقترب من أهـداف العرب ٠

ولقـد أعطى هـذا الغزو للرئيس الأمريكى سلاحا سياسيا هاما يمكن أن يشهره فى وجـه اسرائيل فى أى وقت مناسب ؛ وهـو قانون أمريكى للرقابة على تصـدير الأسلحة يفرض الحظر على أية دولة تكون قـد استخدمت أسلحة أمريكية ضـد دولة أخرى الا اذا كان ذلك خلال دفاعها عن نفسها ، وهـو نفس المعنى الذى تضمنته اتفاقية ثنائية ، عن استخدامات الأسلحة الأمريكية ، موقعة بين الولايات المتحدة واسرائيل فى عام ١٩٥٢ ٠

لقـد اتهمت الولايات المتحدة اسرائيل ، رسميا ولأول مرة فى تاريخ العلاقات الخاصـــة بينهما ، بأنهـــا قـد استخدمت القنابل (العنقودية) الأمريكية الفتاكة ضـد السكان المدنيين اللبنـــانيين والفلسطينيين أثناء غزوها لجنوب لبنان منتهكة بذلك القوانين الخاصة بالرقابة على استخدام الأسلحة الأمريكية فضلا عن اتفاقية ١٩٥٢ التى

تم بمقتضاها تسليم مثل هــذه الأسلحة لاسرائيل ، والتى تقضى بعـــدم استخدامها الا فى حرب واســعة النطـــاق وضـــد الأهــداف العسكرية فقط دون المدنية .

لقـد تغيرت سياسة الولايات المتحدة الى درجـة الاتهام الرسمى والعلنى لاسرائيل بانتهاك اتفاقية ثنائية مبرمة بينهما ولم تكن أى منهما قـد أشارت الى هــذه الاتفاقية من قبل .

واذا كان تحييد الولايات المتحدة أملا ظـل يراود العرب منذ بدأ الصراع العربى الاسرائيلى ، فقـد جعلته المبادرة حقيقة واقعــة وضحت بوادرها فى أول فشل منذ ثلاثين عاما تمنى به زيارة أى من رؤســاء حكومات اسرائيل للبيت الأبيض والكونجرس الأمريكى ، تلك الزيارة التى وصفتها صحيفة الديلى تلجراف بأنها كانت (كارثة دبلوماسية) والتى وصفتها صحيفة التايمز بأنها كانت (فى برودة الثلج) .

لقـد أصبحت الساحة الأمريكية مهيأة للحـوار مـع العرب على كل المستويات ، ولقـد ترتب هـذا المناخ الجـديد على مبادرة السلام التى أربكت العناصر اليهودية الأمريكية المؤيدة لاسرائيل وأوقعت الانقسام فى صفوفها .

لقـد اعترف الحاخام الأمريكى الكسندر شندلر الذى يرأس (نادى الرؤساء) الذى يضم كبار زعماء المنظمات اليهودية الأمريكية بأن شعبية اسرائيل فى الولايات المتحدة قـد انخفضت انخفاضا كبيرا سواء داخـل الكونجرس أو على مستوى الرأى العام الأمريكى .

كما اعترف السيناتور اليهودى الأمريكى ابراهام ريبيكوف ـ وكان من أكبر المتعصبين لاسرائيل ـ بأنه يعتقد أن السياسات

الاسرائيلية خاطئة ولا تستحق للتأييد الأمريكى ، وقال عن جماعات الضغط اليهودية أنهم يحاولون خلق انطباع بأنهم يتحدثون باسم اليهود ، وأشار الى نشاط (لجنة العلاقات اليهودية الأمريكية) ـ وهى أهم جماعة ضغط يهودية داخل الكونجرس الأمريكى ـ قائلا أنهم يقدمون اساءة بالغة للولايات المتحدة واسرائيل والمجتمع اليهودى كذلك ، وقال أن سياسة اسرائيل فى الضغط على الولايات المتحدة أصبحت تضر المصالح الأمريكية ومصالح اليهود الأمريكيين بل ومصالح اسرائيل نفسها •

كما صرح ناحوم جولدمان الرئيس السابق للمؤتمر اليهودى العالمى بعد مقابلته للرئيس السادات (فى باريس) ومعه ممثلو الجالية اليهودية فى أوربا ومنهم آلان روتشلد « لقد حضرنا لتهنئته على مبادرته الخلاقة التى تتسم بالشجاعة والابداع ، ولنرجوه منح اسرائيل فترة من الوقت حتى تعتاد على الموقف الجديد ، ولنؤكد له أن جهوده من أجل السلام العادل والشامل سوف تكلل بالنجاح فى النهاية » •

ويعترف ناحوم جولدمان فى كتابه الأخير (المأزق الصهيونى) بأن العالم قد اختلف ، وهو الآن أقل استجابة للتأثيرات اليهودية ، واذا كانت هناك بعض الحسابات المحددة التى قد تغرى قيادات اسرائيل بالصلف فان الحسابات الحقيقية تؤكد فى النهاية أن الزمن فى غير صالحنا ، وأن العرب يزدادون قوة ويحظون بالمزيد من تعاطف العالم ، أما نحن فنخسر دائما •

ويصرح فى حديث لجريدة (الأهرام) المصرية « ان العامل الأساسى فى الموقف الاسرائيلى يقترن بالتطورات التى تطرأ على الرأى العام داخل اسرائيل ، خصوصا وأن الرأى العام الاسرائيلى يتأثر تأثرا

شـديدا بموقف الولايات المتحدة ، ولقـد كانت المبادرة المصرية عاملا فى التحول الراهن والملحـوظ داخل الموقف الأمريكى ، لقـــد ظلت سياسة اسرائيل العربية ولمدة ثلاثين عاما تتلخص فى أمر واحـد هو فرض الأمر الواقع والانتظار حتى يأتى العرب جاثين يعلنون قبولهم لكل الشروط الاسرائيلية ، وبسبب ظروف الحرب الباردة ، ولأسباب تتعلق برفض الأمريكيين للسياسات الداخلية والخارجية لمصر خــلال الستينات ، فلقــد ساعدت الولايات المتحدة الاسرائيليين على استمرار تبنى هــذا الموقف وسعت الى تكريس حالة التوتر ، ولكن الصـــورة الآن جـد مختلفة ، فالرأى العام داخــل اسرائيل يتابع بقلق بالغ تطـور الموقف الأمريكى بعـد حرب أكتوبر ومبادرة السلام ، واننى على يقين من أن لا أحـد فى اسرائيل يعضـد وقــوع شرخ فى العلاقات الأمريكية الاسرائيلية » ٠

لقـد علقت صحيفة (معاريف) الاسرائيلية على حـديث جولدمان لجريدة (الأهرام) المصرية بقولها أن نشر هـذه التصريحات فى القــاهرة واعطاء الرئيس السابق للمؤتمر اليهودى العالمى كل الحـق فى القــاء كل المسئولية عن الطريق المسدود على عاتق اسرائيل واتخــاذه موقفا لصالح منظمة التحرير الفلسطينية لا يمكن الا أن يلحــق ضررا بالغــا بموقف اسرائيل الدبلوماسى ، وأضافت الصحيفة أن النصيحة التى أسـداها جولدمان مؤخرا لحكومة كارتر هى بأن يقضى على نفوذ جماعة الضغط اليهودية فى واشنطن ٠

وقــد شاركت صحيفة (جيرروزاليم بوست) الاسرائيلية صحيفة (معاريف) رأيها وأعربت عن اعتقادها بأن جولدمان قــد أثار الارتباك بين أصــدقاء اسرائيل فى الخارج بهـدف واضح تماما هــو تقويض موقف الدولة اليهودية ، ولكنها أضافت أن ما دفع جولدمان الى ذلك هـو خشيته من احتمال نشوب حرب جـديدة ، فى ظـل موقف عالمى غير موات بالنسبة لاسرائيل ٠

و يقول السيناتور تشارلز بيرسى فى خطاب له الى الرئيس السادات « ٠٠٠ وأستطيع أن أؤكد لك يا سيادة الرئيس أن هناك العديدين من أصدقائك والمعجبين بك هنا يعملون فى صمت على بذل كل ما فى وسعهم من أجل الابقاء على قوة الدفع التى بدأتها بتصور وخلق عظيمين ، بادئا برحلتك الى القدس ، لقد ألهمتنا جميعا ، ونحن نحمل لك أعمق الامتنان ٠٠٠ » ٠

ويحذر جويدو جولدمان المعلق السياسى اليهودى الأمريكى حكومة اسرائيل ثم ينصحها بقوله « ان الفرصة الوحيدة المتاحة لاسرائيل اليوم ـ وليس لدولة غيرها ـ لكى تشكل مصيرها باستخدام أصدقائها الأمريكيين سوف تهدر وتضيع الى الأبد ، ولا يمكن أن يكون اهدارها وضياعها فى صالح الأمن الاسرائيلى على المدى البعيد ، ان على اسرائيل أن تبرم التسوية (الآن) ان كان بوسعها أن تبرمها ، فبالنظر الى الفرص المتاحة ، والثمن الكئيب الكالح لرفضها ، فليس بوسع أصدقاء اسرائيل أن يؤيدوا ما هو أقل من ذلك » ٠

ويطالب جويدو جولدمان الاسرائيليين بقبول التسوية السلمية (الآن) وقبل أن تضيع اسرائيل على نفسها فرصة السلام وربما فرصة البقاء ذاته ، ويعلن أن حكومة اسرائيل تتبنى مفهوما خاطئا بتصورها أن السلام يمكن أن يتحقق فى وقت لاحق بشروط أفضل بالنسبة لاسرائيل ، ويؤكد أن أمل اسرائيل فى أن تحيا دون سلام هو أمل مجدب ومزيف بما فيه الكفاية ، وأنه بدون التسوية (الآن) ستكون اسرائيل أكبر الخاسرين ٠

وينفى عمانويل جاكو بوفيتس حاخام بريطانيا الأكبر وجود أى أساس دينى وعقائدى يبرر عدم اعادة الأراضى العربية المحتلة لأصحابها العرب ، ويقول أن الأمر الذى يدعو للدهشة حقا هو أن

العناصر المتدينة (جماعة الايمان ، جويش أومنيم ، اليمينية المتطرفة) هى التى تأخذ على عاتقها أكثر المواقف غطرسة فى اسرائيل ، ويضيف أن الأمر المطروح للمناقشة هو اذا كانت اسرائيل ستحتفظ بهذه الأراضى على حساب حياة آلاف من الاسرائيليين أم على حساب حياة دولة اسرائيل نفسها ٠

ويصرح كارل كاهان أحد كبار الشخصيات اليهودية الأوربية بعد مقابلته للرئيس السادات (فى فيينا) أنه أبلغ الرئيس بأن الجاليات اليهودية فى أوربا ترى أن مبادرة السلام ليست موجهة الى اسرائيل وحدها وانما هى موجهة الى الانسان اليهودى فى كل مكان ، ومن ثم فان الانسان اليهودى مطالب اليوم بأن يمارس مسئوليته تجاه السلام ٠

ويقول السيناتور جيمس ابو رزق - وهو من أصل عربى - « لقد انتقلت جبهة القتال - بعد المبادرة - من سيناء والجولان الى أروقة الكونجرس الأمريكى ، والى الشارع الأمريكى ، اذ يتصارع العرب مع اسرائيل لكسب مواقع جديدة من الرأى العام الأمريكى » ٠

ان المنافسة تزداد شدة يوما بعد يوم فى معارك التأثير السياسى بين (اللوبى الاسرائيلى) و (اللوبى العربى) الذى يتضاعف نفوذه فى الولايات المتحدة ٠

ان صورة جديدة للعرب آخذة فى التبلور والنمو بقوة وثبات فى عقل وضمير المجتمع الأمريكى ، واسباب ذلك ترد أولا الى الانجاز العربى والأداء العسكرى والاقتصادى والسياسى البارز فى حرب أكتوبر ، ولكن نقطة التغيير الحاسمة فى رأى كثير من المعلقين السياسيين ترجع الى مبادرة السلام ، حتى أنهم يفرقون بين حقبة ما قبل المبادرة وما بعد المبادرة ٠

لقـد استطاع السادات أن يمس ضمير الشـعب الأمريكى وأن يدخل قلبه ويقتحم عقله بعـد أن اعتاد على غلقهما تجـاه مصر والعرب ، وأن يمـد جسور المودة والحـوار مع هـذا الشعب الذى أعطيناه ظهرنا بينما هـو شعب لا يمكن اسقاطه ولا يصح تجاهله ٠٠ لأنه شعب الدولة العظمى التى تملك معظم (أوراق اللعبة) ٠

لقـد صارت طـوائف الشعب الأمريكى تحمل فى صـدورها تقـديرا كاملا للرئيس السادات بوصفه الزعيم الذى يسعى من أجل سلام العالم أجمع ، ويقولون عنه فى نيويورك بالذات (السـادات الزعيم المقنع ٠٠ فهو على حـق دائما) ٠

يقول جيفرى جودسيل فى جريدة كريستيان ساينس مونيتورز « لقـد أصبح السادات بالنسبة للعالم الغربى أكثر الشخصيات العالمية جاذبية ، فقـد قام برحلة سلام لا مثيل لها فى التاريخ الحـديث ، انه يتميز بوضوح الرؤية ويعبر عن نفسه بصراحة وسحر نادرين ، ولكن كل هـذا يمكن أن يتضاءل الى جانب احساس كل من يقترب منه أو يستمع اليه بصـدق أحاسيس وأقـوال وأفعال هـذا الرجل العظيم والبسيط معا ، ولعـل هـذا ما جعله يغزو قلب الغرب وقلب الشـعب الأمريكى بالذات ، لقـد قرب المسافات بين هـذه الشعوب وبين شعبه أكثر ممـا استطاع أى زعيم آخر أن يفعل فى أى وقت مضى » ٠

وتقول كلارا كلوستر فى صحيفة كانسى سيتى تايمز « ان السادات جـدير بحق بكل المديح والاعجاب الذى يحيطه العـالم به منذ أن قام برحلة السلام ، فأقـل ما يمكن أن توصف به هـذه المبادرة أنها جريئة وشجاعة لم يكن فى الامكان تصديقها أو تخيلها قبـل أن تحـدث ، ولعل من أهم منابع قـوته ما وهبه الله من قـدرة على التغيير والتغير وقـدرته الفـذة على تحطيم القوالب القـديمة الجامدة وخلق

مواقف جـديدة تتلاءم مع الواقع ، هذه القـدرة فى رأيى هى التى سوف تمكنه الآن ـ أو فيما بعـد ـ من تحقيق رسالته المقدسـة وبلوغ الأهـداف التى وضعها نصب عينيه وهى أن يعيش العالم فى حـب وســـلام » .

ويقول فيليب سيب فى جريدة دالاس تيمز هيرالد « قـد يتساءل البعض عن سر اعجاب العالم بالسادات كرجل دولة من طراز فريد ، والمفتاح فى رأيى يكمن فى شخصيته ، فايمانه بعـدالة قضيته يجعله يغامر بكل شىء كما حـدث فى رحلته الى القـدس ، ولكن الى جانب هـذا يتميز السادات باحساس سليم بالعلاقات العامة وبفهم دقيـق للمشاكل والمنعرجات السياسية على المستوى العالمى والمستوى المحلى معـــا » .

وتقول جان لويز ثاشر فى النشرة الشهرية الخاصـة بشئون العالم والتى تصدر فى كاليفورنيا « فى الثلاثين سنة الأخيرة من تاريخ العالم ينفرد فصل بأكمله بالمشاحنات الخطيرة التى لم يشهد التاريخ مثيلا لهـا من قبل ، ذلك هـو الفصل الذى يمكن أن نسميه (الشرق الأوسط) حيث اهتزت أعمق مشاعر البشر بمـا كان يمكن أن يؤدى الى الخراب والفناء ، ولكن من حسن حظ العالم أن ظهرت أخيرا والى جانب هـذه الحرب حرب أخرى من أجـل السلام والبقاء على يد السادات ذلك الرجل النادر الشجاع الذى ذهب الى عـدوه مصافحا متسامحا يطالبه بالسلام حتى يعم الخير والحق كل شعوب المنطقة » .

أما عن الرافضين العرب ، فلن يكون أمامهم فى نهاية المطـاف غير الواقع يمسكون به ، وهـذا الواقـع يتمثل فى حقيقة واحـدة هى : مبادرة السلام المصرية ، ان أول الخيط الذى بدأ بمحاولة عربية محورية لنسفها سوف ينتهى ـ بالضرورة ـ الى محاولة عربية جماعية لدعمها ،

خصوصا وأن المبادرة لم تتسبب فى وجـود خلافات بين الدول العربية بقـدر ما كشفت عن وجـود الخلافات بين الدول العربية ٠

وماذا يمكن أن يقـال بعـد أن حـددت القيادة المصرية بالقول الفصـل ألف مرة ومرة موقف مصر القاطع والمـانع ؛ للذى لا يقـل عن موقف مؤتمرى الجزائر والرباط بل يزيد ، وبعـد أن بددت تصريحات السادات فى القـدس وفى عواصم الغرب أوهام الحلول المنفردة ، وبعد أن استمع المقاتلون على ضفتى القناة من قائدهم الأعلى أنه لا اتفـاق منفردا مـع اسرائيل ، وأنه اذا استمرت اسرائيل فى عمليات الالتفاف حـول مبادرة السلام وضرب الجهود المبذولة لاحلاله فى المنطقـة فان هناك توقعا لحرب أخرى لاستعادة الأراضى العربية المحتلة ، وأنه اذا اعتبرت القيادة الاسرائيلية رفضنا للتنازل عن بوصـــة واحـدة من أرضنا مؤشرا للحرب ٠٠ فهم أحرار فيما يعتقدون ٠

ان على العرب أن يعـودوا الى التضامن العربى حتى يحقق للوجـود العربى ذاته فى عالم لا يعترف الا بالقـوة ، وأن يبرزوا للحجم الأصغر لخلافاتهم أمام للحجم الأكبر لمصالحهم ، وأن يرتفعوا الى مستوى المسئولية القـومية وباب الشجاعة الفكرية ـ على حـد قـول عاهل المغرب ـ مفتوح مثل باب التوبة ٠

لقـد صـدق الرئيس السودانى جعفر نميرى للذى اختارته جامعة الدول العربية رئيسا للجنة اعادة للتضامن للعربى حينما قـال « ان مبادرة الرئيس المصرى قد دفعت للدبلوماسية للعربية الى مجالات جـديدة سوف تعود بمكاسب كبيرة على القضايا المصرية للعربية التى بدأت مرحلة جـديدة من الواقعية بعـد المبادرة » ٠

ان زيارة القـدس التى أيدتها جموع الشـعب المصرى صـارت علامة تاريخية بارزة لنهاية عصر المراهقة السياسية التى اشتهر بها

العالم العربى فى تاريخه المعاصر ، والتى شوهت صورته فى نظر العالم المتحضر حيث لم يأخذه أحد على محمل الجد مهما علا ضجيجه وارتفع عجيجه ، كما صارت حافزا سوف يدفع الدول العربية على طريق السلوك الناضج والمسئول بعد أن تجاوزت مصر هذه المرحلة ٠

ان الذين أصابهم اليأس من مبادرة السلام المصرية يمكنهم الخروج من شرنقة اليأس التى حشروا أنفسهم فيها الى هذا العالم الواسع حولنا ليسمعوا ويشهدوا ويلمسوا كيف أن هذه المبادرة هى النبض العالى الذى يدق به قلب الصراع العربى الاسرائيلى فى هذه الآونة ٠

ولقد بدأت المبادرة تحدث تغييرا نفسيا لدى كل شعوب المنطقة بما فيها شعوب هؤلاء الرافضين الذين سيتفهمون يوما ـ قرب أم بعد ـ هذا الاسهام الضخم الذى قدمته مصر اليهم ٠

ان التضامن العربى سوف يساعد على سرعة تحقيق السلام ولا يعطى الفرصة لاسرائيل كى تناور وتداور وتساوم وتلعب على الخلافات العربية وتتعلل بها ٠

يقول ناحوم جولدمان « ان جبهة عربية موحدة ، سوف تكون عاملا هاما فى سلام المنطقة ، ويقينى أن مصر لا تريد سلاما منفصلا لأن مثل هذا السلام يعنى أن تعود ظاهرة الاستقطاب الى العالم العربى ، وأن تتعزز قسمته ، وسوف يجد السوفييت من خلال الاستقطاب فرصة الابقاء على استمرار المشكلة تعزيزا لاستمرار وجودهم » ٠

ويقول فى مناقشة عن الأثر السياسى لتكدس السلاح فى اسرائيل على اتجاهات السلام هناك « أعتقد أنه لصالح تحقيق السلام فانه من الضرورى للعرب أن يكونوا على يقين من قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم ، وان ما يقوله العرب عن ضرورة التوازن فى القوة العسكرية للجانبين شىء منطقى » ٠

ان مبادرة السلام المصرية جعلت العالم يدخل الآن معنا كشاهد اثبات يساند الحق العربى ، ويستنكر التعنت الاسرائيلى ، فى أول امتحان حقيقى لصقور اسرائيل فى مطلب السلام الذى كانوا يتشدقون به ، بل وجعلت ضمير العالم يقيم معنا الدعوى ضد هذا التعنت والصلف ٠

ان العالم كله الآن شاهد على مدى مرونة الموقف المصرى وايجابيته وتجاوبه مع ارادة ورغبة المجتمع الدولى فى اقرار سلام عادل ودائم يحقق الأمن لجميع الأطراف فى المنطقة دون مساس بالأرض والحق ، كما يحقق الاستقرار فى العالم أجمع ٠

يقول برونو كرايسكى مستشار النمسا « ان مجموعة الدولية الاشتراكية التى كانت تتعاطف تقليديا مع اسرائيل فقط أصبحت الآن تستمع بعقل مفتوح للى وجهة النظر المصرية بالذات، وللى وجهة نظر العرب الذين يريدون السلام ـ ان تمسك مصر بمبادرتها أمر بالغ الأهمية لأنه يكسبها تأييدا جديدا فى كل يوم وفى كل مكان ، ومع شىء من الصبر سيحصل العرب على نتائج ايجابية ـ ان هناك من يعتقد أن الأمانى الكبيرة لا تتحقق بالطرق السياسية ، ولكننى أعتقد بأنه حتى بعض الأحلام يمكن تحقيقها بالسياسة عندما يوجد الرجل المناسب لتحقيقها ، والسادات هو من هذا النوع النادر الذى أثبت لنا أن بعض الأحلام يمكن تحقيقها ، فلم يكن أحد ليحلم بمبادرته

قبل أن تحـدث ـ ان المبادرة قـد أحـدثت تحولا فى الرأى العام العالمى ما كان يحـدث فى قرون عـديدة لو لم تكن رحلة القـدس ـ ان الصبر هـو السلاح السرى فى هـذه المعركة ـ ان عملية خلق رأى عام حول مشكلة معقـدة كأزمة الشرق الأوسط عملية بالغة الصعوبة ، ومع ذلك فقـد رأينا نتائجها ، لقـد تغيرت الأمور بصورة جـوهرية فى وقت قصير ليس فى الرأى العام الأمريكى فقط بل داخل المجتمعات الأوربية خصوصا فى غرب أوربا » ٠

ويصـــف برونو كرايسكى مستشار النمســا مناحم بيجين (المحامى البولندى الصغير) بأنه (بقال سياسة) ، كما يصـــف اسرائيل بأنهـا دولة بوليسية عنصرية تماما مثل جنوب أفريقيا ، ويعلن أن الجنرالات الذين يحكمون اسرائيل يعيشون فى عزلة ويفكرون بنفس أسلوب تفكير يهود أوربا الشرقية الذين لم يتحملوا فى وقت من الأوقات أية مسئولية سياسية ، كما يعلن أن العالم يكافح العنصرية فى جنوب أفريقيا ويتساءل متى سيكافح ضـدها فى اسرائيل ، ويقول أن الذين يحلمون باسرائيل الكبرى يتناسون أنه ما من دولة واحـدة استطاعت أن تبقى متماسكة فى ظـل الوصاية ، كما يقول أن ذوى العقول الفاشية هم وحـدهم الذين لا يستطيعون أن يدركوا أن دولة الرايخ الاسرائيلية بالمليون عربى الذين يعيشون فيها انما تحمل عبـوة ناسفة أو تجلس فـوق بركان ديناميت ، ويرى أن الاسرائيليين جنـود على مستوى عال ولكن هـذه الأشياء يمكن تعلمها بسرعة ، انها شكل مهذب من أشكال اللصوصية ، كما يرى أن الاسرائيليين يفتقدون التهذيب فى السياسة ، وأن أكثر الدبلوماسيين المكروهين الآن هم الاسرائيليون ، وأنهم يحتاجون الى مئات السنين ليتعلموا السياسة ، ويضيف أن القول بأن اليهود أشخاص أذكياء ما هـو الا أسطورة فارغة ، فهم أشخاص أغبياء مثل الآخرين ، وبعضهم يتميز بعقلية فاشية والبعض الآخر يفكر بعقلية الجيتو ، كما يضيف أن

اسرائيل ستجد نفسها ان عاجلا أو آجلا فى عزلة مخيفة ، ولن يستطيع حتى أغنى اليهود الأمريكيين أو الأوربيين اخراجها من هـذه العزلة ٠

لقـد أثارت هـذه التصريحات اهتماما عالميا واسع النطـاق ، والأغلب أن هذا الاهتمام يرجع الى أن الدوائر الرسمية والصحفية العالمية تذهب فى تفسيرها لسياسة الدولة اليهودية الى نفس ما ذهب اليه برونو كرايسكى الذى لو لم يكن يهوديا للحقت به تهمة (معـــاداة السامية) ، والذى اتهمه يوسف بورج وزير داخلية اسرائيل بأنه أدلى بأسـوأ تصريحات أدلى بها أى زعيم غربى عن اسرائيل منذ انشائها من ثلاثين عاما ، وبأنه استخدم لغـة تعيد الى الأذهان اللغـة التى كان يستخدمها النازيون المناهضون للسامية ٠

لقـد خلقت مبادرة السلام المصرية موقفا تاريخيا جـديدا فى معظم دول أوربا وقضت على كثير من التحفظات والتحرجات والعقـــد التى ميزت سياسات هـذه الدول ، وألمـانيا الغربية على رأسها ، طوال ثلاثين عاما ظلت فيها اسرائيل تستثمر بالباطـل ما فعله النازى باليهـود ، وتحللت هـذه الدول من هـذه الأوهام وأهمها عقـــدة (الشعور بالذنب) عند الشعب الألمـانى الغربى ،ولم تعـد تخشى هذه الدول قـذفها بتهمة (معاداة السامية) كما لم تعـد تخفى تبرمها من موقف اسرائيل المعـوق لجهود السلام فى الشرق الأوسط ٠

تقول وكالة اليونايتد برس بمناسبة الذكرى الثلاثين لقيام دولة اسرائيل ، ان الدولة اليهودية تدخل الآن العقـد الرابع من عمرها دون أن تنجح فى تحقيق السلام مـع جيرانها ـ ان معظم دول العالم تعتبر ذلك غلطة اسرائيل نفسها ـ ان تعنت اسرائيل جعل العالم كله بما فى ذلك دولة الكتلة الشرقية والغربية على السواء ينظر اليهـــا باعتبارها دولة متعجرفة وعنيدة لا تريد السلام ـ ان عـدم توقيع اتفاقية سلام مع جيرانها قـد كلفها خسارة العـديد من أصـدقائها ـ

ان اسرائيل ستظل مهددة بالخطر اذا لم تتمكن من حـل مشاكلها مع الدول العربية » •

ومع ذلك فان مبادرة السلام المصرية لم تفقد فاعليتها ولم يستطع أحـد مقاومتها ، فكل التطورات العربية والاسرائيلية والعالمية أثبتت صحة المبادرة وبعـد نظرها ، وكل الذى تم تحقيقه لا يجب أن يسمح بتوقفه ، واسرائيل ما بعـد المبادرة لن تكون اسرائيل ما قبلها ، وغـد القضية لن يتشابه مـع أمسها ، والمشكلة قـد أصبحت غير قابلة للتجمـد ، لقـد دخلت منعطفا لا رجعـة فيه ، لقـد شاعت روح الانصاف والتفهم للقضية ، ومصر تدرك أهمية عامل الوقت فى ديناميكية صنع السلام دون تفريط أو افراط ، فالحرب هى الجهـاد الأصغر ، والسلام هـو الجهاد الأكبر •

ان مبادرة السلام صارت ملكية عالمية ولم تعـد ملكا للرئيس السادات ولا ملكا لمصر وحـدها ولكنها ملك للانسانية كلها وجزء من تاريخها الذى سوف تتوارثه عبر أجيالها ولأن العالم يريد السـلام ويصر عليه ويعمل من أجله •

ان مبادرة السلام صارت مسئولية تاريخية يتحمل العـالم عبء الدفاع عنها ويعمل على نجاحها ؛ بعـد أن شـعر أن اسرائيل قـد أصبحت خطرا على أمنه وعلى مصالحه ، وبعـد أن لمس أن مبادرة السلام ـ وهى أشجع نداء أخلاقى حضارى أعلنه الانسان فى هـذا العصر ـ قـد أصبحت جزءا من ضمير الانسانية ، وتعبيرا عن أرقى ما فى الانسان •

ان مبادرة السلام لابد أن تعطى ثمارها ، وهى ـ على حـد تعبير تاكيو فوكودا رئيس وزراء اليابان ـ مثل حبات القمح التى تزرع فى الأرض وترتفع سنابلها مـع بعض الوقت •

ولقـد تحول مفهوم دور الولايات المتحدة بعـد المبادرة ، وبعـد أن وصلت للولايات المتحدة الى تلك الدرجة من الانغماس فى أحـداث المنطقة ، من مفهوم دور الوساطة بيننا وبين اسرائيل الى مفهوم دور الشريك الكامل فى صنع السلام الذى يريده العالم ويصر عليه ، وهـو المفهوم الذى تحاول اسرائيل ازاءه اخراج الولايات المتحـدة من عملية التسوية السلمية كطرف له مصلحة فيها ٠٠ ولكن هيهات أن تعـود عقارب الساعة الى الوراء ٠

لقـد كانت اسرائيل تريد للدور الأمريكى أن ينحصر فى دور المشجع والمصفق أحيانا أو فى دور (ساعى البريد) على أكثر تقـدير ، دون أن يرتفع هـذا الدور حتى الى مستوى (العامل المساعد) أو يرقى الى درجة التأثير والمشاركة فى اقرار السلام فى المنطقة على أسس عادلة ومتوازنة ٠

ولعـل تطورات ما بعـد حرب أكتوبر ومبادرة السلام تستطيع الاجابة على التساؤلين الشهيرين : هـل تستطيع الولايات المتحدة أن تضغط على اسرائيل ؟ وهـل ترغب فى الضغط عليها ؟ وذلك بعـد أن انقضى ــ الى غير رجعة ــ عصر كانت الولايات المتحدة تساعد فيـــه اسرائيل بدافع من (الالتزام الأخلاقى !) أو بسبب (الاعتبارات الانســـانية !) ٠

ومن يستطيع الآن أن ينكر الموقع الذى ستبصره أية حكومة أمريكية لصالحها على جانبى الصراع العربى الاسرائيلى ، ان هـذا السبب هـو الذى يكمن وراء لهفة حكومة الرئيس كارتر على دفـع عجلة السلام الى الأمام ، فبدون السلام ستستمر الولايات المتحدة فى مواجهة اختيارات متضاربة بين اسرائيل وبين دول عربية انتصرت فى حرب أكتوبر وتملك الطاقـة والمـال وتبادر بالسلام العادل وتقف فى وجه المـد الشيوعى فى المنطقة العربية والقارة الأفريقية ٠

يقول البروفيسور ستانلى هوفمان الأستاذ بجامعة هارفارد الأمريكية « ان التسوية ولا شيء غيرها هى التى تستطيع أن تدعم الخط السياسى القائم بين مجموعة الدول العربية المعتدلة وبين الولايات المتحدة » •

ان المبادرة المصرية لم تفشل ولن تفشل ، لأنها تأتى كل يوم بأثر أعمق ، لقد أعلن هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية الأمريكية — مؤخرا وعلى سبيل المثال — أن مبادرة السلام التى قام بها الرئيس السادات قد كسرت الحلقة المفرغة التى كان يدور فيها الصراع العربى الاسرائيلى طوال ثلاثين عاما ، وأن المبادرة قد دفعت الولايات المتحدة واسرائيل معا الى اتخاذ مواقف جديدة ومواجهة ظروف متغيرة فى المنطقة العربية ، وأن التزام الولايات المتحدة بأمن اسرائيل يرتبط أيضا بقيام علاقات سلام بين اسرائيل وبين الدول العربية المجاورة لها •

ولقد تحققت المعجزة أخيرا وقبل انتهاء عام من المبادرة ، وتم فى (كامب ديفيد) — بعد ثلاثة عشر يوما متصلة من المحادثات الشاقة والمضنية على مستوى القمة المصرية والأمريكية والاسرائيلية — الاتفاق على (اطارين متكاملين) يمكن على أساسهما انهاء الصراع العربى الاسرائيلى وتحقيق السلام العادل والشامل فى الشرق الأوسط ، وكان هذا انجازا مفاجئا فاق كل التوقعات ، بل لم يكن قابلا للتصديق أو التخيل حتى قبل ساعات محدودة من اختتام المؤتمر •

ان المكاسب التى تحققت فى كامب ديفيد للعرب عامة وللفلسطينيين خاصة لم يكن من الممكن التوصل اليها فى عشرات السنين لولا أن مصر بحجمها ووزنها قد استطاعت بشجاعة واثقة أن تقتحم معركة السلام وهى لا تقل ضراوة ولا شراسة ولا قسوة

ولا مشقة عن معركة للحرب بكل ما تمثله من دمار وخراب واراقة دماء وسقوط شهداء ، كما استطاعت مصر بدأب واصرار وصبر ومثابرة أن تتوصل الى أسس لانهاء صراع لم يكن أكثر المتفائلين بالنسبة للقضية العربية أن يجدوا له حلا أو مخرجا ، وأن تحرك الموقف برمته تجاه التسوية الشاملة أكثر مما فعلت قرارات الأمم المتحدة مجتمعة ، وأن تحقق بهذه النتيجة فى هذه المرحلة قول الرئيس السادات عن مبادرة السلام « ان هذه المبادرة صاروخ متعدد المراحل » .

يقول الرئيس الأمريكى جيمى كارتر « لقد تعاظمت احتمالات السلام فى الشرق الأوسط بهذا الاتفاق على نحو يندر أن يكون قد حدث من قبل » .

ويقول نائب الرئيس الأمريكى والتر مونديل « ان مؤتمر كامب ديفيد كان من أهم الأحداث وأضخمها على الاطلاق فى العصر الحديث » .

كما يقول رئيس وزراء بريطانيا جيمس كالاهان « لقد خطا هذا الاتفاق خطوات عملاقة بعيدا عن الحرب بقدر ما تقدم خطوات عملاقة أخرى نحو السلام فى الشرق الأوسط » .

كذلك يقول رئيس وزراء ايطاليا جوليو اندريوتى تعليقا على هذا الاتفاق « ان من لم يقتنع اليوم فسوف يقتنع غدا » .

ويرى وزير خارجية فرنسا لوى دى جيرينجو أن اجتماع قمة كامب ديفيد الذى عقد بأسلوب لم يسبق له مثيل قد فتح مرحلة جديد أمام اقرار السلام فى الشرق الأوسط .

كما يرى سيروس فانس وزير الخارجية الأمريكية أن اطار السلام الذى تم اقراره فى كامب ديفيد يمكن الفلسطينيين من الحصول على حقوقهم السياسية الكاملة •

كذلك يرى هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط أن هـذا الاتفاق يعمل على تحريك عمليـــة سياسية من شأنها ن تدفع الى الأمام بكل الأهـداف العربية المشروعة بعـد أن وضع الأساس لتسوية عربية شاملة وعادلة ، وأن وثيقتى كامب ديفيد تقـدمان فرصة لم يسبق لها مثيل أمام شعوب الشرق الأوســـط •

ويعرب أندرو يونج مندوب الولايات المتحدة الدائم لدى الأمم المتحـدة عن اعتقاده بأن الشهور القادمة ستؤدى فى النهاية الى معالجة المسائل الخاصة بالضفة والقطاع والقـدس وسيناء والجولان أيضا •

ويؤكد حاييم بارليف رئيس الأركان الاسرائيلى الأسبق أن حكومة بيجين ـ بهـذا الاتفاق ـ تعـد أول حكومة اسرائيلية تعترف بالشعب الفلسطينى وتقر بحقوقه المشروعة ومنها حقـه فى تقرير مصـــيره •

ويصف مسئول أمريكى كبير هـذه النتائج بقوله « ان الأفعال تتحـدث الآن بصوت أعلى من الكلمات » •

وعلى صعيد الرأى العام العالمى يصف السيناتور جاكوب جافيتس العضو الجمهورى بمجلس الشيوخ عن ولاية نيويورك ليلة توقيـــع الاتفاق بقوله « ان العالم والبشرية كلها قـد تنفست الصعداء ارتياحا فى هـذه الليلة بعـد النجاح الذى تحقق فى كامب ديفيد ، وذلك لأن الطريق الى السلام أصبح مفتوحا على مصراعيه » •

وتذكر صحيفة واشنطن بوست أنه الاتفاق الأول الذى يتم عليه الاتفاق منذ ثلاثين عاما ، وأنه انجاز رائع بمقياس آلام الماضى وبمقياس للبديل المحتمل وهو اندلاع حرب أخرى تهدد الاستقرار العالمى •

وتشير صحيفة ايفننج نيوز تحت عنوان (فجر السلام) الى أن نتائج المؤتمر تتخطى جميع الآمال وتمثل (خطوة كبيرة للأمام) من أجل حل للنزاع فى الشرق الأوسط •

وتؤكد صحيفة الأيام السودانية أن مصر تتحرك نحو السلام وفق استراتيجية سياسية دقيقة الحسابات وذات خطط تكتيكية ذكية ، وأن للسلام آت لا ريب فيه •

وتدلل صحيفة يديعوت أحرونوت الاسرائيلية على أن الخاسر الأكبر من هذا الاتفاق هو الاتحاد السوفييتى ، بعد أن أصبح السلام فى الشرق الأوسط على مرمى البصر •

وتبرهن مجلة نين الأسبوعية اليوجوسلافية على أن الاتفاق أسفر عن خلق (عناصر ايجابية هامة) فى الشرق الأوسط ، وبدد امكانية نشوب حرب هائلة فى المنطقة ، وأصبح وحده موضع تقدير الغالبية فى عالم مدجج بالسلاح •

وتقول وكالة الأنباء اليوجوسلافية أن الاتفاق يعد (قاعدة صلبة جدا) من أجل ايجاد حل نهائى لمشكلة الشرق الأوسط والتوصل للسلام فى المنطقة والعالم •

وتصف لجنة (نوبل) التى منحت الرئيس السادات جائزة نوبل للسلام لعام ١٩٧٨ وثيقتى كامب ديفيد بأنهما انتصار لفكرة السلام فى هـذا الجزء من العالم .

ان هـذا الاتفاق يعنى فيما يعنى أننا نجحنا لأول مرة فى أن نبـدأ ديناميكية تغيير الأمر الواقع فى الضفة الغربية وقطاع غـزة بشكل يؤدى فى المستقبل المرئى الى أن يمارس الشعب الفلسطينى حـق تقرير مصيره واقامة دولته ، وذلك بعـد أن كان الاتجـاه هو الابقاء على السـيطرة الاسرائيلية على الضفة والقطـاع باستمرار احتلالهما وتطبيق القـوانين الاسرائيلية عليهما وزيادة وتوسـيع المستوطنات فيهما جنبا الى جنب مـع استمرار افراغهما من سكانهما الفلسطينيين ، فضلا عن أن ما ينطبق فى الاتفاق على سيناء سيكون أساسا لما سوف ينطبق على الجولان اذا ما استعدت سوريا للتفاوض مـع اسرائيل .

ان هـذا الاتفاق يعنى فيما يعنى أن يكون لاسرائيل حـدود محـددة لا تقر لها التوسع ، وأننا بذلك قـد استطعنا لأول مرة تحجيم الدولة الصهيونية والتصدى لنواياها التوسعية ورغبتها فى تحقيق الاستعمار الاستيطانى الذى ظهر جليا فى عـدد المستوطنات التى كانت قـد أقامتها قبل هـذا الاتفاق فى الضفة والقطاع بل وفى سيناء والجولان ، وأن كامب ديفيد قـد شهد لأول مرة نهاية حلم (اسرائيل الكبرى) .

ان هـذا الاتفاق يعنى فيما يعنى امكانية التخلى عن واحـد من أهم وأخطر المبادىء المقـدسة فى العقيدة الصهيونية التى تقـوم عليها دولة اسرائيل وهـو عـدم الجلاء أبدا عن المستوطنات اليهودية التى تتم اقامتها فى الأراضى العربية المحتلة ، فلقـد كان الاستعمار

الاستيطانى فى فلسطين هو (جوهر العمل الصهيونى) أو (اكسير الحياة) كما وصفته جولدا مائير ، وهو الشئ الذى عكسته بعض اللافتات التى رفعها بعض المستوطنين الذين تظاهروا أمام الكنيست ضد الاتفاق والتى كانت تقول فيما تقول (الرؤية الصهيونية تنهار - لا صهيونية بدون مستوطنات - اخلاء المستوطنات اغتيال للصهيونية) .

يقول هنرى كيسنجر تعليقا على الاتفاق ن زعماء الدول العربية (الأخرى) قد اتخذوا المواقف التى اعتمدت أساسا على التصريحات البلاغية ولكنهم لم يحققوا شيئا ، فى حين أن الرئيس السادات قد حقق استعادة الأراضى العربية المحتلة والحقوق الفلسطينية المغتصبة .

كما يقول هارولد سوندرز أن الرئيس السادات ومصر يمكنهما أن ينالا فخرا عظيما حيث أن اطار العمل الذى تم الاتفاق بشأنه قد أولى اهتماما كبيرا واستجابة لكل اهتمامات العالم العربى .

ويرى باتريك كورماك النائب البريطانى أن ما قام به الرئيس المصرى يجب أن يكون مثلا مشرقا يتعين على قادة الدول أن تحتذيه ، وأنه بدون المبادرة الشجاعة التى قام بها السادات الى القدس لما أمكن لمؤتمر كامب ديفيد أن يتحقق أو يتمخض عن مثل هذه النتائج الحاسمة لصالح السلام فى الشرق الأوسط والعالم .

ويصف شيمون بيريز الرئيس السادات بأنه زعيم قادر على اتخاذ القرارات الكبرى .

ويعلق والترمونديل بقوله « ان الحكمة السياسية للقائد المصرى قد أتت ثمارها » .

ويعلن الملك الحسن الثانى أن سياسة مصر فى السعى نحـو السلام العادل والشامل فى المنطقة تنطلق من مقررات مؤتمر القمـة العربى فى الرباط الذى وصفه بأنه كان (مؤتمر السلام للقمة العربية) حيث وضع العرب فيه شروطهم للسلام والتى يحققها الرئيس السادات منذ المبادرة وفى اتفاقيتى كامب ديفيد وهى انسحاب اسرائيل من كل الأراضى العربية المحتلة واقرارها بالحقوق المشروعة للشـــعب الفلسـطينى ٠

ويؤكد الرئيس جعفر نميرى أن نتائج كامب ديفيد هى امتداد فعلى لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ومخرج عملى لتنفيذ هـذا القرار الذى حـدد مقومات السلام الدائم والعادل والشامل فى المنطقـة ، وأن ترتيبات السلام التى توصل اليها الرئيس السادات هى خطوة هامة وفى الاتجاه الصحيح ، وأن التكتيكات العربية القـديمة لم تؤد الا الى الانتكاسـات ٠

يقول الرئيس السادات فى كلمة التهنئة التى وجهها من دار السفارة المصرية فى واشنطن الى الشعب المصرى والأمة العربية عقب توقيع الاتفاق فى البيت الأبيض الأمريكى « تهنئة من كل قلبى الى كل رجل وكل امرأة ، وكل شاب وكل فتاة ، وكل طفل وكل طفلة على أرضنا الطيبة ، تهنئة لأبنـائنا وفلذات اكبادنا أفراد القـوات المسلحة الذين أدوا دورهم وقاموا بواجبهم ودفعوا الثمن الذى نجنى اليـوم ثمـــاره » ٠

ولقـد أجمعت وكالات الأنباء العالمية على أن استقبال الأبطـال المنقطع النظير الذى لقيه الرئيس السادات على أرض وطنه يعكس تأييد شـعب مصر باجمعه لاتفاق السلام الذى تم التوصل اليه بما يمثل استفتاء شعبيا حرا وتلقائيا على هـذا الاتفاق ٠

ولقـد تسابقت الهيئات والمؤسسات الدولية المختلفة وما زالت تتسابق على تكريم الرئيس السادات تقـديرا منها لمبادرته (من أجل السلام فى الشرق الأوسط والعالم) ٠

لقـد أعلنت جامعة فلتشر أقـدم جامعة أمريكية فى القـانون نبـأ اختيار الرئيس السادات أستاذا بها لأنه ـ على حد اعلان الدكتور رايان أستاذ القانون بها أمام الرئيس السادات فى القاهرة ـ قـد أعطى العالم كله درسا فى القانون الدولى والعلاقات الدولية ٠

كما قررت جامعة كارولينا منح الرئيس السادات درجة الدكتوراه الفخرية فى القانون تعبيرا عن تقـدير المجتمع العلمى الأمريكى لجهوده من أجـل اشاعة السلام وسيادة القانون ٠

كما قدمت جامعة ونبرج أقدم جامعات السويد الميدالية التذكارية لعام ١٩٧٧ للرئيس السادات ، وهى المرة الأولى التى تمنحها لشخصية عالمية غير سويدية ، وذلك تقـديرا منها لمبادرته من أجـل سلام الشرق الأوسط والعالم ٠

كذلك أرسلت مدينة فيليت بولاية ميتشجان الأمريكية مفتاح المدينة للرئيس السادات تعبيرا عن تأييدها لمبادرته الخلاقة التى حظيت بالاعتراف الذى تستحقه ٠

كما منح المركز الثقافى للبحر المتوسط فى مدينة باليرمو (عاصمة جزيرة صقلية) الايطالية وسام غصن الزيتون الفضى للرئيس السادات اعترافا بجهوده من أجل تثبيت فكرة السلام فى الشرق الأوسـط والعـالم ٠

كذلك اختيارت رابطة مناهضة للشيوعية فى مالطة ـ بالاجماع ـ للرئيس السادات للحصول على ميداليتها الذهبية تقديرا للدور الذى قام به (للبطل الحقيقى للقضية العربية) والذى بذل من أجله (أقصى ما يستطيع البشر) ٠

كما اختار مجلس ادارة هيئة جائزة الكوكب الذهبى الدولية للسلام ـ بالاجماع ـ للرئيس السادات للحصول على الجائزة لعام ١٩٧٨ تقديرا لجهوده فى خدمة السلام العالمى والتعاون الدولى ٠

كذلك منحت جمعية عائلة الانسان فى مدينة نيويورك الأمريكية ميداليتها الذهبية لعام ١٩٧٨ للرئيس السادات تقديرا للانجاز الكبير الذى حققه فى خدمة قضية السلام العالمى ٠

كما منح المجلس العالمى لحركة الكنيسة الميثودية البروتستانتية فى ولاية كارولينا الأمريكية ميداليته الذهبية للسلام للرئيس السادات، وهى المرة الأولى التى يمنحها لشخصية عالمية غير مسيحية ، وذلك تقديرا لما أبداه من شجاعة وقدرة على الابداع والمثابرة فى قضية السلام ٠

كذلك منحت مجلة هيرو فونك للاذاعة والتليفزيون الألمانى الغربى جائزتها الذهبية للرئيس السادات باعتباره الشخصية التى أجمع مستمعوا الاذاعة ومشاهدوا التليفزيون على أنها أهم شخصية عالمية برزت فى برامج الاذاعة والتليفزيون الألمانى خلال هذا العام ٠

كما اعلنت لجنة نوبل النرويجية المنظمة لجائزة نوبل للسلام ـ بعد ترشيح للرئيس السادات من جانب الأفراد والهيئات والمؤسسات

الدولية للتى فازت بالجائزة لأعوام سابقة وأصبح لها حـق للترشيح ـ فـوز الرئيس للسادات بالجائزة لعام ١٩٧٨ ، وهى المرة الأولى للتى تمنحها لشخصية عربية ، وذلك اعترافا من كل شعوب العـالم المحبة للسلام بقيمة العمل للذى تم انجازه منذ زيارة للقدس للتاريخية ، وتشجيعا على بذل مزيد من للجهود من أجل للتوصل الى حلول عملية تجعل من آمال للتوصل الى سلام دائم وعادل وشامل حقيقة واقعة ٠

وها هـو ابن مصر ابن الأرض الطيبة ابن حضارة آلاف الأعوام ، بكل أصالة للنيل وعراقته وحركته وهـدوئه بكل ما يحمله نخيل الوادى من عطاء وكبرياء بكل ما تحمله المعابد والأهرامات من قـدرة على تحدى الزمن بكل ما يحمله فلاح مصر من ذكاء فطرى وبعـد نظر ، يقف الرئيس للسادات ابن للصبر والصمت ، صبر المؤمن بربه وصمت الواثق من شعبه ، يستثمر بمهارة ما حققه نصر أكتوبر المجيد ، ويسبق الأحداث ويفاجىء العالم ويشد انتباهه من أقصى الشرق الى أقصى للغرب ويبادر بالسلام ويراهن على الدور الأمريكى ويدفع للولايات المتحدة ورئيسها الى أن يراهنا على مركزهما ويتجاوب مـع نداءات عقولنا وقلوبنـا ويسافر بنا فى قافلة السلام وعلى طريق للسلامة نحـو غـد أفضل باذن اللـه ٠

لقـد عالج اتفاق كامب ديفيد ــ فى اطاريه المتكاملين ــ عموميات للصراع بيننا وبين اسرائيل ، وبقى أن نبحث التفاصيل وعلى رأسها ضرورة وكيفية الربط الصريح والواضح فى جدول زمنى محدد ومتوافق بين انجاز مراحل الانسحاب من سيناء ، وبين احراز تقدم فى قضية للضفة الغربية وقطاع غزة لحل المشكلة الفلسطينية لب للصراع فى الشرق الأوسط خلال مدة محددة من للزمن ، وعلى أساس من نص وروح اطارى الاتفاق الكامل والتكامل فى كامب ديفيد ، وللذى يجب أن ينفذ دفعة واحدة رغم (تكتيكات) مناحم بيجين ومطالب وفده فى مفاوضات (بلير هاوس) الجارية فى واشنطن بتغييرات تتسم بالمراوغة فى محاولة لاستدراج مصر الى عقـد صلح منفرد أو اتفاق جزئى يخالف

نص وروح الاتفــاق ، ورغم تعليماته الى الوفــد الاسرائيلى فى المحادثات بأن يجعل أسلوب التفاوض (فضفاضا) الشىء الذى دعـا صحيفة جيروزلليم بوست الاسرائيلية الى وصف الطريقة التى تتفاوض بها اسرائيل بأنها طريقة (خرقاء للغـاية) ، والذى دعا مائير يانيـل النائب الاسرائيلى الى أن يعلن أن المناورات التى تستهدف توجيـه ضربة قاضية لجهود السلام مستمرة بصورة (سافرة ووقحة) •

ان محاولات المفاوض الاسرائيلى المتوالية التى تجرى لاستفزاز المفاوض المصرى ، ودفعه الى التخلى عن مفاوضات السلام ، واستدراجه الى موقف انفعالى لا يصل اليه بارادته هـو ، وبمبادرة منه ، هى التى دعت الرئيس السادات الى أن يصف معركة السلام بأنها معركة دبلوماسية وسياسية وحضارية جـديدة ، وبأنها أخطر وأصـعب واشرس من معركة السلاح •

ان مراوغات اسرائيل قـد وصلت الى حـد انكارها مطلب الربط بين الاطارين المتكاملين مدعية أنه مطلب مصرى جـديد ، والى حـد مطالبتها بأن تكون لالتزامات مصر تجاه اسرائيل فى ظـل معاهـدة السلام الأولوية على التزاماتها التعاقدية الحالية والمستقبلية تجاه شقيقاتها العربيات ، والى حـد مطالبتها كذلك بمعاملة تفضيلية بحيث يكون لهـا أولوية لشراء فائض بترول مصر ، والى حـد رفضها للنص على امكانية اعادة النظر فى بعض نصوص هـذه المعاهـدة بنـاء على طلب أى من الطرفين غافلة أو متغافلة عن قـواعد القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة اللذين يؤكدان على ضرورة اعـادة النظر فى نصوص المعاهـدات اذا حتمت الظروف ، وناسية أو متناسية أن مطالبها هـذه تتعـارض وتتناقض مـع ما تنادى به وتصر عليـه من (تطبيع العلاقات) بينها وبين مصر •

ان مناورات اسرائيل قـد وصلت الى حـد الثورة المصطنعة التى

افتعلها قادتها ابتداء من مناحم بيجين زعيمها المبجل ونجمها المفضل ازاء مقالات صحفية فى صحف مصرية يعبر فيها أصحابها عن وجهات نظرهم الشخصية ، ورغم مما يثيره هـذا التصرف من عجب لمن يريد تطبيع العلاقات أو لمن يريد معرفة للرأى الآخر فى مصر أو لمن يزعم الديمقراطية لنفسه ولا يقبلها من غيره ٠

لقـد دعا تخـوف صحيفة جيروزاليم بوست الاسرائيلية من فشل المفاوضات الى أن تقـول « ان على مناحم بيجين أن يدرك أن فشله فى تحقيق السلام مع مصر التى تحظى بتأييد الولايات المتحدة سيكون نتيجة حتمية لقصر نظره ، وسيثبت بعـد ذلك فشل سياسة اسرائيل التى يعتقد بعض زعمائها أن الموقف المتجمد يوفر لهـا الأمن المطلوب لأنه على العكس من ذلك فان أمن اسرائيل يتوقف على قدرتها على الاستفادة من الفرصة المتاحة لهـا حاليا لتحقيق انجاز تاريخى » ٠

ولكن مناحم بيجين يدرك تمام الادراك ـ رغم محاولاته التجديف ضـد التيار أحيانا ولو لبضعة سنتيمترات ارضاء للمتطرفين فى اسرائيل ـ أن العالم كله ـ بما فيه الولايات المتحدة ـ يقف الى جانب مصر الشىء الذى دفعه فى المقام الأول الى توقيع الاتفاق فى كامب ديفيد ، والذى علله أمام الكنيست بقـوله « ان اسرائيل لا تستطيع أن تقف وحـدها فى جانب ، والعالم كله فى جانب آخر » ٠

ان دوام السلام فى الشرق الأوســط لن يتحقق الا بعـدالته وشموله ، ولن يتأكد الا باستعادة الشعب الفلسطينى لحقوقه المغتصبة وأهمها حقـه فى تقرير مصيره ومستقبله وتحقيق ذاته وهـويته ، وأى معاهـدة سلام لا تضع يدها على مصدر الداء لن يكون وراءها سلام ، ولكى تكون معاهـدة السلام بين مصر واسرائيل معاهـدة سلام حقيقى يتعين أن تحتوى فى مضمونها على عناصر بقائها واستمرارها

بحيث يتحقق الربط بين مختلف أجزائها ومكوناتها فى توافق كامل واتساق متكامل ٠

يقول الرئيس السادات لمندوبى التليفزيون الفرنسى تعليقا على مواقـــف مناحم بيجين « لقــد أنجزنا (فى كامب ديفيـــد وفى بلير هاوس) أكثر من تسعين فى المـــائة من الحلول ، ومهما كانت الجهود المطلوبة لاتمام نسبة العشرة فى المـــائة المتبقية ، فاننى سأضطلع بها وتستطيعون الاعتماد على ، وعندئذ سوف يسير كل شىء كمـــا نحتاج وكما نريد ، فاننى متفائل رغم كل الصعوبات ، وأكرر القول : فلتكن حرب أكتوبر هى آخر الحروب » ٠

ولقــد صــدق الله وعــده ونصر عبده ، وحقق نبوءته ورد عليه تفاؤله ، وتأكدت شهرة الرئيس السادات بالوفاء بما يعــد وبأنه دائما (يعنى ما يقــول) ، وتحققت (مرحلة هامة لصاروخ المبادرة المتعــدد المراحل) على حد تعبيره ، وتم فى واشنطن توقيع (معاهدة السلام) ، وسار كل شىء كما نحتاج وكما نريد ٠

ولم يكن هــذا النجاح الذى حققته مصر بوضع الأمة العربية على أول الطريق الى السلام بالأمر السهل أو الهين ، وانما جاء نتيجة جهــد وصبر أمام رواسب وتراكمات كان مجرد زحزحتها أمرا أقرب الى الخيال والوهم ، ولكن بالايمان بالله وبالثقــة بالشعب نجح السادات فى أن يتوصل الى ما لم يستطع غيره على مدى ثلاثين عاما أن يتوصل اليه أو حتى يقترب منه ٠

لقــد توصل الرئيس السادات الى معاهــدة تشكل أساسا عمليا للسلام لا بين مصر واسرائيل فحسب ، بل بين اسرائيل وكل من جيرانها العرب الآخرين ، كما ترسى قواعد قانونية يمكن الاستفادة منها فى أية اتفـــاقات بين اسرائيل وأى من دول المواجهـــة العربية

الأخرى ، كما يمكن أن تكون حـدا أدنى يستطيع كل من يتقدم للتوقيع على معاهـدة أخرى أن يبدأ منه ويضيف اليه ٠

ان قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وهـو القرار الذى قبلته جميع الدول العربية والأساس الذى اعتمدت عليه نصوص كامب ديفيد ثم معاهـدة السلام ، قـد تحققت شرعيته وتأكدت قيمته نتيجة لابرام هـذه المعاهـدة ، وانتهى الخلاف الشهير حـول تفسير هـذا القرار الأشهر وهـل يعنى الجلاء عن (الأراضى المحتلة) وفقا للتفسير العربى والدولى أم عن (أراض محتلة) وفقا للتفسير الاسرائيلى ، وقد توصلت مصر بهـذه المعاهـدة الى أن هـذا القرار يعنى الجلاء عن كل الأراضى المحتلة وهـو المعنى الذى قبلته اسرائيل فى النهاية بعـد أن كانت ترفض مجرد الاعتراف بحـدود محـددة لها ٠

ثم ان مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأراضى عن طريق الحرب ، وهو مبدأ بدأ تطبيقه على سيناء،هو المبدأ الذى سوف ينطبق على كافة الأراضى العربية المحتلة وفى مقدمتها القـدس العربية التى هى جزء من الضفة الغربية ، والتى صنع منها الرافضون فى (حلف بغـداد) الجـديد (قميص عثمان) آخر ، ومصر مستعدة لأن تأخـذ دور الشريك الكامل فى أية مفاوضات قادمة بين اسرائيل وأى من دول المواجهـة العربية الأخرى ، ومستعدة لمساعدة جميع هـذه الدول فى سـبيل تحقيق الانسحاب الكامل من كافة الاراضى العربية المحتلة بما فيهـا القـدس العربية ،فضلا عن تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى فى اقامة دولته العربية المستقلة ٠

ان عـودة سـيناء بموجب هـذه المعاهـدة تشـكل مصلحـة استراتيجية عسكرية وسياسية واقتصادية لمصر والعرب ، ولن يؤدى استمرار احتلالها الى حـل قضية فلسطين ، ان تحرير سيناء هـو تحرير لأرض عربية ، ورفع العلم المصرى عليها هـو انتصار للقضية

العـــربية ، ثم ان مصر لا تكسب من وراء رهن ســـيناء فى أيدى اسرائيل ، بل ان عـودتها سوف تشكل اسهاما فى حـل مشــاكل الاسكان والغــذاء عندها ، كما أن تعميرها المرتقب سوف يمثل تحــديا حضاريا بل ومصيريا لأن عزلة سيناء عن الوادى على مر التاريخ جعلتها دائما مكمن الخطر ومعبر التتر ، فضلا عن أن عـودتها بالكامل وحتى حــدود مصر الدولية بجميع منشآتها ومستوطناتها ومطاراتها وطرقها سليمة سوف تشكل سابقة يمكن الاعتماد عليها فى أية اتفاقات جديدة بين اسرائيل وأى من دول المواجهة العربية الأخرى وفى مقــدمتها ســـوريا ٠

يقول الفريق أول كمال حسن وزير الدفاع « ان معاهدة السلام تشكل اضافة طيبة للقــدرة العسكرية المصرية بعــد أن وفرت الكثير من الدماء والعتاد الذى كان من الممكن أن يهــدر فى حالة تحرير بقية سيناء بالقوة العسكرية ، بالاضافة الى أن المعاهدة ستعطى لمصر فرصة أفضل لاختيار المواقع المناسبة للدفاع عن نفسها وعن أشقائها ، كما ستعطيها الفرصة لالتقاط الأنفاس واعادة بناء قواتها المسلحة على أحــدث أسلوب عصرى » ٠

لقــد كان احتلال سيناء يخيم بظله على الجانب النفسى لحياة كل مواطن حر غيور ملتزم بالذود عن كرامة مصر وشرفها ، ويمتــد بشبحه على جهدنا الوطنى والقــومى لأنه يهدد أمننا واستقرارنا ويؤثر على تنميتنا وتقــدمنا ، وهــو الذى فرض على مصر ما قبل أكتوبر قبول ارتباطات دولية غير متوازنة ما كان لمصر أن تقبلها فى ظروف النصر الذى يأتى بالسلام ٠

اما عن عـودة الجــولان بدون حرب فانها تتوقف على رغبــة أصحابها فى الســـلام ، ولقــد عبر موشى ديان وزير الخارجيـــة الاسرائيلية عن هــذا الاتجاه عندما أعلن أن اسرائيل سوف تتخلى

عن الجـولان من أجـل التوصل الى سلام مـع سوريا ، وأن السيادة المصرية على سيناء والسيادة السورية على الجـولان معترف بهما دوليا ولم تكونا أبدا موضع نزاع ٠

ثم ان انفراج أزمة لبنان يكمن فى اطار ما أنجزته مصر من اتفاقات تؤدى الى حـل المشكلة الفلسطينية من جميع جـوانبها ، والى اقامة الدولة الفلسطينية لكل الفلسطينيين فى الضفة والقطاع وفى الشـتات ٠

ان مصر وهى تناضل فى سبيل تحرير الأراضى العربية المحتلة وانتزاع الحقوق الفلسطينية المغتصبة عن طريق المفاوضات تدفع لبنان بالتبعية الى وضع نهاية لحمام الدم فيه ، كما تدفع اسرائيل بالتبعية كذلك الى التخلى عن أحلامها التوسعية فى جنوب لبنان ، والى القبول أخيرا بما يريده كل العرب ٠٠ وهو سلامة لبنان ووحدة أراضيه ٠

ان معاهـدة السلام بين مصر واسرائيل تعطى للفلسطينيين بعـد الفترة الانتقالية الموقوتة ـ فترة الحكم الذاتى الكامل ـ حـق تقرير مصيرهم وتأسيس دولتهم ، ولقـد أصبح على الفلسطينيين بعد ابرام هـذه المعاهـدة اما أن يسايروا ركب الرفض التائه والضارب فى متاهات الصحراء أو أن يمارسوا حقهم فى التفاوض لقيام الحكم الذاتى الكامل لفترة انتقالية موقوتة تمهيدا لتقرير مصيرهم ، ولتحويل نضالهم اللامعقول والمنطلق الآن من الفراغ والخـواء والتيه والضياع والمتجه بالمصالح الضيقة والمناورات الرخيصة الى المجهول بكل ظلامه الدامس الى نضال آخر عقلانى وملموس ومستند الى معاهدة مكتوبة ومضمونة وموقع عليها ومعترف بها ٠

ان نجاح المفاوضات الخاصة بالضفة الغربية وقطاع غزة يتوقف على ضرورة أن يتأكد الفلسطينيون من أنه سوف يكون فى وسعهم

مى لتقريب العاجل لتخـاذ الخطوة الاولى نحو تقرير مصيرهم واقامة دولتهم ، ثم ان التحقيق الكامل لمطالب الفلسطينيين قـد أصـبح الآن يتوقف بصورة أساسية على اتفـــاق رغبتهم فى التفـــاوض ، واستعادة سيناء نموذج عملى أمامهم لسلامة مبدأ الحوار المباشر •

لقد استطاع المفاوض المصرى بجهده المنفرد ، وبغير دعم عربى او فلسطينى ، وبرغم كل المناورات الاسرائيلية والمعوقات العربية ، ان يجعل اسرائيل توقع اتفاقا يعترف للشعب الفلسطينى بحقه فى الحكم الذاتى الكامل فى الضفة والقطاع لفترة انتقالية محـدودة يختار خلالها نظام الحكم الذى يرتضيه بنفسه ولنفسه ، ومع ذلك فان المفاوض المصرى يعترف بأن هـذا الذى توصل اليه مع اسرائيل والولايات المتحدة رغم أهميته لا يحـل جـوهر المشـكلة الفلسطينية وانما يضع أطرافها على أول الطريق الصحيح الذى يؤدى الى حلها ، واذا كانت مصر قـد حاربت نيابة عن العرب فانها لن تستطيع وحدها أن تقوم بحل نهائى للقضية ، ان الدولة الفلسطينية المنشودة ليست هـدية يمكن أن تحملها مصر فى علبة ملفوفة بالورق الملون والأشرطة المذهبة لتقـدمها للذين يرفضونها ، ولكن الدولة الفلسطينية هى نهاية لطريق مفروش بالكفاح يبدأ من داخـل الضفة والقطاع ومن خارجهما ، وطريق الألف ميل يبدأ بخطوة واحـدة كما تقول الحكمة الصينية ، ان تاريخ القضية الفلسطينية سجل من الفرص الضائعة ، وأسهل أنواع الكفاح أن يسرق القادة زمان شعوبهم فى الرفض والتسويف والماطلة ، ومن حـق أى عربى أن يسأل نفسه أيهما أشرف وأفضل : الكفاح فى أروقة الأمم المتحدة من أجـل استجداء قرار (يدين) المستوطنـات الاسرائيلية أم الكفاح من أجـل معاهـدة (تزيل) هذه المستوطنات ؟ كفاح عربى ينتهى بالادانة أم كفاح مصرى يبدأ بالازالة ؟ •

ولقـد أصبح على منظمة التحرير الفلسطينية أن تعلن قبولها لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ مع وضع التحفظات التى تريدها ، أو أن

تتجاوب مع الجهود الدولية المبذولة الآن لبحث امكانية تعـديل القرار أو تغييره بقرار آخر يعالج تحفظاتها وملاحظاتها ، وذلك اذا كانت المنظمة حقا تريد أن تشترك فى التفاوض ممثلة لكل الشعب الفلسطينى فى الضفة والقطاع وخارجهما بعـد أن أعطتها معاهـدة السلام هـذه الفرصـة الحقيقية •

ولقـد ارتفعت أصوات عاقلة كثيرة فى اسرائيل ترى وجـوب التعامل مـع منظمة التحرير الفلسطينية لتثبيت السلام فى الشرق الأوسط ، وتعترف بأنه لن يكون هناك حسم للقضية بدون موافقـة المنظمة ، وتدعـو الحكومة الاسرائيلية الى ادراك هـذه الحقيقة وعدم اغفالها ، وتنصح بفتح الحـوار معها بدلا من الاكتفاء بالحـديث عنها ، وتؤكد أن التعامل بين اسرائيل والمنظمة بصورة مباشرة هـو أقصر طريق لاحلال هـذا السلام المنشود •

يقول موشى ديان وزير الخارجية الاسرائيلية أن اسرائيل لن تسـتطيع تجاهل منظمة التحـرير الفلسطينية عندما يحين موعـد المحادثات حـول المشكلة الفلسطينية فى اطار عملية التسوية الشاملة التى تأتى بعـد توقيع معاهـدة السلام بين مصر واسرائيل ، وأن المنظمة ليست دولة ولكننا لن نقـدر على تجاهل موقفها أو قيمتها فى معطيات النزاع القائم اذا أردنا التوصل الى اتفاق ، وأنها منظمـة مدنية يرتبـط وجـودها باستمرار وجـود مشـكلة اللاجئين الفلسطينيين •

ولقـد أضاعت منظمة التحرير الفلسطينية ، فى مجال الاعتراف بها ودون أن يطلب منها الاعتراف باسرائيل ، فرصة تاريخية نادرة عندما رفض قادتها دعـوة الرئيس السادات لحضور اجتماع القـاهرة التحضيرى ليجلسوا على قـدم المساواة والى نفس المـائدة التى يجلس اليهـا ممثلو الولايات المتحدة وممثلواسرائيل وتحت علمها الذى أشار الرئيس السادات برفعه على مقر المؤتمر الى جانب علميهما •

وكما أنه لا يمكن تجاهل منظمة التحرير الفلسطينية والشعب الفلسطيني الذى يعيش فى الشتات فان منظمة التحرير الفلسطينية لن تستطيع على المدى الطويل أن تتجاهل رغبة سكان الضفة الغربية وقطاع غزة فى أن يتدبروا شئونهم ويشكلوا مستقبلهم بأنفسهم ٠

ان تهـديدات العناصر المتطرفة فى منظمة التحرير الفلسطينية للفلسطينيين الذين يعيشون فى الضفة والقطاع ، والذين يرغبون فى السلام أكثر من أى شـعب آخر ، والذين يريدون التفاوض لقيـام الحكم الذاتى الكامل لفترة انتقالية موقوتة تمهيدا لتقرير مصيرهم ، بالاشتراك مع تهـديدات دول الرفض العربية بعزل مصر ومقاطعتها وفرض العقوبات عليها ، لن تؤدى بالتأكيد الى تحقيق آمال الشـعب الفلسطيني المنكود ببعض أبنائه وتجاره ٠

كما أن منظمـــة التحرير الفلسطينية يجب ألا تتجاهل هـــذه النداءات العالمية التى تنصح للفلسطينيين الذين يعيشون فى الضفة والقطاع بأن يضعوا أهـدافهم من خلال تمثيل جـديد وايجابى يدفع العالم كله الى قبول مطالبهم باعتبارها مطالب شـعب متشوق بصورة حقيقية للسلام وليست مطالب فلسطينيين معروفين لدى البعض بأنهم جماعات ارهابية وسلبية تتجر بالقضية وتقـدم الخـدمات لمن يدفع الأكثر حتى ولو كان الشيطان ، وحتى ليقال أن معظم القادة العرب من الرافضين على حـق لأنهم ــ مثـل اسرائيل ــ يتخوفون من فكرة اقامة كيان فلسطيني يسانده الاتحاد السوفيتى فى المنطقة العربية ٠

ان على منظمة التحرير الفلسطينية الا تتصور التحرير فى صورة الثأر الذى لا يستوجب الحـذر ، او فى صورة الحرب التى لا تبقى ولا تذر ، ان على منظمة التحرير الفلسطينية أن تتوصل الى طرح خط سياسى معقول ومقنع تحقق به أهـدافها على مراحل بنفس الطريقة التى حققت بها الحركة الصهيونية أهـدافها وليس عيبا أن تتعلم من

اعـدائها ، وأن ترعى الله فى هـؤلاء اللاجئين الذين يتكاثرون فى المخيمات وفى هـؤلاء الضحايا الذين يفنون شبابهم وعمرهم فى سـجون اسرائيل •

ان المؤتمر الأمريكى الفلسطينى الجـديد ، وهـو منظمة تجمع المنظمات المفتتة للأمريكيين والكنديين من أصـل فلسطينى ، يمكن أن يكون على سبيل المثال بداية تطـور الى قـوة ضغط سياسية مثلما كان الحال للجنة العلاقات العامة الأمريكية الاسرائيلية التى تعرف فى الولايات المتحدة باللوبى اليهودى ، ويبدو أن اختيار منظمى هذا المؤتمر لفندق بلتيمور فى نيويورك لاجتماعهم الأول يمثل تصرفا مماثلا لما فعله اللوبى اليهودى الذى أعلن فى مثل هـذا الاجتماع ومن نفس هـذا الفندق تأييده لاقامة الدولة اليهودية ، وكان هـذا فى عـام ١٩٤٢ •

ان القاء قنبلة هنا أو هناك لن يترك أثرا ايجابيا فى عقـل الشارع الاسرائيلى ولن يحـدث تأثيرا فعالا فى حـل القضـــية الفلسطينية ، ان القاء قنبلة هنا أو هناك لن يحقق توازنا بين الوسائل والأهـداف ، ان وسائل أخرى غير هـذا (العنف الضعيف) كان من الممكن أن تدفع الاسرائيليين الى ادراك مدى قـوة عزيمة الفلسطينيين ومدى قـوة قيادتهم وتنظيمهم ، خصوصا وأن عشرات الآلاف من الفلسطينيين يجرى استخدامهم فى مجالات بناء الاقتصاد الاسرائيلى كأيد عاملة رخيصة ، بل ان معظم المستوطنات الاسرائيلية فى الضفة والقطاع قـد تم بناؤها بواسطة الفلسطينيين ، بينما يلقى اخـوانهم فى منظمة التحرير الفلسطينية بقنابل ورصاصات تكاد تكون فارغة •

لقـد دعا المعلق الأمريكى ستيفن روزينفيلد فى مقال نشرته صحيفة واشنطن بوست الأمريكية منظمة التحرير الفلسطينية الى المبادرة باعلان وقف لطلاق النـار مـــع اسرائيل لفترة محـدودة يستطيع

الرئيس الأمريكى والولايات المتحدة خلالها أن يمارس الضغط على اسرائيل لكى تستجيب بصورة ايجابية للأمانى الفلسطينية ، وهـو ما يؤدى الى حصول المنظمة فى نفس الوقت على الاعتراف السياسى الامريكى الذى تسعى اليه ، وقال روزينفياد أنه حتى اذا فشلت هـذه المبادرة فى تحقيق ثمارها خلال فترة معقولة فانها ستمكن المنظمة على الأقـل من أن تزعم أنها اختبرت الطريقة الأمريكية وسيكون العبء بعـد ذلك على الولايات المتحدة لمتابعة سياستها ، وأكد روزينفيلد أن الكثير من الأمريكيين يحترمون رغبـة الفلسطينيين فى اقامة دولة خاصة بهم ومع ذلك فان هـؤلاء الأمريكيين تضايقهم أعمال العنف التى تمارسها المنظمة وخاصة تلك الأعمال التى توجـه معظمها الى المدنيين وهـو ما يضاعف صعوبة اقناع الاسرائيليين بأنه ينبغى عليهم أن يتوصلوا الى تفاهم مع القومية الفلسطينية ، وأشار روزينفيلد الى أن شيئا هاما قـد حـدث فى الرأى العام الأمريكى لم يلحظه الفلسطينيون بصورة كاملة وهـو أن مطامحهم القومية قـد حظت باعتراف الولايات المتحدة ، غير أن المنظمة ما زالت غير قادرة بأسلوبها الحالى على احراز تقـدم للحصول على ما تقـول المنظمة أنها تريده وهـو الاعتراف السياسى حيث تحول العنف بالنسبة للمنظمة الى هزيمـة ذاتيـة ، وتساءل روزينفيلد عن الاساس المنطقى لممارسة المنظمة للعنف فى هذه المرحلة الجديدة فى الشرق الاوسط ، ان العنف (عسكريا) ذو تأثير تافه ، فكيف نقول أنه (سياسيا) سوف يساعد الفلسطينيين ، واذا كان العنف يساعد على جعل المسألة الفلسطينية (ساخنة فقط وبدون حل)فان معنىذلك أنينتصر الشعارعلى الاستراتيجية ،وأكد روزينفيلد أن الاسرائيليين سوف يتعرضون لضغوط ضخمة وأن وقفا لاطلاق النار لفترة معقولة سوف يساعد على وضع النفوذ الأمريكى وراء أهـداف منظمة التحرير الفلسطينية •

وتؤكد صحيفة واشنطن بوست الأمريكية فى تعليق آخر لهـا أن الرئيس الأمريكى مقتنع بعـدالة القضية الفلسطينية ، وهـو مصر

على بذل الجهد المخلص لحلها ، وهو مؤمن بأن المصالح الأمريكية تتطلب السعى الى هذا الحل ، وأنه سوف يحاول كسب ثقة الفلسطينيين ، وسوف يسعى لتحقيق تسوية سلمية لمشكلتهم بفضل الثقة التى اكتسبها لدى أطراف أخرى ، وأنه قد انتهج لحل هذه المشكلة منهجا عمليا اتسم بالطابع الاخلاقى ، وانه قد اتجه بذلك الى حيث يرغب معظم الأمريكيين •

ويقول الفريد أثرتون السفير الأمريكى المتجول فى الشرق الأوسط ، والذى أصبح سفيرا لبلاده فى مصر مؤخرا ، أن معاهدة السلام بين مصر واسرائيل تهيىء الفرصة للولايات المتحدة للتركيز على السعى لتسوية المشكلة الفلسطينية لأن الاستقرار فى منطقة الشرق الاوسط أمر مستحيل بدون تسوية هذه المشكلة التى تعتبر محور النزاع العربى الاسرائيلى ، وأن الولايات المتحدة مصممة على أن تجعل من هذه المعاهدة الأساس لسلام أكبر وأشمل ، ولن تدعها تتحول الى سلام منفرد •

ويقول هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط أن الفلسطينيين لهم كل الحق فى تقرير مصيرهم ، وأن الولايات المتحدة مصممة على جدية المفاوضات الخاصة بالقضية الفلسطينية ، وأن هذه المفاوضات ينبغى أن تؤدى الى نتائج تحترم المطالب العادلة والحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى •

ان حقوق الفلسطينيين وقد أصبحت محددة المعالم فى عقل الولايات المتحدة وعينها توضح مدى افتقار الرافضين للسلام للجدية فى مواقفهم وهم الذين كانوا فى يوم من الأيام يعتبرون أن وصول التصور الأمريكى للحقوق الفلسطينية الى ما وصل اليه الآن هو مجرد افتراض بعيد المنال ، ولكن أيا كانت الدوافع وراء هذه المواقف التى تعبث بالمصالح الفلسطينية خاصة والعربية عامة فيكفى مصر فخرا أنها لم تترك نفسها تنزلق الى منحدر الذين يفتقدون مجرد الصدق مع

انفسهم ، ومن ثم يبقى الموقف المصرى وحده حائلا دون انزلاق المصالح الفلسطينية والعربية المصيرية الى الهاوية التى وصلوا اليها ٠

ان مصر عندما حققت هذا التصور الامريكى للحقوق الفلسطينية لم تخن قضيتها ولم تبع عروبتها ولم تقع ، ردا على أحسن الشتائم والبذاءات ، تحت ضغط الولايات المتحدة ٠

ويثور سؤال : كيف تمارس الولايات المتحدة ضغطا على مصر من أجل اجبار اسرائيل على الجلاء عن الأراضى العربية المحتلة ومن أجل دفعها الى الاعتراف بالحقوق الفلسطينية المغتصبة ؟ كيف تمارس الولايات المتحدة ضغطا على مصر ومناحم بيجين يشتم الأمريكيين (خصوم المستوطنات) ويشجب (الطريق الشرير الذى يسلكه أعداء شعبه) ويقول فى بيان يوزعه على الصحفيين بالعبرية والانجليزية (انهم بالتأكيد أعداء السامية) ؟ كيف تمارس الولايات المتحدة ضغطا على مصر بعد أن أصبحت سياسة الولايات المتحدة انعكاسا لموقف مصر ؟ ! ؟ ! ٠

ان الولايات المتحدة لم تمارس أى ضغط على مصر لسبب بسيط هو أن موقف (مصر أكتوبر) كان موقف (القوة والحق) الذى لم يكن ليقبل أى ضغط ، بل على العكس فان مصر فى الحقيقة هى التى مارست الضغط على الولايات المتحدة بكل ما ملكته ولا تزال تملكه من قوى سياسية وديبلوماسية الشىء الذى استطاعت به تطويع الولايات المتحدة وتحييدها ، والأمر الذى تطور الى قدرة مصر على جعل الولايات المتحدة تقف مع وجهة النظر المصرية فى كل ما أبدته مصر من آراء وملاحظات خلال المفاوضات ، بل ان مصر لم تخف هدفها الذى أصرت عليه وهو أن تكون الولايات المتحدة شريكا كاملا فى مفاوضات السلام ادراكا منها للمسئولية (الخاصة) التى تتحملها

للولايات المتحدة تجاه السلام فى هـذه المنطقة واستنادا الى ايمانها بأن الولايات المتحدة هى صاحبة الوزن الاكبر فى الضغط على اسرائيل وبانهـا هى التى تملك وحـدها معظم أوراق اللعبـة ، وأن تجعـل الولايات المتحدة تؤكد بين الحين والحين أهمية استمرار قيامها بهـذا الدور شكلا وموضوعا فى كافـة مراحل المفاوضات المقبلة ، ولعله من الملاحظ بعـد ضغط مصر المتواصل من أجـل قيام الولايات المتحدة بدور الشريك الكامل فى مفاوضات السلام أن أحـدا فى الولايات المتحدة لم يعترض على هـذا الموقف ، ولم تعلن المعارضة فيها من قريب أو من بعيد رفضها لهـذا الاشتراك •

ان قبول الولايات المتحدة لدور الشريك الكامل فى مفاوضات السلام ـ يا عرب ـ ينبع من رغبتها فى اشاعة الأمن والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط حتى تستطيع هـذه المنطقة المضطربة أن تدعم قـدرتها على مواجهة الأخطار الشيوعية التى تحـدق بها والتى تستغل أزمتها فى التسلل اليها وهـو هـدف مشروع ومشترك بين العرب والولايات المتحدة ، فضلا عن رغبتها فى تفادى وقـوع حرب عربية اسرائيلية خامسة يحظر فيها البترول عنها وعن حليفاتها كما حـدث فى حرب أكتوبر ، أو على الأقـل فى تفادى وقـوعها تحت ضغط عربى بترولى فى مجال تحـديد كمياته أو فى مجال رفع أسعاره •

ثم ان مصر بعـد سلامها مع اسرائيل لن تطلب ثمنا لهذا السلام من الولايات المتحدة لأن السلام هـدف مشترك بينهما ، ولأن مصر لا تفرق بين السياسة والأخلاق •• فالسلام ذو قيمة عالية وهـو أثمن من أن يكون هـدفا للمساومة •

كما أن مصر بعـد سلامها مـع اسرائيل لن يكون فى عنقها أى التزام أو دين أو حـق تجاه الولايات المتحدة غير التزامها الطبيعى مـع كل دول العالم المحبة للسلام بالمحافظة على سلام وأمن واستقرار المنطقة

وابعادها عن ساحات الصراع والاستقطاب الدولى والمحافظة على استقلالها وحيادها وعـدم انحيازها ، ولن تكون مصر فى يوم من الأيام أداة دفاع عن سياسة الولايات المتحدة أو شرطى حراسة على مصالحها ، ولن تقبل مصر أن تلعب الولايات المتحدة دور الشرطى فى المنطقة العربية ولن نلعب لهـا هـذا الدور فنحن من عالم عـدم الانحياز ولا نؤمن بمـا يسمى بنظرية الفراغ الذى تستطيع دول المنطقة أن تتولى ملأه ان وجـد ، ولم تطلب مصر تحالفا مـع الولايات المتحدة ولن تطلب ولم تطالبها الولايات المتحدة بتحالف معها ولن تطلب ، ولن تدخل مصر فى أى حلف مع أى دولة سواء الولايات المتحدة أو غيرها لأنها لا تحتاج الى مثل هـذا التحالف ولا تتحالف الا مـع الدول العربية ، ولن تقبل مصر بتكوين حلف أو محور فى المنطقة العربية لأنها ضـد هـذا النوع من الاستقطاب الذى يولد التوتر والقلق ولأنها تتمسك بفلسفة وسياسة عـدم الانحياز ، ولن تلتزم مصر الا بالتزامها الوحيد وهـو اتفاقية الدفاع العربى المشترك ولن تكون هناك أية أولويات أو أفضليات على التزامات مصر العربية ، ولن يكون فى مصر قواعـد عسكرية أجنبية أو محطات انذار أو تجسس أو حتى قواعد لتدريب العسكريين المصريين فسيكون التدريب خارج مصر وفى الدول التى تبيعها السلاح ، ولن تكون الولايات المتحدة هى المورد الوحيد للسلاح بعـد قرار مصر تنويع مصادر السلاح حتى تستطيع تصنيع كل سلاحها ورغم اعلان الولايات المتحدة عن استعدادها لأن تصبح المورد الرئيسى للسلاح الى مصر ، بل ان مصر ستحصل على السلاح من الولايات المتحدة شأنها شأن أى دولة أوروبية أو غير أوروبية تتعاقـد معها مصر على شراء السلاح ، ولن تكون العلاقة بين مصر والولايات المتحدة الا علاقة صداقة وتعاون مشترك قائم على اعتراف الولايات المتحدة باستقلال وحياد وعـدم انحياز مصر وبأهمية مركزها الاستراتيجى فى منطقة الشرق الأوسط وبأهمية دورها بالنسبة لسلام وأمن واستقرار المنطقة فى اطار اتفاقية الدفاع العربى المشترك .

وعليه فان الاتفـــاق لا يتضمن أى اتفاقات سرية مرفقـــة أو منفصلة عن المعاهدة ، فلم يكن من المنطقى ولم يكن من المعقول أن تنهى مصر تواجـدا عسكريا اسرائيليا لتوافق على أى نوع من أنواع التواجـد العسكرى الأمريكى ، بل ان مصر قـد رفضت قبول تعهدات والتزامات عرضت عليها من جانب الولايات المتحدة مماثلة لتعهداتهـا والتزاماتها التى عرضـتها اسرائيل وقبلتهـا ، وكان رفضـها قـد أعلنه الرئيس السادات فى مؤتمر صحفى قبل التوقيع على معاهـدة السلام وقبل أن تعلن وزارة الخارجية الأمريكية عما أسمته باتفـاق تفاهم بين الولايات المتحدة واسرائيل ، كما رفضها مبنيا على عـدم قبولها لأى نوع من أنواع التحالفات فى المنطقة ، ولأنها تعتمد على نفسها ولا تقبل الا بتحالفها الطبيعى الوحيد مـع عالمها العربى .

ولقـد رفضت مصر هذا الاتفاق الأمريكى الاسرائيلى الذى ارتبط بمعاهـدة السلام بين مصر واسرائيل رفضا قاطعا حتى لا يبدو السلام فى المنطقـة سـببا فى تقنين تفـاهم مسـبق بين الولايات المتحـدة واسرائيل كنتيجة وشرط لتوقيع اسرائيل على معاهـدة السلام ، وحتى لا يأخـذ دور الولايات المتحدة مفهوما جـديدا مشوها أو يمثل ابتعادا عن فهمنـا أو فهم الآخرين لدورها كشريك كامل وليس كحـكم لـدعم ادعاءات محتملة لطرف ضـد طرف آخر بخرق المعاهـدة أو التهديد بخرقها ممـا يثير الشكوك فى نوايا الولايات المتحدة الحقيقية واحتمال استخدامها لاسرائيل فى خلق ظروف تؤدى الى تواجـد عسكرى أمريكى على أرض اسرائيل فى المستقبل ، ولأن مثل هـذا الاتفاق بين الولايات المتحدة واسرائيل قـد يمثل واقعا شرعيا لحقوق وامتيازات وواجبات والتزامات تعتبر مصدر قلق لمصر قـد يؤثر على موقفها بالنسبة لتطبيق المعاهـدة وقـد يسهم فى ضرب علاقات الصداقة المصرية الأمريكية المتزايدة ، وقـد يمثل تحالفا محتملا بين الولايات المتحدة واسرائيل ضـد مصر قـد يمهد بالضرورة الى ظهـور تحالف مضاد له بصورة تقـود الى زيادة التوتر وتؤثر على عملية السلام فى

المنطقة ، ولكى لا يخضع مستقبل العلاقات المصرية الأمريكية لتأثير طرف ثالث لديه تعهدات مسبقة باجراءات رادعة تتخذ ضد مصر فى حالة افتراضية يترك تحديدها بدرجة كبيرة لاسرائيل .

ان رفض مصر قبول تعهدات والتزامات من جانب الولايات المتحدة مماثلة لتعهداتها والتزاماتها التى عرضتها على أسرائيل وقبلتها يؤكد مرة أخرى أن مصر لا تقبل أن تقبض ثمنا للسلام ، ولا تقبل ان يدافع عنها أحد ، أو أن تقوم على أراضيها قواعد عسكرية أجنبية بفرض حمايتها فى حالة وقوع عدوان عليها أو فى حالة خرق معاهدة السلام أو التهديد بخرقها ، وذلك لأن (مصر أكتوبر) تقدس أرضها وتحترم سيادتها ، وهى فى كل مراحل المفاوضات كانت لا تحيد عن (الأرض والسيادة) .

لقد اشترطت مصر أكتوبر دائما ، تمسكا منها بسياسة عدم الانحياز ، أن تكون قوات حفظ السلام بالمنطقة تحت اشراف الأمم المتحدة ، والا تكون من بين قوات الأمم المتحدة فصائل لاحدى الدول الخمسة الكبرى الدائمة العضوية فى مجلس الأمن ، وذلك ضمانا لعدم السماح لأى دولة عظمى بأى حجم للتواجد على أرض مصر التى كان لها شرف المبادرة فى اقامة حركة عدم الانحياز .

ان سياسة مصر أكتوبر كانت دائما وسوف تظل نابعة من ثقتها بنفسها وقدرتها على أن تقول (لا) لكل ما لا ترضى عنه أو تقبل به .

يقول الرئيس السادات « ان شعب مصر أكتوبر لم يركع ولن يركع لغير الله ، والراكعون لا يرفعون الاعلام ولا يتصدرون المواكب ولا يقتحمون الأخطار ، ولن تكون مصر أبدا الا كما أراد الله لها أن تكون ، لن تكون الا العلم المرتفع والا الموكب للقائد والا القرار الشجاع » .

ثم ان مصر كذلك لم تول ظهرها للعرب عامة كما يردد الرافضون ، ولم تتخل عن الفلسطينيين خاصة كما يرجف المضللون ، أن مصر ، رغم ما يقال ويكال ، لتشعر نحو الفلسطينيين بمشاعر الأم الرؤوم التى تتحمل وتقاسى من أجل أبنائها ٠٠ بل ومنهم أيضا ، فالأبناء أحيانا ما يثورون على أمهم وأحيانا ما يجرحون أمومتها وأحيانا ما يسخرون من أفكارها ، وهى تدرك أن فورة الابناء قدر مكتوب ، وأن سعة صدرها ورجاحة عقلها أمر مطلوب ، فتعفو عنهم ، وتتلمس العذر تلو العذر لهم ، وتؤثرهم على نفسها ولو كان بها خصاصة ، وتدافع عنهم بروح الأم التى قدر لها أن تشقى لأبنائها ٠٠ وبهم أيضا ٠

ان مصر لن تتخلى عن الفلسطينيين كما لم تتخل عنهم من قبل ، وملف الصراع العربى الاسرائيلى خير شاهد على ما قدمه شعب مصر المعطاء فى ميادين التضحية والفداء ، لقد ضحى شعب مصر بزينة الحياة الدنيا وقدم المال والبنين دون أن ينتظر من أمته العربية جزاء ولا شكورا ٠

ان مصر لو أرادت صلحا منفردا لما احتاج الأمر الى زيارة القدس ولما كان هناك داع لحرب أكتوبر ، والعالم كله يعلم كم تمنت اسرائيل تلميحا أو اشارة من مصر بصلح منفرد يعيد لها سيناء ويخرجها من حلبة الصراع حتى تستطيع اسرائيل أن تنفرد ببقية العرب ، ان هدف مصر الأساسى منذ ثلاثين عاما هو حل المشكلة الفلسطينية التى من أجلها خاضت أربع حروب وقدمت على مذبحها من دم أبنائها واقتطعت من قوت شعبها عشرات الآلاف من الضحايا وآلاف الملايين من الجنيهات ، ان الذين عايروها بمعاناتها من أجلهم سوف يدركون ويقرون ان عاجلا أو آجلا أنها ضحت بالنفس والنفيس من اجل مشكلة فلسطين ، ثم من أجل أن تمنع اسرائيل من أن تمتد بمستوطناتها وادعاءاتها وتحت شعار الأمر الواقع كى تبتلع الضفة الغربية وقطاع غزة ، وفى المقارنة الحقيقية بين ما فعلته مصر وما فعله

الآخرون ليس هناك من يستطيع أن ينكر أن مصر هى البلـد العربى الوحيد من كل دول المواجهة الذى لم يرتفع سلاحه فى وجـه اى فلسطينى ، والذى لم يلطخ يد أبنائه بدماء أبناء فلسطين لا فى (أيلول الأسـود) ولا فى (تل الزعتر) ، وكل العالم الذى تابع مفاوضات السلام بين مصر واسرائيل يعرف أن هـذه المفاوضات فى كل مراحلها كادت تتحطم وتتكسر على صخرة حرص مصر الشديد على حقوق شعب فلسطين ، بل ان أكبر العقبات التى كادت تهـدد بنسف مفاوضات السلام كان فى اصرار مصر على ضرورة ربط سيناء بالضفة والقطاع ، ولقـد كانت مصر - أقـوى وأكبر وأهم دولة عربية - تجلس الى مائدة المفاوضات مع اسرائيل والولايات المتحدة وظهرها مستند الى نصر أكتوبر العظيم ، ومع ذلك فان مصر المتواضعة قـد اعلنت المرة تلو المرة أن من يرفض هـذا الحل فليتقدم ليأتى ببديل له أو بما هـو أفضل منه وهى مستعدة لأن تسير وراءه ، بل ، وعلى حـد قـول السيد حسنى مبارك « فسوف نصفق له ونحمله على الأعنـاق » ٠

ان مصر بهـذه المعاهـدة لم تصادر حرية أشقائها العرب ، ولم تضع حـدا لكفاحهم ونضالهم وبالاسلوب الذى يرونه محققا لاهدافهم وآمالهم ، ولديهم المـال والبترول والسلاح وأمامهم اسرائيل لا نحجبها عنهم ولا نحميها منهم ولا نضن بها عليهم ، ومن حقهم أن يستخدموا كل سلاح ضـد اسرائيل ، ولكن الاخـوة العرب يبـدو أنهم تعـودوا على الكفاح والنضال بدماء أبناء مصر وبقـوت شـعب مصر وهـو الكفاح المبـاح والنضال المستباح فى سـوق الصراع بين العـرب واسرائيل ٠

ولأن بعض الاخـوة العرب الذين ادمنوا الاعتماد على الغير عاجزون عن اتخاذ خطوة ايجابية واحـدة فى سبيل حـل القضية ،

ولأن أسلحتهم أضعف من أن تطوق اسرائيل ، وأقصر من أن تطول اسرائيل ، وأصغر من أن تعاقب اسرائيل ، فليصبوا جام غضبهم على مصر ، وليحل العقاب على شعب مصر الذى دخل بالمنطقة العربية فى مرحلة السلام ، والذى خرج عن التضامن العربى فى حرب الكلام ، والذى يتقدم الخطوة تلو الخطوة ، والذى لا يزال يستثمر حرب اكتوبر ٠

ان شعب مصر الذى خرج عن بكرة أبيه ليستقبل رئيسه المنتخب بعد أن وقع على معاهدة السلام هو شعب عريق لا تحكمه العقد ، وهو شعب يملك القدرة على التمييز بين التفكير الحضارى المتقدم والتفكير القبلى المتخلف ، وان نتيجة الاستفتاء على هذه المعاهدة قد أكدت اصرار هذا الشعب على استكمال مسيرة السلام العادل والشامل بلا تردد ، ورغم كل الصعوبات والتحديات التى تواجهها هذه المسيرة الظافرة ٠

ان هذه المعاهدة التى جاءت ثمرة لحرب أكتوبر وتتويجا لمبادرة السلام هى خطوة للأمام لم تكن تقوى دولة أخرى غير مصر أن تقوم بها ، وسيسجل التاريخ على المتقاعسين والمتخلفين ما أهدروه فى حق شعوبهم وأمتهم اذا ما واصلوا حرب الكلام ولم يمارسوا دورهم فى حرب السلام ٠

لقد كان الأجدر بمؤتمر (العجز والحقد) الذى انعقد فى بغداد للتشهير بمصر أن يبحث الواجب القومى تجاه مصير الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطينى بدلا من استهداف مصر وحدها بتصرفات سلبية وشعارات ديماجوجية وأساليب لفظية وطنطنة فارغة ليس بامكانها خلق حقائق مفيدة ٠

يقول الرئيس السادات « ان أكثر ما يتمناه صقور اسرائيل ان تسود عقلية بغداد كل الأمة العربية ليبتلعوا ارضها ، ولو أن العقل

العربى امتثل لسلبية بغـداد فإن الحـق العربى مهدد بالضياع ، والمثال أمامنا واضح فقد بدأت اسرائيل بجزء من فلسطين وانتهت باحتلال سيناء والجـولان والضفة والقطاع والقـدس ، ومع ذلك فان احـدا لا يعتبر من دروس المـاضى » •

ان القـول بأن ما أصاب الأمة العربية بعـد مبادرة السلام المصرية هـو نتيجة لهـا يقلب النتيجة الى سبب ويحول السبب الى نتيجة ، ان تأصـيل الاحـداث واستقراء الاحـوال فى هـذه الامـة المبتلاة ببعض أنظمتها يكفى للتدليل على أن الديمقراطية هى المحنة الحقيقية للأمة العربية •

ان بقاء قضية فلسطين (ساخنة فقط وبدون حـل) يشـكل قطبا يستقطب اهتمامات الجماهير العربية ويغرسها حتى العيون والآذان فى بؤرة الشعور القـومى على نحـو يخسر فيه الفلسطينيون فلسطينهم ويكسب فيه بعض الحكام سلطانهم •

ان من أكبر أخطار اسرائيل أنها كانت ولا تزال السند الحقيقى لأنظمة الحكم البالية فى العالم العربى ، والتى تلجأ دائما لاستغلال اسرائيل والصهيونية كمصدر لتخويف شعوبها المطحونة والمحكومة بالحـديد والنار ، والتى تخشى السلام من شعوبها بقـدر أكبر من خشيتها الحرب مع عـدوها ، وتكون أنسب حـالة لاستمرار حكمهـا وطغيانها هى حالة متوازنة بين اللاسلم واللاحرب ، أو حالة تتأرجح على (حافة الهاوية) •

لقـد أكبر العالم شجاعة الرئيس السادات مرة واحـدة لمبادرته بزيارة القـدس الشريف من أجـل السلام المشرف ، ولكن الحقيقة أنها شجاعة مزدوجة لأنه فى نفس اللحظة التى واجـه الشعـب الاسرائيلى بالسلام واجـه الشعوب العربية بحكامها •

ان من المؤسف أن يبنى رؤساء بعض الدول العربية أمجادهم على مهاجمة رئيس مصر المنتخب لأنهم حاولوا أن يطاولوه فعجزت بهم سيقانهم وقصرت بهم نفوسهم وانقطعت بهم أنفاسهم بعد أن استطاع بنجاح لا يريدونه له أن يضع قرارات الأمم المتحدة وقرارات مؤتمر الرباط موضع التنفيذ الفعلى ٠

ان الزعامة هى قدوة وقدرة ، هى فعل مطبوع لا افتعال مصنوع ، هى وحى والهام وبصر وبصيرة وحس وصفاء وطهر ونقاء ، هى كرامة ونظافة وتضحية وايثار وانتماء وولاء وخلق وابداع ، هى بعد للنظرة وتحديد للهدف واغتنام للفرصة ومرونة فى الحركة وشجاعة فى الخطوة ، وهى قبل كل ذلك وبعده ارادة من الله فوق كل ارادة ٠

لقد صدقت صحيفة السياسة الكويتية عندما حذرت الشعوب العربية مؤخرا من المضللين والدجالين الذين يبحثون فى سراديب المشكلة الفلسطينية عن بطولات وزعامات وهمية لا منطق فيها ولا عقل ، وعندما ألمحت بأن الأموال العربية تهدر فى غير مكانها بلا أمانة ولا خلق ، وعندما تساءلت هل المطلوب هو الحرب مع اسرائيل حتى آخر جندى مصرى وآخر دولار نفطى ٠

كما صدقت صحيفة الايام السودانية عندما طالبت الحكام العرب بأن يبتعدوا عن التشنج وأن يدركوا أن عالم اليوم لم يعد فيه مكان للخطابة وأن الشعارات لم تعد تجتذب أحدا ولم تعد تنطلى على أحد ٠

ان أغصان الزيتون التى تلوح صغيرة فى الأفق لم تنبت بالخطب والسموم ، وانما هى غرس جنود بواسل ، وروتها دماء شهداء أبرار ٠

ان القضية الفلسطينية لن تحــل بنقل الجامعة العربية من القاهرة ، ولن تحــل بسحب السفراء العرب منها ، ولن تحــل بوقف الدعم العربى عنها ، كما أن محاولات بعض الاخــوة العرب تشويه صورة مصر فى جامعة الدول العربية وفى رابطة العالم الاسلامى وفى منظمة الوحــدة الأفريقية وفى منظمة التضامن الأفروآسيوى وفى حركة عــدم الانحياز هى هراء لا يقــول به الا كل حاقــد مافــون ، فمصر واحــدة بارزة من مؤسسى هــذه الحركات والمنظمات •

ان قرارات بغــداد التى أفرغوا فيها حقــدهم وعجزهم والتى انصبت كلها عــلى معاقبة مصر والتهجم عليهــا هى قرارات ســلبية وانهزامية أتخــذها المؤتمرون أو المتآمرون فى مواجهة شعوبهم وبهدف تضليلها والهائها باثارة حفيظتها على شــعب مصر لستر العجز عن العمل المثمر والمؤثر والتهرب من مسئولية الاقدام على اجراءات ايجابية وموضوعية لحل القضية •

لقــد كان أولى بهم واجــدى لهم وعلى سبيل المثال لا الحصر وبعضهم فى منظمة الأوبك والأوباك أن يستثمروا ـ سياسيا ـ انخفاض انتاج البترول الايرانى خلال الثورة الايرانية فى تقنين انتاجهم ارتفاعا أو انخفاضا بالطريقة التى تضمن مصالحهم ، بحيث يكون شرط زيادة الانتاج لتعويض نقص البترول الايرانى مقرونا بوعــد خاص بالقــدس العربية أو بحــق تقرير المصير للشــعب الفلسطينى المنكود مثلا ، بدلا من التركيز على استغلال الازمة الايرانية فى رفــع أسعار البترول وصب اللعنة على مصر فقط •

لقــد استغلت مصر أزمة ايران فى جــذب الولايات المتحدة الى صف الحــل الشامل والعادل بل والعاجل لمشكلة الشرق الأوسط تحسبا للأخطار الشيوعية التى تحــدق بالمنطقة ، واخــذت مصر من الولايات المتحدة اعترافا ضمنيا باهمية التضامن العربى بل والتضامن الاسلامى اللذين تريد دول الرفض لخراج مصر منهما •

ان القرارات الطائشة التى استهدفت عاصمة العروبة والاسلام فكرا وحركة ، وقاهرة الهجمات الصليبية فى حطين والمغولية فى عين جالوت والصهيونية فى سيناء ، لا يترتب عليها سوى ضرب الحركة العربية وتخريب المسيرة الاسلامية وهو خير ما يتمناه أعداء العرب والمسلمين ٠

ان سيادة الروح القبلية غير المتروية على مظاهرة الدول العربية والاسلامية التى جانبت الحق والعدل هى سلبية فى مقدمة الأسباب التى يتندر بها العالم المتحضر وغير المتحضر علينا ٠

لقد وصل حقد (قذاف ليبيا) وجنونه الى حد المطالبة باعادة النظر فى نصوص القرآن الكريم وحذف آياته التى ورد فيها اسم مصر ، كما وصل جموح (مسيلمة الجديد) وشططه الى حد المطالبة باعادة النظر فى مناسك الحج وقصرها على الطواف حول الكعبة ، وترك السعى بين الصفا والمروة على انه بدعة باطلة ، لأن أول من سعى بينهما هى سيدتنا هاجر أم سيدنا اسماعيل وقد كانت مصرية ٠

ان مكانة مصر لن يحرفها الحقد ، وان كرامتها لن يزيفها الحاقدون ، حتى ولو أفرغ البعض خزائن أرضه وأنفق ثروات نفطه وبدد أموال شعبه لمناطحة هذه الحقيقة لعلها تختفى من أمام ناظريه ٠

ان مكانة مصر وكرامتها قد علمنا اياها الحق تبارك وتعالى فى كتابنا الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولن قدر مصر وقدرها قد أنبأنا بهما نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم فى قوله لصحابته « اذا فتح الله عليكم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا ، واتخذوا من أهلها جندا ، فانهم خير أجناد الأرض ، وانهم فى رباط الى يوم القيامة » ٠

ان خطة (الشوشرة) التى دأب على وضعها وتصعيدها أولئك الناطقون بالفرقة والساعون الى تكريسها حتى تغطى بسوادها على كل حقيقة لامعة لن تثنى عزم مصر فى مسيرة السلام الشامل والعادل ولن تعـود بعقارب الساعة الى الوراء ٠

ان هذه الخطة اليائسة والبائسة التى اصطنعها العاجزون والحاقدون والذين سايروا زفـة العجز والحقـد ، والتى اعتمدت على مجرد معاقبة ومحاصرة مصر والتهجم عليها ، والتى اقتنعوا وقنعوا بها واستراحوا اليها ، لن تعفيهم من هـذا السؤال الكبير الذى يلاحقهم : وما الذى تستطيعونه بغير مصر وماذا تملكونه من بدائل ؟ ٠

ان من أغرب الغرائب أن يستدرج الاندفاع العرب الى المدى الذى لا يحسون فيه أنهم يوقعون العقاب على أنفسهم ، ثم ان من أعجب العجائب أنهم لو أحسوا بمـا هم مقدمون عليه أو ذاهبون اليـه فانهم يستمرئون الاندفاع حقـدا كالبركان ويتعجلون الانتحار غرقا فى الطـوفان ٠

ان قضية فلسطين لن تحـل بعبث البعث السورى بمصير الأمة العربية ومصير التضامن العربى ، لقـد استطاع الرئيس السادات أن يعيد لهم الجـولان ولكنهم لا يريدون أن يتسلموها ، لقـد جاء فى الوثائق أن الملك فيصل قال فى أحـد مؤتمرات القمة العربية « ان الجولان قد بيعت » ، وعندما حاول الرئيس السادات حفاظا على وحدة الصـف العربى فى المؤتمر أن يخفف ممـا قاله الملك فيصـل قاطعـه الملك قائلا « يا فخامة الرئيس ، اتركنى اقـل كلمة للتاريخ : لقـد باعـوا الجـولان » ٠

ويصرخ معلق عربى فى جريدة عربية بقوله للعرب « لا تصدقوا أن البعث السورى يريد استرداد هضبة الجـولان لانها تدر عليـه من

دول النفط العربى مليارا من الدولارات كل عام تحت دعوى الدعم العربى لدول المواجهة » •

ثم أن تختفى مخابرات البعث السورى فى عملياتها ضد أمن الشارع المصرى وراء اسم (منظمة نسور فلسطين) التى أنشأتها سوريا فى أعقاب مؤتمر بغداد لتنفيذ قراراته السرية هو محاولة رخيصة لاستفزاز شعور المصريين ضد اخوانهم الفلسطينيين بهدف فرقعة القضية الفلسطينية ، ولم تكن موظفة البريد المصرية التى قتلتها منظمة نسور فلسطين بطرد ناسف محسوس عقبة تحول دون تحرير فلسطين ، ان قضية فلسطين لن تحل بمثل هذه العمليات الفدائية (المليحة) التى يقوم بها نسور سوريا (الأشاوس) الذين كانوا يحلقون فخرا بانتصارهم الساحق والماحق الذى حققوه على أشلاء سيدة مصرية عربية هى أم لطفلين ذاقا طعم اليتم فى عام الطفولة ، ولا يزال صراخهما يدوى باللعنة على نسور سوريا ونسور فلسطين •

وبعث العراق يخرج من جحره بعد ثلاثين عاما من العزلة ليشغل نفسه بتعقب مصر فى المجتمعات الدولية وما من شىء يشغله من وراء هذه الهجمة السلبية التى يذكى نارها ويصعد أوارها غير استلاب دور مصر فى المنطقة العربية بعد أن زرع الاستعمار البريطانى منذ أمد بعيد فى فكره الشيزوفرينى وفى خياله النرجسى تصورا واهما بأن بغداد أولى من القاهرة ، وهو لم يزل على وفاء لدرس الاستعمار البريطانى القديم •• الذى لم يكن يقصد غير ضرب العرب بالعرب •

ان مصر هى قوة الدفع المؤثرة والرئيسية فى العالم العربى ، وهى التى تمثل الجهد الرائد والقائد الذى يعطى للأمة العربية وزنها وثقلها ، ولا يمكن لأى نشاط عسكرى او سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى أو ثقافى أن ينهض فى المنطقة العربية الا بوجود مصر •

ان محاولة حصار مصر وعزلها هى شىء ضد طبائع الأشياء ، وان الاصوات التى تنعق وتزعق بمعاقبة مصر واذلالها هى أصوات لها رنين العملة الزائفة ، وماهى جبهة الرفض المناهضة لسياسة مصر قد أخذت فى التفكك والتسيب بعد أن عجزت عن الاتفاق على الخطوة التالية ثم ما لبثت أن سيطرت عليها علامات الانزعاج •

تقول صحيفة الأوبزرفر البريطانية « ان جبهة الرفض المناوئة لسياسة الرئيس السادات كانت مهيأة للسقوط منذ البداية لعجزها عن وضع برنامج سياسى جدير بالثقة ، وهو الأمر الذى أكد حقيقة أن العرب بدون مصر لا يقدرون على وضع خطة فعالة بشأن الحرب ضد اسرائيل أو السلام معها ، وأنهم بغير مصر عاجزون عن طرح بديل موثوق به لاستعادة أراضيهم المغتصبة » •

ان معاهدة السلام لا تشكل تنصلا لمصر من مسئولياتها كما يدعى الرافضون المشغولون بسلوك العاجزين والحاقدين ، العاكفون على تلفيق الأخبار ثم التعليق عليها ، المستنزفون جهودهم فى الخلط بين الحل المنفرد والمسعى المنفرد ، المبددون أيامهم فى عقد اجتماعات ولقاءات ترسخ الخلافات العربية ، ولا توجه من أجل تصفية الجو العربى •

ان معاهدة السلام لا تمثل تملصا لمصر من تبعاتها كما تدعى جبهة الصغار والشجار ، بل على العكس هى تكريس لدور مصر الرائد والقائد فى عالمها العربى مهما حاول الصغار عبثا التطاول على شيمائها •

ان بعض الأنظمة العربية التى استهوتها زعامة العالم العربى ، والتى استحوذت عليها علة (الهروب الى الامام) ، تعارض أن يأتى السلام عن طريق مصر لأنها تنكر على مصر وضعها القيادى فى أمتها العربية •

ان مسيرة مصر الحضارية فى الحرب والسلام تسبب حساسية لبعض الحكام العرب الذين لا يمثلون الا أغراضهم الشخصية وأطماعهم الذاتية ، وان مشكلة هـؤلاء العرب تكمن فى أنهم لا يحاربون عسكريا ولا سلميا ، وكل ما يستطيعونه هـو أنهم يدورون حـول أنفسهم ثم يتهجمون على الذين يتحركون ويتقدمون ويحاربون الحرب الحقيقية ٠٠ بالسلاح وبالسلام ٠

ان الرئيس السادات ، منذ حرب أكتوبر ثم مبادرة السلام ، قـد بادر بصنع الأحـداث الجـديدة وخلق المواقف العظيمة فى الساحة العربية ، كما أثبت أن هناك دوما رجالا يصنعون التاريخ ويغيرونه ، بينما بعض القادة العرب يتقوقعون فى قوالب جامدة وباردة من الفكر السياسى المتخلف ويستنفدون جهودهم فى رد الفعل السلبى ازاء هـذه الأحـداث والمواقف ٠

ان الحرص فى السياسة الخارجية على التمسك بالأساليب التقليدية فى حـل المشاكل لا يؤدى الا الى الجمود واعطاء اسرائيل الفرصـة لتثبيت الأمر الواقع ، أما التغيير الى الأفضل فيكمن فى المرونة أمام الهـدف الثابت وليس فى اغـلاق عقولنا أمام قناعات مسبقة فى أذهاننا ، كما يكمن فى الاقدام والجرأة والشجاعة للاستفادة من كل ما تملك الدولة من قـــوى عسكرية واقتصادية وسياسية ودبلوماسية ٠

ان الحياة الصحيحة هى الحركة الدائبة والجادة التى لا تتوقف ، وهى الاستجابة المستمرة والواعية لكل المتغيرات التى تحيط بنا ، وهى الاقدام الجسور والمحسوب لتحـدى العقبات التى تصـادفنا فى طريقنـا ٠

لقـد كان من بين التجارب التى مرت بها مصر تجربة مؤتمر جنيف ، الذى كان الحـديث يتركز حـوله قبل قيام الرئيس السادات

بزيارته للتاريخية للقدس للشريف ، وشهدت هذه للفترة مناقشات مطولة تدور في حلقات مفرغة من أجل للوصول للى جنيف ، ولم تتحد كلمة المسئولين للعرب على رأى بينما للشهور تضيع وتسقط من حساب الأمة للعربية وللطرف الاسرائيلي سعيد بما يحدث على للجانب للعربى من مناقشات ومحاورات لا تمس جوهر المشكلة وانما تدور حول الاجراءات وللشكليات ، وكان من الممكن أن تضيع سنوات وسنوات لولا أن مصر خرجت على كل للتقاليد المتعارف عليها وقفزت على أسوار للزمن وفاجأ للرئيس للسادات اسرائيل وللعالم كله بزيارته للتى حركت الأحداث ودفعتها دفعا للى للنتائج للتى كانت اسرائيل تخشاها وتهرب منها ، فالمهم أن تتحرك عجلة للسلام وليس مهما بالمرة أن يتم ذلك في جنيف أو فى غيرها .

ان أعظم الانجازات فى للتاريخ للعربى كانت ثمرة امتلاك مصر لقرارها ورفض أى وصاية عليها ، ولقد كانت ارادة للشعب المصرى دائما هى للسلاح الأصيل وللبتار للذى حاربت به مصر ولا تزال تحارب كل معاركها الوطنية وللقومية ، وفى للظروف للتى يمر بها عالمنا للعربى فى للوقت للحاضر فان اصرار مصر على ممارسة سياستها بنفسها لا يستهدف مجرد الاصرار على حق طبيعى أو خط مبدئى فحسب ، لكنه يستهدف فى للوقت نفسه حماية المصالح العربية للعليا من عبث للذين يفتقدون للقدرة على للفهم وللتصور ، وللذين كانت تصرفاتهم سلسلة من للتعثر وللفشل لم تسفر الا عن الاضرار بهذه المصالح طوال ثلاثين عاما من عمر للصراع ، كما أن هذا الموقف من جانب مصر انما يعبر عن حرصها على مسئولياتها للتاريخية تجاه أمتها للعربية وتمسكها بعدم للتفريط فى هذه المسئولية أو للتراجع عن تحملها رغم ما تتعرض له من مهاترات ومناورات .

ان مصر لو تمكنت مرة أخرى من انزال للهزيمة للعسكرية باسرائيل فى حرب خامسة فان آخر ما تستطيع أن تصل لليه هو

أن تحرر بقية سيناء فقط ، لأنه لن يسمح لهـا بأن تتعدى حـدودها الدولية ببوصة واحـدة ، اذ أن الدول العظمى فى سياساتها المعلنـة وان اختلفت دواعيها ستتدخل للحفاظ على أمن اسرائيل ووجودها ، وقـد تمكن الرئيس السادات من استعادة بقية سيناء دون اراقة دماء ، بل ان معاهـدة السلام هى اطار للحل الشامل للقضية العربية •

ويؤكد الرئيس السودانى جعفر نميرى أنه حتى فى حالة احتلال الجيوش العربية لتل أبيب فى حرب خامسة فان (مكالمـة تليفونية) من واشنطن أو موسكو كافية لجعل هـذه الجيوش تنسحب فى الحال ودون ابطاء حيث أن القرار النهائى يصـدر من جانب الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتى •

ولقـد أثبتت عـودة سيناء أن الزحف السلمى الذى شنته مصر لم يكن أقـل مضاء من زحفها العسكرى ، كما خـذلت عـودة سيناء اخـوتنا الرافضين وأضافت الى عجزهم عن تقـديم البديل فقدان الهـدف ، لقـد علقت صحيفة القبس الكويتية على هـذا الوضـع بقولها أن سياسة الرافضين تقف اليوم مأخـوذة بمـا يدور حولها ، كما تقف مشلولة الحركة حيث أنها لا تستطيع أن تذهب الى مائدة المفاوضات كما لا تستطيع أن تذهب الى ميدان القتال •

ثم ان جلسة المباحثات الأولى لاقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة والقطاع التى عقدت فى بئر سبع فى نفس اليوم الذى استردت فيه مصر مدينة العريش والقطاع الشمالى من سيناء تشكل الدليـل العملى على الربط الموضوعى والواقعى بين التحرك المصرى على جبهة سيناء وجبهة فلسطين ، كما أن عـودة مدينة العريش والقطاع الشمالى من سيناء الى السيادة المصرية فى اطار المرحلة الأولى للانسحاب الاسرائيلى من كل سيناء كانت خطوة أولى فى طريق تحرير الأراضى العربية المحتلة وعـودة الحقوق الفلسطينية المغتصبة •

يقول الرئيس السادات « ان تحرير سيناء هو تحرير لأرض عربية يملكها شعب عربى هو جزء من أمته العربية ، وأن رفع العلم المصرى على العريش ليس انتصارا مصريا فحسب ولكنه انتصار للقضية العربية وللقضية الفلسطينية ، وان من رفعوا العلم بالأمس على سيناء هم الذين يناضلون اليوم من أجل فلسطين » •

ويقول الرئيس السودانى جعفر نميرى « اننا فى السودان مقتنعون بأن السادات يناضل لصالح القضية العربية ، وأن الضفة والقطاع والقدس والجولان هى بالنسبة للسادات فى نفس أهمية سيناء » •

ان مشكلة العرب فى هذه الفترة التاريخية الحرجة تتمثل فى السؤال لماذا يصدق العرب - على سبيل المثال - مناحم بيجين عندما يقول أن القدس الموحدة ستظل عاصمة لاسرائيل الى الأبد ولا يصدقون الرئيس السادات عندما يقول أن القدس العربية هى جزء من الضفة الغربية وأن للعرب وللمسلمين حقوقا تاريخية ثابتة فى القدس العربية لا أحد يستطيع التفريط فيها ؟ لماذا يستجيب العرب لتصريحات أو (بالونات) بيجين وغير بيجين التى يطلقونها كل يوم للاستهلاك المحلى فى جانب ولضرب التضامن العربى واثارة أعصاب العرب فى الجانب الآخر ؟ لماذا يتناول العرب وجهات نظر الاسرائيليين على أنها بمثابة مواقفهم النهائية ولا يريدون الاعتراف بأن مواقف الاسرائيليين تجاه سيناء قد غيرتها الاحداث مما يمكن تطبيقه على المفاوضات القادمة وخاصة أن مصر الآن فى موقف يسمح لها بالتأثير على السياسة الاسرائيلية واقناعها بتعديل مواقفها رغم (حرب التصريحات) التى تتواكب بالطبيعة مع (حرب المفاوضات) ؟ •

يقول مناحم بيجين وعلى سبيل المثال لا الحصر أن اسرائيل قد بذلت أقصى ما فى وسعها خلال المفاوضات مع مصر لكى لا تنسحب

من مستوطنة ياميت بسيناء غير أن مصر أصرت على ضرورة الانسحاب الاسرائيلى من سيناء كلها ، ويضيف أنه سيظل يشعر بالألم لانسحاب اسرائيل من مستوطنة ياميت وأنه سيحمل ألمه هذا معه فى قبره •

ان مناحم بيجين هذا هو نفس مناحم بيجين الذى قال فى اول خطاب له فى الكنيست عندما تولى رئاسة الوزارة : ان الحكومة الاسرائيلية التى تقبل ازالة المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء يجب ان تقدم استقالتها الى الكنيست فى نفس اليوم الذى تتخذ فيه مثل هذا القرار » •

ثم ، على سبيل المثال أيضا ، ماذا حدث لسكان مستوطنة نيعوت القريبة من العريش عندما قرروا التصدى بمساعدة جماعة جويش ايمونيم الدينية المتطرفة لمحاولات اجلائهم من جانب القوات الاسرائيلية عن الأراضى الزراعية التى تدخل فى قطاع العريش الذى تقرر اخلاؤه فى المرحلة الاولى من الانسحاب من سيناء ، ألم يصدر مناحم بيجين أوامره باخلاء هذه الحقول بالقوة اذا لزم الأمر وهو ما حدث بالفعل ؟ ثم ألم يصدر عيزر وايزمان وزير الدفاع الاسرائيلى أوامره كذلك بايقاف مشروع بناء مستوطنة ايلون موريه التى كانت حكومة اسرائيل قد وافقت على انشائها بالقرب من مدينة نابلس فى الضفة الغربية،والتى كان قد استقر فى مكانها بعض أعضاءالجماعة الدينية المذكورة لأكثر من ثلاثة أعوام قبل موافقة الحكومة على بنائها ، ثم اعقب أمر وزير الدفاع حكم أصدرته المحكمة العليا فى اسرائيل بوقف البنـاء ؟ •

ثم ، على سبيل المثال كذلك ، الم يتخذ مناحم بيجين موقفا حدده من وجهة نظره كمشروع اسرائيلى للحكم الذاتى فى الضفة والقطاع ثم أمر فريق التفاوض الاسرائيلى باخفائه عن فريقى التفاوض المصرى والأمريكى فى مفاوضات بئر سبع بعد أن اتخذ قرارا جديدا

ببدء هـذه المفاوضات قبل تقـديم النص المكتوب للموقف الاسرائيلى خـوفا من فشلها ؟ ٠

ان الأمثلة كثيرة عن معطيات الموقف المصرى وتنازلات الموقف الاسرائيلى وضغوط الموقف الامريكى عـلى اسرائيل لصـالح مصر ، وهى معطيات وتنازلات وضغوط تتتـابع وتتزاحم فى طريق للحـل السلمى العادل والشامل ٠

يقول ايجال آلون وزير خارجية اسرائيل السابق فى حـديث نشرته صحيفة يديعـوت أحرونوت الاسرائيلية « اننا ما زلنـا نشعر بالذهول ازاء لباقة وذكاء وفعالية اللعبة السياسية المصرية التى خططها الرئيس السادات فى أدق تفاصيلها ، والتى كان من شأنها اظهار خيبة وسطحية فكر ومناورة المفاوضين الاسرائيليين ، ان الرئيس السادات نجح دون أن يتخلى عن حبة رمل واحـدة فى اقناع العالم بأنه يتمتع بالمرونة وعـلى استعداد لقبـول الحـل الوسـط ، فى الوقت الذى نجح مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل ، الذى تخلى عن استخدام جميـع الاوراق الرابحـة التى كانت فى يـده ، فى أن يعطى عن نفسه انطباع رجل الدولة المتصلب المتعنت الذى لا يمكن أن يقبل بالحل الوسط ، انه سيأتى اليوم الذى تدرس فيه فى كليـات العلوم السياسية المساعى الديبلوماسية التى قام بها الرئيس السادات ومهارة مناوراته التى لجـأ اليها لتضييق الخناق على اسرائيل » ٠

ان السؤال كما طرحه الرئيس السادات يتمثل فى أنه اذا كانت أرضنا لدى اسرائيل ، واذا كانت قـدسنا عندها ، فكيف تكون لنـا قضية مـع طرف ولا نجلس للتفاوض معه ، وهـل نفضل أن ينوب عنـا طرف آخر للتفاوض ، ومن ينوب عنـا نحن أصـحاب الأرض وأصحاب القـدس وأصحاب القضية ، وهـل تخـون مصر القضية اذا جلست هى مـع اسرائيل على مائدة المفاوضات ؟ ٠

ان الجـواب كما طرحه الرئيس السادات أيضا يتمثل فى أن الرافضين الذين يخطئون فهم عقل وقلب مصر ، والذين يعترفون بضرورة الحـل السلمى ثم يرفضون التفاوض ، لن نقبل سلبيتهم لأنه اذا كانت لنا قضية فينبغى أن نتولاها بأنفسنا والا كان موقفنا هـو التهرب والتخلف ، فليست لدينا عقـد تحـول دون التفاوض مـع الاسرائيليين ، ولا محـل للشعور بالنقص بعـد نصر أكتوبر ٠

ان موافقة الدول العربية على قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨ يعـد اعترافا منها باسرائيل ، ومن ثم فلا حاجة للاستناد الى اعتراف مصر وجلوسها مـع اسرائيل كذريعـة تستخدمها هـذه الدول لاتخاذ قرارات ضـد مصر ، وكأن الوسيلة لتحرير الأراضى العربية وتأمين الحقوق الفلسطينية قـد تحققت بمعاقبة مصر ٠

ان مصر لعلى يقين من أن كل الشعوب العربية تدرك مغـزى السلام ، وأن كل الحكام العرب يريدون تحقيق المصالحة مـع اسرائيل بعـد أن اعترفوا بها ، ولكن المشاكل الخاصة بهـؤلاء الحكام أفقدت التوافق بين ما يقـولونه وما يفعلونه ، بـل وبين ما يقـولونه فى الحجرات المغلقة وما يقـولونه أمام الميكروفونات ، ولم تكن الهـوة بين الأقـوال والأفعال فى أى فترة من فترات التاريخ العربى تمثـل مثل اتساعها اليوم فى زمن أصبحت فيه الحقيقة نادرة ٠

ومع ذلك ٠٠ فان مصر السماحة والحضارة والعروبة لا تكن العـداء لأى دولة عربية ، وهى لا تسقط جـدوى التضامن العربى من حسابها ، ولكن على بعض الأنظمة العربية أن تثوب الى رشـدها وتعـود عن غيها وأن تعلن على الملأ : ما هـو الخطـأ فى أن نصل الى مرحلة السلام وما هـو الصواب فى أن نستمر فى حالة الحرب ؟ ٠

ان قلب الرئيس السادات ومعه قلوب شـعب مصر ومع كل

نبضة فيها لتقطر دما لسقوط بعض قيادات الامة العربية فى هاوية التناقضات والمنازعات وفى مستنقع المؤامرات والاغتيالات برغم مظهر التكاتف والتآلف الذى ظهرت به أمام العالم حول مائدة الحقد والكراهية التى دعا اليها بعث العراق لتشويه نضال وكفاح شعب مصر وبرغم التناغم الظاهرى الذى سرعان ماتبخر، فمن العار أن تبدو الامة العربية أمام الخصم والصديق بهذا التفكك والتسيب بعد أن وضعها العالم بعد حرب أكتوبر فى عداد القوة السادسة فى عالم اليوم •

ان قلب الرئيس السادات ومعه قلوب شعب مصر ومع كل نبضة فيها لتعتصر مرارة لما يجرى الآن فى الساحة العربية رغم أن ما يحدث ليس بينه ما يهز ثقة الرئيس السادات ومعه شعب مصر فى أنهما يسيران على الطريق الصحيح ، ان ما يجرى الآن فى الساحة العربية يذكرنا دوما بالتساؤل المشهور (كم من الجرائم ترتكب باسمك يا فلسطين) ، ولكن التاريخ الذى يمهل ولا يهمل سوف يتكفل بالاجابة على هذا التساؤل لتعرف الجماهير العربية كم كانت مغلوبة على أمرها باسم فلسطين ، وسوف يقول كلمته فيمن ضحى من أجل فلسطين بالمال والبنين ومن قدم لها الحناجر والخناجر •

ان قلب الرئيس السادات ومعه قلوب شعب مصر ومع كل نبضة فيها لتتفطر حزنا لتردى سياسات بعض الانظمة العربية الشريفة فى دوامة الرفض والقعود عن حل قضية مصيرية بأية حجة وتحت أى ظرف وعلى رأسها النظام السعودى المشهور بالتعقل والمشهود له بالرزانة والاتزان ، وان كاتب هذه السطور ليأسف من كل قلبه وبكل قلمه ان حملت سطوره أو ما بينها لمحة قسوة أو شبهة شدة فى معرض التأبيد والدفاع •

ان المصريين لن يكونوا أمريكيين أو اسرائيليين كما لم يكونوا من قبل ، ومن بعد أن أخبركم الرسول الكريم ، بما لهم من حرمة الذمة

والرحم والصهر ، ومن بعد أن أنبأكم الصحابى الجليل ، الذى حمل لواء العروبة ورفع راية الاسلام على أرض خير أجناد الارض ، بأن مصر هى عون للعرب وللمسلمين وقوة لهم •

ان منطق الاسرة الواحدة أو الامة الواحدة لم يكن ليقر اسلوب المقاطعة والخصام بل ان طبائع الاشياء كانت تحتم أسلوب المناقشة والحوار •

وكما يقول الرئيس جعفر نميرى « انهم لو اعتقدوا حقيقة أن السادات قد أخطأ فانه كان يتعين عليهم أن يبحثوا معه القضية بموضوعية بدلا من تهديده بالعزلة » •

ومع ذلك •• فان مصر التى عرفت كيف تفتح الحوار مع عدوها لن تتوانى عن طرق باب الحوار مع أشقائها ، ولكن ليس قبل أن تظهر لهم بعض ثمرات ما أقدمت عليه وبعدها لن يطول ليل الخلاف •

ان مصر السماحة والحضارة والعروبة تقول أن ما يفعله العرب الآن لا يعدو أن يكون مرحلة مراهقة سياسية اجتازتها مصر قبلهم وهم فى الطريق الى اجتيازها •

ويقول رئيسها متفائلا كعادته أننا سوف نتغلب على هذا الموقف العربى فى فترة قصيرة للغاية نظرا لأنه (موقف زائف) •

ويقول نائبه أننا يجب ألا نهدر قوتنا العربية فى خلافات داخلية ، لأننا جميعا فى العالم العربى يجمعنا خصم واحد مشترك ، هو (بالتأكيد اسرائيل) وليس بعضنا البعض •

ان التضامن العربى لا يجب ان يخضع لأهواء بعض الحكام

العرب ، وان قرار التضامن لا يصح أن يصدره حاكم ويلغيه آخر ، لأن التضامن العربى هو قرار شعوب عربية جمعتها مقومات واحدة لا تتغير ، والحكام يتغيرون من وقت لآخر ، وقراراتهم تتغير بين ساعة وأخرى ، لكن الشعوب باقية وقراراتها باقية لا تتغير بتغير الحكام •

ان مصر ستبقى قلب الامة العربية النابض ، وسيظل القلب يدفع دماءه الى كل الجسم العربى مجددا نشاطه وحيويته ، تلك ضريبة القلب يدفعها مهما كانت الجراح ، ومصر ليست مجرد قلب الامة العربية ولكنها القلب والروح معا •

ان أول أهداف السياسة الخارجية لمصر هو حماية الامن الوطنى المصرى والامن القومى العربى حيث أنهما متصلان لا فرق بينهما سوى ان مصر يمثل أمن القلب فى جسم الامة العربية •

ان جامعة الدول العربية والقاهرة صنوان ، يمثلان واقعا تجسد واستقر فى وجدان كل عربى ، وان أى يد تمتد بالكيد لذلك الطود ، سيكون كيدها فى تضليل ، وسيكون مصير أصحابها كمصير أصحاب الفيل ، وكما أن بيت الله لا يمكن أن تنتزع قدسيته من أم القرى ، فان بيت العرب لا يمكن أن ينفصم معنى ومغزى عن قاهرة المعز لدين الله ، وستبقى جامعة الدول العربية ، بما فيها من ايجابيات وسلبيات، وبما فيها من نجاحات ونكسات ، المعنى الراسخ فى ضمير كل عربى ، والاثر الباقى لمعنى الوحدة العربية •

ان عروبة مصر هى واقعها ومصيرها ، وهى قضاء وقدر لا يمكن ان يكونا محل نقاش ، وهى ليست منحة تعطى لمصر وتسحب منها حتى باغلبية الاصوات •

ان بعض الحكام العرب قبل ان يتعلموا كيف يتفقون ، لابد لهم

أن يتعلموا كيف يختلفون ، ولابد لهم أن يتعلموا كيف يختلفون على بعض الامور دون أن ينعكس خلافهم على كل الامور •

ان مبادىء للخلافات العربية يجب أن توضع حتى يتمكن العرب من أن يتفقوا أو يختلفوا داخل اطار متفق عليه ، وان جهودا مخلصة وواعية يجب أن تبذل لتقنين الصراعات العربية كمنهج حضارى وعصرى لتنظيم التفاعلات وضبط النزاعات على الساحة العربية والعمل على حلها ، وليس عيبا أن نخطىء التقدير ، فالخطأ صفة من صفات البشر ، وهو من قبيل الاجتهاد الذى يؤجر المرأ عليه ، ولكن العيب كل العيب يكمن فى تجاهل الخطأ والاستمرار فيه •

ان على الاخوة العرب أن يدركوا أن المصالح العربية يجب أن تكون هى الشغل الشاغل للعرب ، كما يجب أن تتغلب على ما عداها من المصالح الفردية أو الحزبية أو الاقليمية أو الايديولوجية غير العربية •

ان على الاخوة العرب أن يتداركوا موقفهم ويحرروا ارادتهم التى عبثت فى غفلة منهم فى سلة (الهيمة السوفييتية) من خلال حلف بغداد الجديد وداعيته بعث العراق ، الذى يلوذ دوما بالتطرف ويتمسك دائما بالمستحيل تهربا من المسئولية القومية ، والذى اتفقت فرصته فى ركوب موجة الرفض من أجل التصدى لقيادة الامة العربية الى اهدافه الظاهرة والخفية مع سياسة الاتحاد السوفييتى التى لا تتفق لا مع السلام الشامل ولا مع الوحدة العربية ، وكان ان اتفق بعث العراق مع الاتحاد السوفييتى نهارا جهارا كما جاء فى بيانهما المشترك على (تعبئة كافة القوى ضد مصر) •

ان على الاخوة العرب الا يأملوا كثيرا فى مساعدة الاتحاد السوفييتى أو فى صدق نيته لحل القضية ، لقد كان من بين أهداف

مبادرة نوفمبر ١٩٧٧ أن تدفع القضية الى خارج دائرة التعامل الثنائى الامريكى السوفيتى الذى كان قد تحدد فيما سمى ببيان اكتوبر ١٩٧٧ بشأن السلام فى الشرق الاوسط ، والذى تأسس على أن الطريق الوحيد للحل هو طريق المفاوضات فى اطار مؤتمر جنيف برئاسة الدولتين العظميين ، والذى دعا الى انسحاب اسرائيل من (أراض) عربية احتلت فى يونيو ١٩٦٧ ، ثم جاءت المبادرة لتتخطى جوهر البيان وجوانبه الاجرائية معا ، وتحركت الولايات المتحدة على طريق المبادرة نحو السلام فى الشرق الاوسط دون أن تتمسك بصيغة جنيف، بينما رفض الاتحاد السوفييتى المشاركة انطلاقا من رؤيته أن تظل عملية السلام فى الشرق الاوسط مرتبطة بحركة العلاقات الاشمل بين موسكو وواشنطن ٠

وهكذا لم يكن الاتحاد السوفييتى جادا فى حل القضية كما لم يكن مخلصا للعرب ، لقد تعمد التراخى فى بذل أى مجهود ايجابى لحل القضية بعد الاتفاق على صيغة جنيف قبل المبادرة أو بعدها ، ولكنه لم يتخلف عن بذل أى مجهود سلبى بالتواطؤ مع بعض الانظمة العربية ، بينما اسرائيل قد بدأت حملة ــ وافقت هوى الاتحاد السوفييتى ــ لاغراق المؤتمر فى متاهات الخلافات الاجرائية والشكلية ٠

لقد آن للاخوة العرب أن يدركوا حقيقة العلاقات بين حركة الشيوعية الدولية وحركة الصهيونية العالمية وحركة القومية العربية ، وأن يتبينوا موقف الاتحاد السوفييتى من وضع اسرائيل فى المنطقة العربية ، وأن يتفهموا أن مصر تنظر الى أمن واستقرار المنطقة بصورة أشمل وأعم ، فلن تكون الشيوعية الدولية جارة طيبة للقومية العربية ، ولن يكون الشيوعيون والملحدون رفقاء مريحين للعرب والمسلمين ٠

ان الاتحاد السوفييتى هو ثانى دولة تعترف باسرائيل فور قيامها على أرض فلسطين العربية بعد الولايات المتحدة ، وهو الممول الاكبر

للمهاجرين اليهود الذين استطاعت اسرائيل أن تكون بهم جيشا يحارب العرب ، وهو الذى يطلق الآن هجرتهم (بدرجة مثيرة ــ على حد تعبير الخارجية الامريكية) جريا وراء منحه حق الدولة الاولى بالرعاية فى تجارته مع الولايات المتحدة ٠

تقول وكالة الانباء الالبانية مؤخرا « ان اطلاق هجرة اليهود من الاتحاد السوفييتى (حاليا وبشكل لم يسبق له مثيل) هو خنجر فى ظهر الشعوب العربية وأولها الشعب الفلسطينى لأن هؤلاء اليهود السوفييت يرسلون الى اسرائيل يستوطنون الاراضى العربية المحتلة » ٠

ولقد حاول الاتحاد السوفييتى فى دأبه على استثمار المشاكل عرقلة الانسحاب الاسرائيلى من سيناء رغم ان هذا الانسحاب هو تطبيق لميثاق الامم المتحدة وتنفيذ لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذى تمت الموافقة عليه بالاجماع ، لقد عارض الاتحاد السوفييتى أى قرار يتخذه مجلس الامن لتجديد فترة عمل قوات الطوارىء الدولية وتعديل شروط مرابطتها فى سيناء ليتوافق دورها الجديد مع تنفيذ معاهدة السلام ، بينما وافق الاتحاد السوفييتى فورا على تجديد فترة عمل قوات حفظ السلام فى الجولان رغم أن بقاءها هناك ينصب على استمرار الوضع الراهن وهو احتلال اسرائيل للجولان بينما بقاء قوات الطوارىء الدولية فى سيناء لازم لتسهيل عملية انسحاب اسرائيل الى حدود مصر الدولية ، ولقد سجل أمين عام الامم المتحدة على الاتحاد السوفييتى موقفه من جهود السلام التى يرفضها باصرار غريب فى قوله « ان الاتحاد السوفييتى يعارض أى دور للأمم المتحدة فى تنفيذ معاهدة السلام بين مصر واسرائيل » ٠

لقد أعطى الاتحاد السوفييتى بمعارضته لمد فترة عمل قوات الطوارىء الدولية فى سيناء الفرصة لاسرائيل لكى تبالغ فى اعطاء

الاهمية لهذه المسالة حتى تتيح لنفسها نقطة اضافية للمساومة فى مفاوضات للحكم الذاتى للفلسطينى ، ولكى تماطل بالطريقة للتى وضحت فى تحذير ايجال يادين نائب رئيس للوزراء الاسرائيلى للذى أعلن أنه اذا لم يوافق مجلس الامن على تجديد فترة عمل قوات للطوارىء الدولية فى سيناء فان ذلك سوف يؤثر تأثيرا خطيرا فى تنفيذ معاهدة للسلام المصرية الاسرائيلية من جانب اسرائيل ، وهو للتحذير للذى وصفه ايجال آلون وزير خارجية اسرائيل للسابق بأنه (فريد فى رعونته) ٠

ان مصر ، وهى عامل الاستقرار للقوى فى منطقة للشرق الاوسط ، لا تستهدف باصرارها على للتسوية للعادلة وللشاملة استرداد الاراضى للعربية وللحقوق للفلسطينية فحسب ، انما تستهدف أمن واستقرار دول المنطقة كلها ، وتدعيم قدراتها على مواجهة الاخطار للتى تحدق بها ، وللتى ظهرت معالمها مما جرى ويجرى حولها فى اثيوبيا وللبمن للجنوبى ، بل وفى أفغانستان وايران كذلك ٠

ان مخططات للحركة للشيوعية الدولية تضع فى حسبانها ميزة انشغال مصر بالصراع للعربى الاسرائيلى حتى تغفل أو تتغافل تماما عن المد للشيوعى حول المنطقة وفى داخلها بسبب اعطائها الاولوية فى اهتماماتها للمخاطر للصهيونية على المخاطر للشيوعية ، ومن أجل ذلك فان الاتحاد للسوفييتى حريص على استمرار للصراع للعربى الاسرائيلى بأى ثمن ، وحريص على استمرار دفع بعض الانظمة للعربية لأداء هذه المهمة نيابة عنه ٠

ان أحداث ايران ـ على سبيل المثال ـ تدعم وجهة نظر مصر من ضرورة للتوصل الى سلام عادل وشامل فى المنطقة ، وتؤكد أن منطق اسرائيل مرفوض ، وهو المنطق الذى حاولت به من خلال حملتها الدعائية الفاشلة أن تتظاهر بأنها عنصر استقرار وأمن فى منطقة

الشرق الاوسط ، وبأنها تستطيع أن تقوم بدور رئيسى فى حالة حدوث انعكاسات لأحداث ايران على المنطقة العربية ، فى حين أن مصر التى سوف يتعاظم دورها بعد اقرار السلام هى المخولة بهذا الدور بحكم ميثاق الضمان الجماعى العربى ، بعكس اسرائيل التى تعتبرها كل الدول العربية حولها جسما غريبا عن المنطقة ، والتى حاولت من خلال هذه الحملة الدعائية أن تعاود الاستئثار بتأييد الولايات المتحدة ، أو التى حاولت بهذه الحملة أن (تضحك على الولايات المتحدة) •

ان شعوب الامة العربية هى وحدها القادرة على حماية نفسها وعلى وقف المد الشيوعى من حولها ، فليس من المعقول أو المتصور ان تصبح اسرائيل هى المتصدية لهذا التيار الشيوعى المتدفق بينما هى السبب فى زحفه على المنطقة ، وبينما استمرار تقويتها وتضخيمها بدعم من الولايات المتحدة هو تعزيز لهذا الزحف غير المقدس ، وليس من المعقول أو المتصور كذلك أن تجد الولايات المتحدة فى رئيس وزراء اسرائيل بديلا لشاه ايران ، بل لعلها أصبحت تؤمن الآن بأن ترسانات السلاح ليست هى السبيل الوحيد لضمان أمن واستقرار أى بلد أو أى منطقة ، انما السبيل الوحيد هو رغبة الشعوب وارادتها فهما أمضى من أى سلاح •

ان الصراع بين العرب واسرائيل قد مهد الطريق الى الصراع بين العرب وأنفسهم ، كما مهد الطريق الى تعريض بعض الانظمة العربية لظاهرة الاستقطاب الدولى بين الشرق والغرب ، ولن يستطيع العرب ايقاف هذا المد الشيوعى الا بعد حل الشقاق بين العرب واسرائيل بما يؤدى الى احلال الوفاق بين العرب والعرب •

ان الظروف المحيطة بمنطقة الشرق الاوسط والصراعات الدولية التى تجرى على مشارفها تجعل السلام اكثر الحاحا ، وتستلزم فى الوقت نفسه أن تعمل على جمع الشمل ورأب الصدع وتوحيد الجهد

والاجتماع على كلمة سواء ، وسوف يثبت للاتحاد السوفييتي ان عاجلا أو آجلا أنه قد أخطأ في حساباته عندما فرض بعض الانظمة الشيوعية حول المنطقة أو في داخلها متجاهلا كلا من العروبة والاسلام •

ان الشعب المصرى الذى يدرك أبعاد الصراع والمستفيدين منه لن يمنعه أحد من القيام بما يعتقد أنه صواب ، وسوف يستكمل مسيرة السلام ولو كره أعداء السلام •

ان الشعب المصرى الذى منحه الله روح الحضارة ووهبه قدرة الاختيار لن يلتفت الى الرافضين بعد أن أقدم رئيسه على الخطوة التى يعتقد أنها ضرورية ، وبعد أن ثبت أن السلام الآن فى المنطقة العربية هو (الممكن الوحيد) •

ان الشعب المصرى الذى منحه الله أعرق تاريخ ووهبه أعمق تجربة لن يتردد فى طريقه بعد رحلة ثلاثين عاما شاقة وطويلة ، وبعد أن بدأت حمائم السلام تحط رحالها فوق أغصان الزيتون فى المنطقة العربية •

ان الشعب المصرى يدرك قيمة السلام لأنه يعرف معنى الحياة •• وهى التى يصنعها على أرضه منذ آلاف السنين •

يقول الرئيس السادات من منطلق وطنيته وقوميته « ان الكثير قد تغير بالفعل ، ولقد تحددت الآن النقاط لمرور القطار وسيره ، وسوف تكون محطة الوصول هى السلام » •

ويقول من منطلق عروبته واسلامه « ان الذين وهبوا القدرة على الرؤية لا يمكن ان يخطئوا فهم أبعاد مهمتنا المقدسة » •

ويتجاوب الرئيس السودانى مع الرئيس المصرى عندما يقول « ان السلام فى الشرق الاوسط هو فى مصلحة العرب على المدى الطويل

اكثر من اسرائيل ، وانه بعد عشر سنوات من تحقيق السلام فان اسرائيل ستكون مجرد جزيرة صغيرة فى بحر كبير من العرب » •

ويؤكد المعلق الامريكى توماس ليبمان فى صحيفة واشنطن بوست أن السادات مثل جميع المثاليين الحقيقيين لا يعرف الشك ولا الاسف ، فقد قال للمتشككين ان التاريخ سيكشف من كان على صواب ومن كان على خطأ ، وانه لن تكون هناك عودة الى الوراء •

ان على الاخوة العرب أن يزنوا الامور بميزان المصلحة التاريخية الممتدة وليس بميزان المصلحة الذاتية المؤقتة ، لأن السماء لن تغفر والتاريخ لن يرحم ، ولأن أكثر ما يتمناه غلاة التعصب فى اسرائيل أن يتكرس الامر الواقع برفضهم العاجز أو بعجزهم الرافض •

يقول السيد سيد مرعى مساعد الرئيس فى دعوة للاخوة العرب الى مراجعة مواقفهم « الى كل الاخوة العرب دعاة الرفض منهم أو المتورطين فيه ، دعونا ولو لمرة واحدة نلبى نداء العقل والحكمة ، دعونا ولو لمرة واحدة نقيم حساباتنا السياسية على أساس من الواقع الدولى الذى يحيط بنا شرقا وغربا ، دعونا ولو لمرة واحدة نعتبر بالماضى وبالحاضر فنضع نصب أعيننا حقيقة واحدة تعلو كل الحقائق ، فالماضى والحاضر كلاهما يؤكد أن المستقبل لن يحدده الا (السبق الحضارى) المرتقب فى هذه المنطقة ، ان التفوق الحضارى سيكون حجر الزاوية فى أى تغير يحدث فى هذه المنطقة من العالم ، وذلك هو (الصراع الحقيقى) ، لنخطط له اذن من اليوم ، لنمهد له بمعاهدة السلام ، انصفوا الرجل أيها العرب ، الرجل الذى احتكم الى العقل والمنطق ، الرجل الذى يخطط من أجل تحقيق هذا السبق الحضارى المنشود والذى صنع نصر اكتوبر ، اننا لازلنا على بداية الطريق الطويل ، الطريق السوى الذى سيمكن الاعلام العربية والاسلامية من

ان ترفرف فوق الاماكن المقدسة ، وهو الطريق الذى نستطيع من خلاله أن نرفع علم فلسطين خفاقا منتصرا » ٠

ان السبق الحضارى هو الصراع الحقيقى والممكن المسموح به فى عالم اليوم ، ثم ان ما أنجزته مصر على طريق السلام حتى الآن قد اسقط كل احتمال للعودة الى طريق الحرب ، وجعل من حرب اكتوبر خاتمة الحروب ٠

ان المواجهة الحضارية مع اسرائيل واقع مفروض مهما ذهب المتفائلون بالسلام ، فالحياة نفسها مواقف ومواجهات وتحديات ، واذا كانت المدافع قد سكتت فان العقول على الجانبين لابد أن تكون قد بدأت، واذا كانت رحلة الحروب قد انتهت فان رحلة جديدة قد قامت لتتولى فيها العقول مسئولية المعركة ، ولا يمكن أن يفسر السلام مع اسرائيل الصهيونية على أنه رحلة استرخاء وبطالة وكسل ، بل لابد أن نرقب بكل حذر أهداف الشعار الاسرائيلى الجديد (نحو صهيونية جديدة) ٠

ان اسرائيل ، فى الحقيقة ، قد أخذت بأسباب التقدم والتطور ، وسبقتنا فى مجالات علمية وتكنولوجية لا مجال لانكارها ، وذلك يرجع الى طبيعة تكوينها والشروط التى كانت تقبل بها المهاجرين الاوائل اليها ، وكوننا (كنا) أعتق وأعرق حضارة ، وأول من تعلم وعلم الانسانية ، فهذه حقائق لا تحتاج لمزيد من التأكيد والمباهاة والتواكل ، لأن الحضارة لابد أن تنعكس وتستمر وتتصل ، وتمتد من الماضى الى الحاضر الى المستقبل ، ولكن مهما كانت الاسباب والمبررات وراء التقدم والتطور فى اسرائيل ، ووراء التأخر والتخلف فى مصر ، فان هذا لن يخفى الحقيقة ولن يغنى عن الحق ، فليس عيبا أن نعترف بالحقيقة لنواجهها ولنغيرها ، وليس عيبا أن نقر بالواقع لنتعامل معه ولننتصر عليه ٠

ان المجتمع المصرى فى حاجة لأن يعيد للشخصية المصرية توازنها وعناصر تفوقها التى صنع منها حضارته عبر التاريخ ، فالحضارة لن تكون فقط آلات متقدمة ومعدات حديثة ، ولكنها ستكون مزيجا رائعا بين الاصالة والمعاصرة ، والانسان المصرى قادر دائما على أن يعيد بناء نفسه بنفسه اذا توفر له المزيد من الحرية والديمقراطية ٠

ثم ان المواجهة الحضارية مع اسرائيل لا تعنى مطلقا أن نبدد طاقاتنا المبدعة فى تأمل العبقرية اليهودية المزعومة أو تعقب الانجازات الاسرائيلية المصطنعة ، أو أن نصرف قدراتنا ساسة ومفكرين وعلماء ومثقفين فى وضع اسرائيل طول الوقت فى بؤرة عيننا واجراء مقارنة يومية معها ٠

ان المواجهة الحضارية مع اسرائيل تتمثل فى العلم والايمان والتخطيط والالتزام والوعى بالمشكلة والاحساس بالزمن والعيش بالعمل واللحاق بالعصر والتمسك بالقيم ٠

تم آن علينا نحن العرب ان نبدأ عملية (تحجيم اسرائيل) كعنصر مشكل أو معوق دون تفريط أو افراط ، وأن نسقط عن أنفسنا أنماط الفكر الجاهز ونماذج السلوك العاجز ، وأن نتحلل من آفة (اطلاقية الاحكام) والميل الى تسبيب الظواهر والاحداث بسبب واحد مثل (اسرائيل والصهيونية) ثم الجمود والتوقف أمام هذا السبب ، واتخاذ موقف رد الفعل دون التحرك المدروس والتقدم المحسوب لأخذ زمام المبادرة ، ودون التأمل والنظر فى عيوبنا وسلبياتنا ، وبغير تقييم ولا تقويم لقدراتنا وامكانياتنا ٠

ان مصر الآن على أبواب مواجهة حضارية مع اسرائيل ، والصراع حتمى وممتد الى حيث أراد الله ٠٠ والى حين يتوقف على ارادة العرب ، ومصر قد قبلت التحدى وألقت القفاز فى وجه اسرائيل وأعلنت

بدأ المواجهة الحضارية بمبادرة الرئيس السادات بزيارة القدس الشريف •

لقد كانت مبادرة الرئيس السادات بزيارة القدس الشريف تبدو وكأنها مغامرة فنان يحلق فوق حواجز الزمان والمكان ، وأصبحت بعد توقيع معاهدة السلام تبدو وكأنها ضربة عبقرى من عباقرة السياسة يجمع بين الفكر والواقع ، بين التجربة والنتيجة ، بين المخاطرة المحسوبة والثمرة المطلوبة •

يقول جاكوب جافيتس أكبر مؤيدى الصهيونية فى الكونجرس الامريكى أمام الرئيس السادات عقب توقيع المعاهدة « انك ستعيد للعرب جميعا ،وليس لشعب مصر وحده ،فرصة التفرغ للخلق والابداع، ستعيد لهم هذه العبقرية التى تمتعوا بها ، واستطاعوا تعليم العالم كله علوم الطب والكيمياء والهندسة وفن المعمار ، وأنا لا أتكلم عن مصر الفرعونية بتاريخها الحافل المجيد الضارب فى أعماق الماضى السحيق بل عن مصر قائدة العالم العربى » •

ويقول عيزر وايزمان للاسرائيليين محذرا وناصحا « اذا كنا نريد بالفعل أن نفتح الطريق الى علاقات صحيحة مع المصريين فلنكن على حذر، ولنكن حريصين على أن نخلع الصلف وراء حدودنا قبل أن نلقاهم، ولنكن على وعى كامل بأن المصريين على بساطتهم يختزنون تجارب التاريخ . ان مهمتنا أن نظهر لهم أحسن ما لدينا ، وأن نفتش فى داخلنا عن طريق للتعايش السلمى معهم ، لقد صنعنا ذواتنا على استمرار الصراع ، فتشكلت نفوسنا وأفكارنا بهذا المعنى وتلك أولى مشاكلنا مع السلام » •

لقد كان قرار اكتوبر رسالة الى العالم تقول بكل الوضوح ان قضية الصراع العربى الاسرائيلى لن تتجمد كما كان مخططا لها ، كما

كان قرار نوفمبر رسالة أخرى مكملة للرسالة الاولى ومؤكدة لن مصر لكتوبر هي أيضا مصر (للسلام والديمقراطية والرخاء) ٠

لقد صارت معاهدة للسلام اعلانا بارزا للقادمين من أبنائنا وأبناء ابنائنا بأن جيلنا كان أمينا على حياتهم ، حريصا علـى مستقبلهم ، شريفا مع نفسه ومع غيره وهو يفكر فيهم ويخطط لهم ، جديرا بالحب والاحترام وهو يزيل من طريقهم ومن أمام أعينهم لافتة ثبت كذبهـا وخداعها كانت تقول (لا صوت يعلو على صوت المعركة) ٠

لقد شقت مصر طريق للسلام فى منطقة للشرق الاوسط بعـزم للرجال الاشداء وارادة الابطال الاقوياء ، وبنفس للقوة للتى عبرت بهـا قناة للسويس واقتحمت خط بارليف ، فاكتملت للصورة ٠٠ وتوحدت ملحمة للحرب وللسلام ٠

واذا كانت للحرب تمثل تحديا لقدرة الانسان وتتطلب شـجاعة فى مواجهتها ، فان السلام يتطلب بدوره شجاعة أعظم وقدرة أكبر على الارتفاع الى مستوى المسئوليات للوطنية والقومية ، وان هناك أوقاتا يتطلب فيها صنع للسلام من للشـجاعة والقـدرة ما لا يتطلبه شـن للحرب ٠

ثم ان تحديات للسلام لا تقل فى حجمها ووزنها عن تحـديات للحرب بل تزيد،فالحرب هي للجهاد الاصغر والسلام هو للجهاد الاكبر، ٠والفرق بينهما أن للسلام يعمر وللحرب تدمر ، وللتعمير لا ريب أصعب من للتدمير ، ولكن اذا كنا قد استطعنا بالعلم والايمان أن ننتصر على تحديات للحرب فاننا وباذن الله سنستطيع بالعلم والايمان أيضا أن ننتصر على تحديات للسلام ٠

ان السلام عملية ايجابية وليست سلبية ، انه يعمل ولا ينتظر ، انه يضع خططه ويجمع قواه وأسلحته ثم يهـاجم ويقتحم الابـواب

ويخترق الدفاعات المحكمة ويحيط بأعدائه ، وكما تشن الحرب ٠٠ يشن السلام ٠

يقول الرئيس السادات « ان الاختبار الحقيقى لعملية السلام يأتى عقب التوقيع على المعاهدة ، اننى لا أقلل من شأن الصعوبات التى سوف نواجهها فى مرحلة ما بعد التوقيع ، ان مصر ليس لديها شعور بالمرارة لانها أسقطت كل العقد عقب حرب اكتوبر ، اننى أعلم أن مناحم بيجين سوف يقيم الدنيا ويقعدها ـ كما هى عادته دائما ـ أثناء المفاوضات الخاصة بتطبيق الحكم الذاتى الكامل فى الضفة والقطاع ، ولكننى ـ وبمشيئة الله ـ سوف أقيم الدنيا وأقعدها له أيضا » ٠

ويؤكد الرئيس السودانى جعفر نميرى أنه لو اعتقد مناحم بيجين أن كل ما يسعى اليه الرئيس السادات هو توقيع اتفاق منفرد فان رئيس وزراء اسرائيل لا يستحق أن يطلق عليه وصف رجل دولة ٠

ويتفاءل هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكية السابق فى قوله « انه طبقا لتجاربى السابقة ، ففى كل مرة نبدأ فيها مباحثات جديدة تبدو معقدة ، وتمر بمرحلة من التشاؤم ، وتدور وكأنها دخلت الى طريق مسدود ، واعتقد ن مباحثات الحكم الذاتى الكامل للفلسطينيين ستنجح بفضل صبر الرئيس السادات وتفاؤله » ٠

ويؤكد هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية الامريكية لشئون الشرق الاوسط أن الولايات المتحدة تعطى أهمية خاصة لمباحثات الحكم الذاتى الكامل للفلسطينيين ، وأنها ممثلة فى المفاوضات على أعلى مستوى حيث أن رئيس وفدها هو ممثل شخصى للرئيس الامريكى ، وانها تنوى القيام بدور نشط والتقدم بمبادرة جديدة اذا ما وصلت المفاوضات الى طريق مسدود ٠

ويحذر برونو كرايسكى مستشار النمسا اسرائيل بقوله « ان اسرائيل ينبغى عليها أن تفهم أنها لن تستطيع الاستمرار طويلا فى التصرف مثل (دولة صليبية) فى منطقة الشرق الاوسط » ٠

كما يحذر هيلموت شميت مستشار ألمانيا الغربية زعماء اسرائيل بقوله « اننى أتوقع حدوث اختراق سوفييتي داخل المنطقة العربية اذا لم يتم للتوصل الى حل سريع وحاسم للمشكلة الفلسطينية » ٠

كذلك يحذر فيليب كلوتنبيك رئيس المؤتمر اليهودى العالمى شعب اسرائيل بقوله « اننا اذا فشلنا فى هذا الاختبار فسوف يقال عنا أننا قد التقينا مع العدو وتبين لنا أن هذا العدو هو نحن أنفسنا » ٠

وها هى استطلاعات الرأى العام الاسرائيلى ترى أن غالبية الشعب الاسرائيلى أصبحت تؤمن أنه لا يمكن تحقيق السلام الشامل فى للشرق الاوسط ما لم تحل المشكلة الفلسطينية ، ولعل اتجاه الرأى العام الاسرائيلى يتمثل فى قول مائير بيل زعيم حزب شيللى الاسرائيلى « ان أى شخص يحاول انكار حقوق الفلسطينيين اليوم لا يستحق أن يتولى ادارة دفة الامور فى اسرائيل » ٠

يقول الكاتب الاسرائيلى هيرش جودمان فى صحيفة جيروزاليم بوست الاسرائيلية « يبدو أن هناك بعض الاسباب التى تدعو للرئيس السادات الى متابعة عملية السلام ، فهو – قبل كل شىء – المستفيد من أى مأزق فى المفاوضات ، واذا ما بحثنا عن مكاسبه التى نجح فى جنيها حتى الآن نجد أنه اجتاح أمريكا ، ادارتها وجزءا كبيرا من رأيها العام ، ووجهها الى صالحه ، انه نجح فى الحاق أشد الاضرار بالعلاقة الخاصة بين اسرائيل والولايات المتحدة ، كما أنه نجح فى تقسيمه البيت الاسرائيلى ، واذا لعب أوراقه جيدا – وهو غالبا ما يفعل ذلك – فان بامكانه أن يحافظ على العملية الحالية فى حالة غليان ، وبالتالى

يستمر فى المحافظة على ما قام ببنائه لنفسه بينما يتيح لاسرائيل الاستمرار فى البقاء منقوعة فى عصيرها ، ويقولون أن الوقت بالتأكيد ليس فى صالح اسرائيل فى هذه الحالة ، ان الاسباب لذلك للوضع واضحة ، ولكن السبب الرئيسى هو ان اللاعب الذى يتمتع بأعصاب باردة ولا يتأثر بالضغوط الخارجية تتوفر له أكبر الفرص للفوز » ٠

ان كل ما توصلنا اليه حتى الآن هو الخطوة الاولى نحو التسوية الشاملة والعادلة وهو حجر الزاوية فى بناء السلام الشامل والعادل فى الشرق الاوسط ، وليس للتوقيع على معاهدة السلام هو نهاية كل شىء انما مجرد البداية فقط ، وكما يقول الفريق كمال حسن « ان ما نحتاج اليه حاليا مع اسرائيل هو الصبر وليس الحرب » ، أو كما قال الرئيس السادات قبل ذلك « فلتكن حرب اكتوبر هى آخر الحروب » ٠

ان الحروب العسكرية قد انتهت بيننا وبين اسرائيل بحرب اكتوبر بعد أن أثبتت التجارب أن العالم لن يسمح لنا بنصر حاسم ونهائى عليها ، وعلى حد قول الرئيس السادات فان وثيقتى كامب ديفيد « قد أسقطتا كل احتمال للحرب كبديل لحل المشكلة » ، ولكن الحرب بيننا وبين رواسب العقيدة الصهيونية سوف تستمر ليس بأدوات التقتيل والتخريب ولكن بوسائل أخرى حضارية لا تتوفر لنا الا فى جو السلام العادل والشامل وليس وسط ضجيج المعارك والاعداد المستمر لها ، وليصبح طريق السلام هو طريق المواجهة الحقيقية مع اسرائيل ٠

لقد اكتسبت حرب اكتوبر التى وقعت فى (يوم كيبور) دلالة قريبة ومغزى بعيدا يؤكد القول بأنها حرب شنتها مصر من أجل السلام ٠

فلقد اعترف الاسرائيليون بأن حرب اكتوبر كانت لهـا نتـائج سلبية ضخمة بالنسبة لاسرائيل لانها أثارت الشك فى جميـع القيم العقائدية والايديولوجية والاجتماعية والسياسية للـدولة اليهودية ، واليوم يرى الاسرائيليون أن لحرب اكتوبر جانبها الايجابى أيضا لانها تمثل الخطوة الاولى فى المسيرة نحو السلام ، ولانها تضفى قدرا كبيرا من الواقعية على صورة الحياة الحقيقية فى المنطقة العربية ٠

حقا ٠٠ لقد استطاعت حرب اكتوبر العظيم أن تلوى عنق التاريخ فى هذه المنطقة المثخنة بالجراح والآلام ، وأن تقدم لشعوبها أملا فى سلام دائم وعادل وشامل وعاجل ، باذن الله ٠٠ وبارادة الشعب ٠

« وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » صدق الله العظيم ٠

صدر عن
مركز النيل للاعلام
١ شارع دمياط
العجوزة ـ القاهرة
ت ٨١٢٢٠٨ ـ ٨١٢٨٦٢

الثمن ٢٥٠ م

Bibliotheca Alexandrina
0582781
48
43